١٤

آداب الرافدين

تصدر عن كلية الآداب
جامعة الموصل

العدد الرابع عشر

١٩٨١ م
١٤٠١ هـ

المراسلات : بأسم سكرتير التحرير ـ كلية الآداب ـ جامعة الموصل

انكم والله تقاتلون نيابة عن التاريخ
في ماضيه . وفي حاضره . ومستقبله
لأنكم تدافعون عن مجده وعن قيمه ...
انكم تقاتلون كي ينهض العرب جميعاً
من غفوتهم وهوانهم .

السيد الرئيس القائد
صدام حسين

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

كلمة العدد

ان الصراع العربي الفارسي صراع قديم قدم التاريخ وان العراق خاض هذا الصراع الطويل نيابة عن الأمة العربية على مر التاريخ بحكم المكانة التاريخية المتميزة للعراق وبحكم موقعه الجغرافي وقد برز خلال معركة قادسية صدام روح التواصل التاريخي بين حقائق القادسية الجديدة وروح الامة العربية التي نهضت بشموخ في صدر الرسالة الأسلامية وقد أفرز الموقف الفارسي بسبب انتشار الاسلام وسيادة العرب تياراً شعوبياً تولد نتيجة الحقد الفارسي على العرب والاسلام بما حمله من ابعاد دينية وثقافية أراد من خلالها النيل من العرب باسم الأسلام فقد اتخذ هذا التيارموقفا معاديا للعرب على طول فترات التاريخ العربي فساهموا في حركات الانفصال عن الدولة العربية الأسلامية وأدى بنتيجتها الى تجزئة الدولة العربية الى دويلات وتعرضت الأمة العربية بسبب ذلك الى كبوة خطيرة لشراسة أعدائها وتعددهم ، وفي التاريخ العربي الحديث برز التيار الشعوبي العنصري الفارسي في أواخر القرن التاسع عشر تمثل في أسرة بهلوي التي عملت على احياء مجد الدولة الفارسية المجوسية بالسيطرة على بعض أجزاء الوطن العربي وجاء بعدهم الخميني ونظامه ليقيم الدولة الاسلامية — على زعمه — وليتستر باسم الاسلام في محاولته ايقاظ العنصرية الفارسية من جهة ، وايقاف النهوض العربي الجديد الذي يتمثل ببروز التيار القومي الاشتراكي الذي يقوده حزب البعث العربي الاشتراكي وقاعدته القومية العراق من جهة أخرى ، ان معركتنا العادلة مع العدو الفارسي انما هي دفاع عن اراضينا المغتصبة وفرض سيادتنا على مياهنا الأقليمية ورفضه الاستجابة لحقوقنا العادلة مما حدا بقيادتنا التاريخية لقبول اختيار الحرب بعد أن بدأها العدو الفارسي وقد برزت المعركة الدور الحاسم لشعبنا والقدرة العسكرية الفذة التي يتمتع بها جيشنا والقيادة التاريخية المتمثلة بالرئيس القائد صدام حسين والتي حققت روح النصر مع استمرار مسيرة البناء الثوري الشامل باتجاه تعزيز روح التواصل بين القيادة وكل جماهير شعبنا .

وانطلاقا من اسهام كل الخيرين من أبناء شعبنا وأمتنا في رفد المعركة بكافة الاسلحة ومنها سلاح القلم والتي عبر عنها الرئيس القائد بقوله « بالقلم والبندقية نحقق النصر » فاننا نقدم هذا السفر المتواضع من المقالات التاريخية الصورة الواضحة عن الحقد الدفين الذي يحمله الفرس العنصريون ضد الأمة العربية .

هيئة التحرير

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

الأمة العربيّة في مواجهة أحقاد العنصريّة الفارسيّة

الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي
أستاذ مساعد

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

لقد كانت الحركات الفارسية السياسية والعسكرية من أشد الحركات وأكثرها خطرا على الامة العربية والدين الاسلامي لانها سلكت اسلوب تشويه تعاليم الاسلام والحط من مكانة الامة العربية وحضارتها ، لقد وجدت الحركات الشعوبية السياسية والعسكرية انها لم تجد نفعاً ، فالتجأت إلى هدم المجتمع العربي الاسلامي بنشر الاراء الغريبة عن التقاليد العربية الاسلامية للعبث بالآداب العالية وتعرض الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية للخطر وقد اطلق على هذه الدعوة بـ(الدعوة الشعوبية) والتي هي حركة سياسية عنصرية ثقافية هدامة ظاهرها المطالبة بنزعة المساواة معتمدة على آيات من القرآن الكريم مثل (ياأيها الناس اناخلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وعلى أحاديث نبوية مثل (ليس لعربي على اعجمي فضل الا بالتقوى) وكان باطن هذه الحركة إزالة السلطان العربي والدين الاسلامي واعادة مجد الامبراطورية الفارسية ودينها المجوسي (١) . واعتقدوا أنهم بهذه الوسيلة يمكنهم الوصول إلى مآربهم دون أن يثيروا حولهم الريبة والشكوك (٢) .

ويمكن وصف الحركة الشعوبية بانها حركة ثقافية اجتماعية قامت بها العناصر الفارسية المتطرفة وحاولوا نقل التراث الفارسي إلى المجتمع العربي الاسلامي ساعين بذلك إلى طبع المجتمع العربي بطابعهم الحضاري القديم (٣) ، فعملوا على التقليل من شأن العرب والحط من ثقافتهم التي ازدهرت بالاسلام وبالدعوة إلى نبذها ، وقد روج لها بعض الادباء والشعراء والكتاب الفرس(٤).

لقد بدأت الحركة الشعوبية في أواخر العصر الاموي ، واندفعت بقوة في العصر العباسي بدافع عنصري وهي تمثل جانب من محاولة شعوب غير عربية

---

(١) اليوزبكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ط ١ ص ١١٣

(٢) الدوری : المجتمع العربي ص ١٢ .

(٣) اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٣٢٤ ، رسالة دكتوراه غير منشورة .

(٤) الدوری : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٦٤

لضرب السلطان العربي عن طريق الفكرة والعقيدة الذي انكشف في الصراع السياسي والديني والثقافي الواسع (١).

لقد كانت كراهية الفرس للأمويين ترجع إلى نقمتهم على العرب الذين قضوا على الدولة الفارسية والدين المجوسي، وان في اقوال الوالي الاموي في خراسان نصر بن سيار الذي يخاطب بها القبائل العربية يمانية او نزارية ويحذرهم من الفرس خير ما يؤيد رأينا حيث يقول :

أبلغ ربيعة في مرو واخوتهم فليغضبوا قبل الا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب ان القوم قد نصبوا حربا بحرث في حافاتها الحطب

إلى ان يقول :

قوم يدينون دينا ما سمعت به عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلا عن اصل دينهم فان دينهم ان تقتل العرب(٢)

ولم يدع الشعوبيون من الفرس فرصة الا انتهزوها فساهموا بكل ثورة مسلحة او حركة سياسية للقضاء على الحكم العربي الاموي لان الامويين حافظوا على العنصر العربي بتقريبه والاعتماد عليه وتقويته وعلى الدين الاسلامي بتوسيع الفتوحات في الجهات الشرقية خاصة.

كانت العصبية الفارسية كامنة والجذور المجوسية عند من أسلم من الفرس لا تزال قوية في نفوسهم وهم لا يزالون يحنون إلى اعادة مجد امبراطوريتهم الذي تحطم تحت اقدام العرب المسلمين، وما حركات الموالي ومساندتهم للثورات المختلفة الا مظهرا من مظاهر ضرب السلطان العربي والدين الاسلامي، فقد ساندوا أول الامر اية حركة يمكن الاعتماد عليها في نشر مبادئهم وتعاليمهم، فقد انضموا إلى جانب الخوارج منذ عهد علي بن ابي طالب بدليل ان في صفوفهم في موقعة النهروان عددا كبيرا منهم (٣). ثم اخذوا

---

(١) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٩ .
(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٦٨
(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٣ ص ١٥٩

يدعمون الثورات التي قامت في وجه الامويين عندما بعثوا إلى عبد الله بن الزبير يطلبون الدخول في دعوته (١) معتقدين أن دخولهم معه سيعطيهم بعض الحقوق والمكاسب التي لم يحصلوا عليها في ظل الحكم الاموي.

ولما ظهر المختار بن عبيدة الثقفي احتضنه الفرس وقد اشترك في ثورته نحو من ثلاثين الف منهم (٢). ثم انظموا إلى ثورة عبد الرحمن بن الاشعث الذي لقب نفسه بـ (ناصر المؤمنين) (٣).

ودعم الفرس ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الذي ثار على الخليفة الاموي يزيد بن عبدالله (٤). وانضووا تحت لواء زيد بن علي (٥) وثورة الحارث بن سريج في خراسان ١١٦هـ في ولاية نصر بن سيار (٦) ولما خرج وكيع بن أبي أسود سنة ٩٠ هـ بخراسان على قتيبة بن مسلم الباهلي مالت الاعاجم إلى عسكره فاهاجوا الناس وكان نتيجتها ان قتل القائد العربي واخوه واولاده واهله (٧).

وقد سعى الفرس إلى ايجاد نوع من التكتل الفارسي ضد العرب واثاروا النزعات العنصرية الفارسية تحت ستار اسلامي فنادوا بمبدأ المساواة السياسية والقومية واستطاعوا تثبيتها في نفوس الفرس الذين دخلوا الاسلام أو الذين بقوا على دينهم المجوسي (٨).

ولما ظهرت الدعوة العباسية انخرطوا فيها لانها كانت تدعوا إلى المساواة، وتظاهرت بالتسوية ، ولما قامت الدولة العباسية لم يجد العباسيون بدا من اشراك الفرس في السلطة اعترافاً بفضل الفرس عليهم ، وكان له أثره الكبير في فسح

---

(١) المصدر السابق : جـ٣ ص ٣٣٨ .

(٢) الطبري : جـ٧ ص ١٥٩ ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٢٩ .

(٣) المسعودي : التنبيه والاشراف ٢٧٢ ، اليعقوبي : جـ٣ ص ٢٤ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب جـ٤ ص ١٣٤ .

(٥) المصدر السابق : جـ٣ ص ١٤٠ .

(٦) الطبري : جـ٩ ص ٦٧ .

(٧) الطبري : حوادث سنة ٩٠ – ٩٦هـ ، مؤلف مجموعة الحدائق والعيون جـ٣ ص ١٥ .

(٨) اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٢٨٦ .

المجال لهم بابعاد العرب عن المراكز السياسية والعسكرية والادارية البارزة واخلالهم محل العرب ، ويبدو أن هذا الاتجاه كان نتيجة ميل معظم الوزراء العباسيون إلى اعادة السلطان الفارسي (١). ولم يكتف الفرس بما احرزوه من مكانة كبيرة في الدولة العباسية بل كشفوا عن شعوبيتهم ،وراحوا يهاجمون العرب ويركزون على تشويه تاريخهم وأدبهم ويتهمونهم بالبربرية قبل الاسلام. وبالبداوة بعده ، ويفضلون الشعوب الاخرى عليهم، ويمجدون ثقافتهم على حساب الثقافة العربية الاسلامية (٢) .

وقد نشطت الحركة الشعوبية في العراق في العصر العباسي باعتباره مقر الخلافة العباسية ، ولقربه من بلاد فارس مصدر دعاة الشعوبية والزندقة ،وقد اتخذت الحركة الشعوبية اتجاهات متعددة منها سياسية بالدعوة إلى إزالة السلطان العربي ، واحياء المجد الفارسي عن طريق اضعاف الدولة العباسية بمساندة وتشجيع الحركات الثورية ضد الدولة العباسية.

ومن هذه الحركات السلمية والراوندية والمقنعية وحركة بابك الخرمي وحركتي الافشين والمازيار (٣) وساندوا الثورات العلوية واحتووها وقد عمل البرامكة على مساندة الحركات العلوية بسرية تامة ضد الخلافة العباسية لا حبا بالعلويين ولكن لتحقيق طموحاتهم العنصرية.

فقد عزم ابو مسلم الخراساني على اعلان العصيان في خراسان والانفصال عن الدولة العباسية بمساندة الفرس ويزيد هذا عندما عزم المنصور على تعيين أبي مسلم واليا على الشام بدلا من خراسان فكان جوابه : يولني الشام وخراسان لي .(٤) .

---

(١) اليوزبكي : الوزارة العباسية ص ٣١ .

(٢) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٦٤ .

(٣) اليوزبكي : الوزارة ص ٣١ .

(٤) اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة ص ٢٨٩ .

وقام سنباذ المجوسي (١) مطالبا بثأر ابي مسلم واعلن انه سيذهب لهدم الكعبة ولم تكن دعوته سوى القضاء على السلطان العربي واعادة الدين المجوسي. ويوضح براون (٢) علاقة سنباذ بابي مسلم فيقول (ان سنباذ هذا كان مجوسيا ينتمي إلى طائفة المسلمية التي تسوق الامامة إلى ابي مسلم ومثلها الخرمية واتباع اسحق الترك) .

ودعت الشعوبية إلى المجوسية ومحاربة الاسلام الذي هو دين العرب فأعلن اسحق الترك (انه نبي انفذه زرادشت) وانه يخرج حتى يقيم الدين لهم (٣). وشرع المقنع لاتباعه جميع ما اتى به مزدك (٤). ويرى المقريزى: (ان حركة بابك والثورات الدينية الايرانية كانت مدفوعة بالحقد على الاسلام وانها ترمي إلى كيد الاسلام بالمحاربة (٥) ويقول المسعودي (ان المازبار اقر على الافشين انه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا قد اجمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الوثنية والمجوس) (٦). وجاء في رسالة من اخي بابك الخرمي إلى اخي المازباربيان كيفية القضاء على العرب حتى يعود الدين إلى ما كان عليه ايام العجم) (٧) .

وعمل البرامكة على مساندة الحركات الثورية بسرية تامة ضد الخلافة العباسية فيقول الجهشيارى (ت ٣٣١هـ/٩٤٢ م) ان الرشيد اتهم يحيى البرمكي بميله إلى يحيى العلوي، وأنه امده بمئتي الف دينار ابان ثورته في بلاد الديلم، وفعل يحيى البرمكي مثل ذلك مع احمد بن عيسى بن زيد العلوي، فارسل له سبعين الف دينار في البصرة ليقوم بنفس الدور الذي

(١) المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص ١٠٦ ، الدوري : العصر العباسي الاول ص ٨٦ .
(٢) Browen, History of Persia, Literature.p. 317.
(٣) ابن النديم : الفهرس ص ٤٨٣ .
(٤) البيروني : الاثار الباقية ص ٢١١ .
(٥) المقريزي : الخطط ص ١٩٠ .
(٦) المسعودي : مروج الذهب ج٤ ص ١ .
(٧) الطبري : تاريخ ج١٠ ص ٣٦٧ ، المسعودي التنبيه والاشراف ص ٣٠٦ .

قام به يحيى العلوي (١) وقد اعترف يحيى البرمكي للرشيد بانه فعل ذلك لكي يقوى أمر العلوي فيذهب اليه احد اولاده فيطفىء فتنته فتعظم مكانته عند الخليفة فقال له الرشيد وما يؤمنك ان تقوى شركته فيقتل ابنك الفضل ويقتلني (٢). وقد عبر الرشيد عن مخاوفه من البرامكة بقوله : (اني خائف ان تمكن هؤلاء من خراسان ان يخرج الامر من يدي) (٣).

ويروى الاصفهاني ان البرامكة ارادوا الايقاع بين العباسين وبين بني عمومتهم العلويين فيقول : (ان السبب في أخذ موسى بن جعفر العلوي وحبسه ان الرشيد جعل ابنه محمد الامين في حضن جعفر بن محمد بن الاشعث فحسده يحيى البرمكي وقال : ان افضت الخلافة اليه زالت دولتي ودولة ولدي. فأحتال على جعفر بن محمد بن الاشعث وكان يقول بالامامة حتى داخله وانس به وامر اليه فرفعه إلى الرشيد، وقال : ان الاموال تحمل اليه من الشرق والغرب، وان له بيوت تحمل اليه فسمع منه الرشيد ذلك فحبسه حتى مات سنة ١٨٣هـ) (٤).

والواقع ان البرامكة كانوا يعدون العدة للانقضاض على الدولة العباسية فقد أعدوا الجيوش الكبيرة من العناصر الفارسية في خراسان وغيرها، وكونوا فرقا كبيرة سموها (العباسية) والتي عرفت عند البغداديين باسم (الكرمينيه) وعدتها خمسمائة الف فارس وليس فيها عربي واحد وكان قوادها من العجم وكانت تجري عليهم ارزاق دائمة من بيت مال المسلمين ودون علم الخليفة، وجعل ولائهم جميعاً لال برمك دون سواهم (٥). وقد ابقى البرامكة قسم من هذه الفرقة العسكرية في قلب بغداد وهيأوا لها مربضا واسعا بجانبهم في معسكر الرصافة وانزلوها فيه (٦).

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ .

(٢) المصدر السابق : والصحيفة.

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٦ ص ٧١ .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٠١ .

(٥) الطبرى : جـ١٠ ص ٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهائية في التاريخ جـ ١ ص ١٧٢ .

(٦) المصدر السابق والصحيفة .

ويعلق بعض المؤرخين على ذلك فيقول : والذي يمعن النظر في هذه الخطة المدبرة يجد ان انقلابا عسكريا مسلحا وضع مصير الرشيد والخلافة العباسية في قبضة الفرس البرامكة اذ لم يبق بين سيادة العنصر العربي وبين خضوعه لحكم الفرس الا غضبة برمكية فيعتقل الجيش شخص الرشيد ثم يزحف جيش (العباسية) من خراسان لضم باقي أقاليم الدولة اليه، هذا اذا اراد آل برمك اعادتها فارسية محضة، وما ذلك على طموح جعفر بن يحيى البرمكي ببعيد (١).

وقد اقتفى آثار سياسة البرامكة الفضل بن سهل وزير المأمون في تكتيل العناصر الفارسية وابعاد العرب عن المناصب الخطيرة في الدولة تمهيدا لتحويلها فارسية مجوسية، فقد شجع الفضل بن سهل المأمون على الاقامة في خراسان والتمسك بحقوقه بالخلافة تجاه اخيه الامين وبين له قوة مركزه فقال له : (وكيف بك وانت نازل بين اخوالك وبيعتك في أعناقهم واجبة... اصبر وانا اضمن لك الخلافة) (٢) فكانت أم المأمون ام ولد فارسية فالتف الفرس حوله وقالوا له : (ابن اختنا وابن عم رسول الله) (٣) وزوجوا المأمون من (بوران) ابنة الحسن بن سهل لتحقيق آمالهم بالسيادة لانهم كما يقول الفضل بن سهل جمعوا بين اشرف دم عربي وهو دم النبوة واشرف دم فارسي وهو دم الاكاسرة (٤).

وعمل على ان تكون السيادة للعنصر الفارسي فحاول الفضل بن سهل التخلص من القواد العرب الذين ناصروا المأمون في محنته مع اخية الامين(٥) فدبر مؤامرة للتخلص من القائد العربي هرثمة بن اعين، ومقتل هرثمة دليل واضح على السياسة العنصرية الفارسية التي سار عليها الفضل بن سهل

---

(١) الجومرد : هارون الرشيد ج٢ ص ٤٧٥
(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٧٨
(٣) الطبرى ج١٠ ص ١٢٩ ، الجهشيارى : ص ٢٧٩
(٤) اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة ص ٢٩١
(٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج٢ ص ١١٢ .

وعلى قوة الحركة الشعوبية ومحاولتها القضاء على رجالات العرب وابعادهم عن مراكز القيادة والسياسة والادارة لكي تتمكن الشعوبية ان تعبث بسلامة ومكانة الدولة العباسية (١). وسعى الفضل بن سهل في تحقيق خططه العنصرية الخطرة فحسن للمأمون تولية علي الرضا عهده لتحويل الخلافة اسميا إلى آل علي والتحايل عليهم فيما بعد وجعلها فارسية فيقول الجهشياري (كان المأمون قد جد في تولية العهد لعلي الرضا وتقدم إلى الفضل بأخذ البيعه له على الناس، والكتابة إلى الاقاليم في ابطال السواد (شعار العباسيين) وكتب الفضل إلى اخيه الحسن يعلمه بذلك ويأمره بطرح السواد ولبس الخضرة ويجعل الاعلام والقلانس خضرا ويطالب الناس بذلك وكاتب فيه جميع عماله) (٢). وقد تجرأ بعض الشخصيات العربية كنعيم بن خازم أن يكشف سياسة الفضل بن سهل التي ترمي من ورائها تحويل الخلافة إلى الفرس بقوله له :)انك انما تريد ان تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا، ولولا انك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده من البياض إلى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس) (٣).

لقد ادرك المأمون حقيقة الامر وخطورة السياسة الفارسية التي انتهجها وزيره الفضل بن سهل فقرر مغادرة خراسان والعودة إلى بغداد (٤). وان هذا الاتجاه لم يكن مجرد تبديل العاصمة بل كان انقلابا سياسيا على السياسة التي تمثلها العاصمة الاولى (مرو) فبدأ الصدام الحقيقي ولزوم التخلص من وزيره الفضل بن سهل ومن ولي العهد ايضا (٥) وتم ذلك في طريق عودته إلى بغداد.

---

(١) اليوزبكي : الوزارة السياسية ص ١١٨ .
(٢) الجهشيارى : ص٣١٢ ، ابن الاثير : الكامل جـ٦ ص ١١ ، اليعقوبي : تاريخ جـ٣ ص ١٧٦.
(٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣١٣ ، ابن الاثير : الكامل جـ٦ ص ١١ .
(٤) اليوزبكي : الوزارة ص ١١٩ .
(٥) الدوري : العصر العباسي الاول ص ٢١٤ .

ويبدو ان الشعوبيين الفرس شعروا بخيبة الامل في تحقيق النصر بعد انوجدوا ان الحركات السياسية والعسكرية المسلحة لم تجد نفعا فالتجأت إلى هدم المجتمع العربي بتحطيم السياج الديني والقيم والفضائل العربية بنشر تعاليم فاسدة واباحت المحرمات للعبث بالاداب العامة ونشر الشكوك حول الاسلام ومهاجمة التقاليد العربية السامية واحياء عقائد المجوسية. وبذلك يكونوا قد تجنبوا الاخطاء التي واجهت الحركات السياسية الفارسية التي فشلت في تحقيق اهدافها العنصرية. فاتجهت الشعوبية في تحقيق اهدافها بالهجوم على الاسلام والحط من القرآن الكريم فالاعاجم الذين يصعب على اكثرهم ان يتفهموا القرآن ويتدبروه فقالوا : انه غير منظم ولا مبوب، وانه محتذى ومنقول، وانه زيف مدخول، وانه غير بليغ، ولا فصيح، وبلغت القحة ببعضهم انقالوا : ان فيهاغلاطا نحوية، وركاكات بيانية (١). هذا القرآن ابلغ كتب العرب، ولولاه لما كان لهم شريعة، ولا عقيدة، ولا نظام (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً) عجز فصحاء العرب عن الاتيان بمثله او بأية من مثله .

كما حاولت الشعوبية تزييف الاحاديث النبوية، فقد وضعوا أحاديث كثيرة في فضل الفرس، واسندوها الى الثقات من الصحابة والتابعين، فمثلا في حديث نسب للرسول (لاتسبوا فارسيا فما سبه احد الا أنتقم منه عاجلا او آجلا وزعموا انالرسول قال (لو كان العلممعلقا عندالثريا لتناولهرجل من فارس)(٢) وحاولوا ايضا تشويه الفقه الاسلامي عن طريق دس الاحكام الزائفة او التي تثير القلق، وتفسدالاحكام الدينية، مستهدفين التفرقة بين احكام المسلمين(٣) واظهار احكامهم بالتناقض والهزال لايقبلها الدين ولا العقل والمنطق السليم

واسفرت الدعوة الشعوبية عن وجهها القبيح بالدعوة إلى تمجيد الفرس وكل ماهو فارسي، وإلى تحقير العرب، وكل ماهو عربي، فاخذوا بمهاجمة

---

(١)- انظر : كرد علي، الاسلام والحضارة العربية ص ٦٩ .

(٢) الليثي : الزندقة والشعوبية ص ١٨١

(٣) المصدر السابق ص ١٨٢

الفضائل العربية وعملوا على تفسيخ القيم الخلقية العربية الاسلامية ، فدعوا إلى المجون والشراب وجاهروا بالخلاعة ، والانحراف الجنسي ، واعتبروا ذلك نوعا من التحرر ومثلا في الظرف (١). وقد اشار صاحب الاغاني إلى قصص غريبة عن تحللهم الخلقي والاجتماعي والديني ، وعن دورهم في افساد المجتمع والدين والاخلاق (٢) فقد كان منهم عبد الكريم بن ابي العرجاء يفسد الاحداث ويستنز له ويدخله في دينه (٣) ويقول عنه البغدادى (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧) انه كان مانويا يؤمن بالتناسخ،ويتخذ من شرح سيرة ماني وسيلة للدعوة في تشكيك الناس في عقائدهم)(٤) .

وممن دعا من عتاة الشعوبية إلى نشر الخلاعة والمجون لافساد المجتمع العربي عن طريق افساد الشباب بالدعوة إلى التغزل في النساء والمذكر والخمرة الشاعر ابو نؤاس فقد حث الناس على شربها ، ودعا إلى الاباحية وإلى السخرية من الدين (٥) فقال في الدعوة إلى شرب الخمر :

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولاتسقني سرا إذا امكن الجهر

وقال ايضا :

فان قالوا حـرام قل حـرام ولكن اللذاذة في الحـــرام

وقال في التهتك والالحاد :

يا ناظرى في الدين ماالامـر لاقدر صـح ولا جبـر
ماصـح عندى من جميع الذي تذكر الا الموت والقبـر

---

(١) اليوزبكي : الوزارة العباسية ص ١١٤

(٢) الاصفهاني : الاغاني جـ٣ ص ١٨٢ — ص ١٨٣ ، ص ١٨٤ ، جـ٢ ص ٧٦ ص ٥٩ ص ٩٦ ، ص ١٠٠٠ — ١٠٥

(٣) الا صفهاني : الاغاني جـ٣ ص ١٤٧ .

(٤) الليثي : الزندقة والشعوبية ص ١٨٦

وكانت لهذه الدعوات الشعوبية التي اثارها ابو نؤاس وغيره من الشعراء الفرس منهم بشار بن برد وحماد عجرد وحماد الراوية وغيرهم لها اثرها في انتشار اندية اللهو والمجون والخلاعة في الكوفة والبصرة وبغداد يسخرون فيها من الديانات والاخلاق والتقاليد الاجتماعية التي تحظر عليهم لهوهم(١).

وراح الشعوبيون يؤلفون الكتب والرسائل ويصنفون المسامرات والخطب ينتقصون فيها من قدر العرب، وحضارتهم، وتاريخهم، فراجت عندهم اسواق الهجاء والمديح، ورد العرب على العجم برفق لئلا ينفروهم، وكانوا يرمون إلى تأليف القلوب لا إلى تمزيقها شأنهم شأن الامم العاقلة التي ترمي ابداً إلى تكثير سوادها، وجمع القلوب على حبها، فتتحاش العبث بمقدسات الناس، وتحفظ لهم حرمتهم وكرامتهم (٢). ولم يكتف الشعوبيون بهذا، وانما نظروا إلى ماضي الامم، ومقارنتها بما في الامة العربية قبل الاسلام فقالوا : لكل امة في ماضيها ميزة، فالرومان تفخر باتساع سلطانها، وكثرة مدنها، وعظمة مدنيتها، والهند تفخر بحكمتها وطبها.. والصين تزهوا بصناعتها وفنونها الجميلة على حين لا يوجد للعرب قبل الاسلام شيء تمتاز به (٣)، متجاهلين ما للعرب من ادب رفيع، وعلم عزير، وحكم بليغة، ومثل عليا، وخلال حميدة سامية، وشجاعة نادرة، وكرم ضيافة ومروءة .

وبذل الكتاب من الشعوبيين كل سبيل لتقليل شأن الثقافة العربية الاسلامية ، وبعث الثقافة الفارسية، واتخذوا في ذلك سبلا متعددة ،منها نشاط حركة الترجمة عن الفارسية، في موضوعات الادب والتاريخ والدين والنظم والعادات والتقاليد فترجموا كتاب (خداينامه) و(سير ملوك الفرس) وكتاب (آيين نامه) و(المراسيم والتقاليد الساسانية) وترجموا كتاب (مزدك) ويتضمن

(١) الاصفهاني : الاغاني جـ٥، ص ١٦٦

(٢) كرد علي : الاسلام والحضارة العربية جـ١ ، ص ٤٥ .

(٣) العدوى : المجتمع العربي ص ١٤

عقائد المجوسية واخلاقيتهم التي لا تتفق والمفاهيم الاسلامية ترجمه ابن المقفع كما ترجم كتاب (التاج) في سيرة انوشروان، وكتاب (كليلة ودمنة) واضاف اليه بابا للترويج للمانوية (١) وترجم غيره عدد من كتب الفرس المجوس منهم : محمد بن الجهم البرمكي ، حيث ترجم كتاب (سيرة ملوك الفرس) وترجم زادريه بن شاهدربه الاصفهاني كتاب (تاريخ ملوك الفرس) وترجم محمد بن بهرام بن مطيار الاصبهاني كتاب (ملوك الفرس) وترجم بهرام بن مرد انشاه موبذ كورة (شابو) كتاب (تاريخ ملوك بني ساسان) (٢) ومن الكتب المترجمة ايضا كتب سير الفرس المعروف بـ (إختيارنامة) نقله اسحق بن يزيد (٣) كما ترجمت كثير من الكتب الدينية المانويه وغيرها إلى العربية والتي اشار اليها ابن النديم والمسعودي (٤) .

وألف دعاة الشعوبية الكتب الكثيرة في مناقب العجم ، وبرزوا مثالب العرب ومن هذه الكتب (انتصاف العجم من العرب) وكتاب (فضل العجم على العرب و افتخارها) (٥) .

ومن الكتب التي وضعت لاظهار مثالب العرب كتاب (المثالب الكبير) وكتاب (مثالب ربيعه) وكتاب (أسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولدت) وكان من ابرز هؤلاء الكتاب سهل بن هرون صاحب بيت الحكمة في عهد المأمون والذي الف رسالة في البخل اعتبر فيها الكرم رذيلة والبخل فضيلة (٦). وقد هاجموا بهذه الكتب القيم العربية ، والمثل العليا كالكرم، والوفاء ، والمروءة والفروسية ، وحاولوا بذلك أن يحولوا المأثرة الى منقصة ، وأن يجعلوا الكرم والبذل مذمة (٧) .

(١) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ١٦ .
(٢) احمد امين : ضحى الاسلام جـ١ ، ص ١٧٧ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٢ ، ص ٢٣٢ ، ص ٣٤٢ .
(٤) ابن النديم : ص ١٧٣ ، المسعودى : مروج الذهب جـ٣ ، ص ٣٩٢ طبع باريس.
(٥) ابن النديم : الفهرست ص ١٢٣ .
(٦) ابن النديم : ص ١٩٤ ، ياقوت : معجم الادباء جـ١٢ ص ٢٢٦ .
(٧) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ١١١

ولم يكتف الكتاب منهم بالترجمة بل انهم وضعوا أشياء كثيرة نسبوها الى الفرس القدماء ليضفوا عليهم صفة الأمجاد مما يساعد على احياء الوعي العنصري الفارسي وليقللوا من شأن الحضارة العربية الإسلامية (١).

وحاول الفرس أن يحيوا التقاليد الفارسية في الادارة والسياسة كما فعل الفضل بن سهل وزير المأمون (حيث كان يجلس على كرسي مجنح ، ويحمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون ، فإذا وقعت عين المأمون عليه وضع الكرسي ونزل عنه فمشى وحمل الكرسي حيث يوضع بين يدي المأمون ثم يسلم ذو الرياستين ويعود يقعد عليه ، وإنما ذهب ذو الرياستين في ذلك مذهب الأكاسرة ولعل الجناحين يمثلان أجنحة اهورا مزدا اله الخير عند الزرادشتية(٢).

وقد سعى الكتاب الفرس من الشعوبيين الى الترويج لدراسة الثقافة الفارسية وقد أشار الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨م) الى سبلهم في ذلك بقوله : (والناشيء منهم إذا وطيء مقعداً لرئاسة روى لبزرجمهر أمثاله ، ولاردشير عهده ، ولعبد الحميد رسائله ، ولابن المقفع أدبه ، وصير كتاب مزدك معدن علمه ، ودفتر كليله ودمنة كنز حكمته ، ثم يكون أول بدءه الطعن على القرآن في تأليفه والقضاء عليه بتناقضه ..) (٣) وهاجمت الشعوبية اللغة العربية والتاريخ العربي ، لانهم يدركون أنها أساس الثقافة العربية ، وانها ليست فقط لغة العلم والأدب والثقافة وإنما هي لغة الدين والسياسة ، واتهمتها بالعجز في المفردات والألفاظ والتعابير والمعاني . واستمرت الحركة الشعوبية في العراق تقوى وتضعف فهي كالنار التي تحت الرماد تظهر متى هبت عليها الأعاصير ، أو متى وجدت لها متنفساً ، بأبشع صورة وأخطر أسلوب .

ومن خلال ماذكرنا من الأحداث التاريخية التي وقعت بين العرب والفرس نجد ان المشكلة أخطر من أن تكون (مشكلة سياسية) فهي مسألة عنصرية

---

(١) المصدر السابق ص ٦٦ .

(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣١٦ .

(٣) الجاحظ : ثلاث رسائل ص ٤٢ .

حمل لواءها العنصريون الفرس طوال قرون عديدة وحتى الآن وعلى امتداد تاريخهم .
يكتمونه مرة ويعلنونه أخرى تبعاً للظروف السياسية والأوضاع الداخليه المحيطة بالعراق . وما السلوك العنصري السافر لحكام ايران تجاه العراق وشعبه والامة العربية الآن الا حلقة من هذه الحلقات الكثيرة السابقة المعبرة عن حقدهم الدفين وشعوبيتهم المقيتة ، فليس غريباً أن يرفع الآن أحفاد الخراساني والبرامكة وآل سهل وآل بويه سلاح الحقد ثانية في وجه العرب والإسلام ، في وقت بدأ العرب بنهضتهم المعاصرة لاعادة مجد آبائهم ونشر حضارتهم ومبادئهم الانسانية مستلهمين هذه النهضة من مبادىء رسالة الإسلام وقيم العروبة متمثلة بالمواقف الإخلاقية النبيلة التي عرف بها العرب على امتداد تاريخهم الناصع الذي تشهد له كل الشعوب .

المصادر والمراجع

ابن الأثير : أبو الحسن علي بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

١ . الكامل في التاريخ
المطبعة الخيرية — مصر ١٣٤٩ هـ.

ابن النديم : ابن النديم (ت ٣٨٣ هـ أو ٣٨٥ هـ / ٩٩٣ أو ٩٦٥ م)

٢ . الفهرست
سلسلة روائع التراث العربي (نشر مكتبة خياط بيروت) .

ابن الأثير : أبو الفداء الحافظ اسماعيل بن محمد الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)

٣ . البداية والنهاية في التاريخ
طبع مكتبة المعارف ، بيروت ومكتبة الشعر ، الرياض ١٩٦٦ .

البغدادي : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م)

٤ . الفرق بين الفرق
طبع مؤسسة نشر الثقافة الإسلامية ، مصر ١٩٤٨

البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي

٥ . الآثار الباقية عن القرون الخالية
مطبعة لايبزك ١٩٢٣ م

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م)

٦ . ثلاث رسائل وتسمى (رسائل الجاحظ)
باعتناء تنكل ١٣٢٤ هـ طبع القاهرة

٧ . البيان والتبيين
تحقيق عبد السلام هارون ، نشر مكتبة المثنى بغداد والخانجي مصر ١٩٦٠ م

الجهشياري : محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م)
٨ . الوزراء والكتاب
مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨ م

الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داؤد
٩ . الأخبار الطوال
مطبعة بريل — ليدن ١٨٨٨ م باعتناء جرجاس

الاصفهاني : الامام أبي الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦م)
١٠. مقاتل الطالبيين
١١. الاغانـي
تصحيح أحمد الشنقيطي / مطبعة التقدم مصر

الطبـري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
١٢. تاريخ الرسل والملوك
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ — ١٩٦٣ م

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٥٧م)
١٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر
مطبعة دار الرجاء / القاهرة
١٤. التنبيه والاشراف
ليدن — مطبعة بريل ١٩٦٧ م

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

١٥. (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)
طبع بولاق — القاهرة ١٢٧٠ هـ

مجهـول : مؤلـف مجهول
١٦. العيون والحدائق في أخبار الحقائق
طبع مكتبة المثنى / بغداد

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف بابن
واضح الأخباري (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)
١٧. تاريخ اليعقوبي
مطبعة الغرى ، النجف — العراق

أمين : أحمد
١٨. ضحى الإسلام
ط ١٠ نشر دار الكتاب العربي — بيروت

الجومرد : عبد لجبار
١٩. هارون الرشيد
مطبعة دار الكتاب — بيروت ١٩٥٦ م

حسـن : حسن ابراهيم
٢٠. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والأجتماعي
طبعة مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٥٣ م

الـدوري : عبد العزيز
٢١. العصر العباسي الأول
مطبة النقيض الأهلية — بغداد ١٩٤٢
٢٢. مقدمة في التاريخ لأقتصادي العربي
دار الطليعة — بيروت ١٩٦٩
٢٣. الجذور التاريخية للشعوبية
دار الطليعة — بيروت ١٩٦٩م

العـــدوى : ابراهيم أحمد
٢٤. المجتمع العربي ومناهضة الشعوبية
طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١ م
كـرد عـلي : محمــد
٢٥. الاسلام والحضارة العربية
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط٢
١٩٥٠ م
الايشي : سميرة مختار
٢٦. الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليها
طبع ونشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨ م
اليوزبكي : توفيق سلطان
٢٧. الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية
ط ١ مطبعة الارشاد / بغداد ١٩٧٠
ط ٢ مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٦
٢٨. تاريخ أهل الذمة في العراق
اطروحة دكتوراه غير منشورة .

العلاقة بين العروبة والاسلام

الدكتور هاشم يحيى الملاح
استاذ

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

ان العرب بصفتهم الجنسية ، قد وجدوا في جزيرة العرب وانتشروا في منطقة الهلال الخصيب منذ عدة آلاف من السنين (١) . ولكن الوعي بوجودهم باعتبارهم امة متميزة عن غيرها من الامم ، لم يبدأ بالظهور إلاّ قبيل ظهور الاسلام بقليل ، حيث انتشر بينهم شعور بوحدة النسب ، وأخذت اللغة العربية الفصحى تطغى على اللهجات القبلية ، وراح شعراؤهم ينظمون القصائد بهذه اللغة . كما اخذت القبائل العربية تعقد المحالفات فيما بينها ، وتنظم الاسواق التجارية ، وتتجه في عبادتها نحو طقوس وتنظيمات موحدة ، تجلت في اتخاذهم مكة مركزاً للحج والعبادة الوثنية وفي اتخاذهم الاشهر الحرم مواسم للحج والتجارة يسود فيها السلام ويتوقف فيها القتال (٢) .
ان اصح ما يوصف به الوعي العربي في هذه المرحلة بأنه وعي سلبي ، اذ كان العربي يدرك قوة العوامل المشتركة التي تربطه بإخوانه العرب ، من خلال مقارنتهم بأبناء الامم الاخرى والذين اسماهم بالاعاجم . فالعربي ، أيا كان انتماءه القبلي ، يستطيع التفاهم مع ابناء القبائل الاخرى بواسطة اللغة العربية الموحدة . بينما لايستطيع ان يفعل الشيء نفسه مع الفرس او الروم او الاحباش.
كما يشعر العربي بوحدة التقاليد والعادات ، والارث الثقافي التي تشده إلى ابناء القبائل العربية . لذا فقد كان العربي يشعر بروح الوحدة والتعاطف تجاه ابناء قومه من العرب كلما ابتعد عن موطنه ، او كلما وقع عدوان عليهم من قبل الاعاجم .
وقد تجلى هذا الشعور بصورة واضحة عند العرب حينما انتصر بنو شيبان على الفرس في معركة ذي قار حتى لقد اورد الطبري ان النبي محمد (ص) قال — وكان ذلك في نفس عام البعثة سنة ٦١٠م — (هذا اول يوم انتصف العرب من العجم . وبي نصروا) (٣) .
وقد لعبت الرسالة الاسلامية دوراً كبيراً في توحيد العرب في كافة المجالات. الدينية والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وعمقت لديهم الوعي بالذات ،

ألقي هذا البحث ضمن محاضرات الموسم الثقافي في كلية الآداب – جامعة الموصل في ١٩٨١/٥/٢٥ .

ومنحتهم رسالة ذات بعد عالمي . وبذلك نقلت الوعي العربي من حالته السلبية إلى حالة ايجابية .

وقد حققت الرسالة الاسلامية ذلك من خلال الأمور الآتية : —

١ — ان الرسالة الاسلامية قد نزلت على محمد بن عبد الله (ص) وهو عربي من قريش .

٢ — ان الوحي الذي تجسد في القرآن الكريم ، قد نزل باللغة العربية الموحدة. وكان معجزة الرسول إلى قومه . وبالتالي فقد أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للرسالة الاسلامية مما جعل الفقهاء يصفون الشريعة الاسلامية بـ (الشريعة العربية) (٤) ويشترطون فيمن يتصدى للاجتهاد في الفقة الاسلامي أن يبلغ مرتبة الاجتهاد في اللغة العربية أيضاً (٥) .

٣ — لقد أكد القرآن الكريم في عدة آيات صفته العربية باعتبارها صفة مغايرة للعجمة نحو قوله : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) (٦) (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) (٧) (ولو أنزلناه على بعض الاعجميين فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنون) (٨) (لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين) (٩).

ان ماتقدم يدل دلالة واضحة على أن هذا القرآن عربي ، وبلسان العرب انزل (لا انه أعجمي ولا بلسان العجم . فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم ، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة) (١٠) .

٤ — لقد سعت الرسالة الاسلامية إلى توحيد العرب ، فدعت إلى توحيد الخالق في مقابل تعدد الآلهة . ودعت إلى طاعة الرسول في مقابل طاعة شيوخ القبائل. وانتصرت لطريقة الحياة المدنية في مواجهة حياة الاعراب البدوية .

إضافة إلى ماتقدم فقد تضمنت جميع الشعائر والطقوس الدينية الاسلامية من صلاة وصوم وحج وزكاة ابعاداً وحدوية واضحة (١١) .

لقد سعى الإسلام إلى تغليب رابطة العروبة على الرابطة القبلية ، ثم سعى لتوحيد العرب في امة واحدة . وقد اتخذ من اللغة العربية الأساس الأول لتحديد هوية العربي فقد روى ابن عساكر أن الرسول (ص) قال : (أيها الناس إن أباكم واحد ، وان ربكم واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم إنما هي اللسان) وفي رواية (انما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي) (١٢).
وبذلك يتضح أن المفهوم الإسلامي للعروبة يقوم على اللغة والإنتماء فمن تكلم العربية واعتبر نفسه عربياً فهو عربي .
لقد اعترف القرآن الكريم بحقيقة انقسام الناس إلى شعوب وقبائل ، وأشار إلى أن من آيات الله اختلاف الوان الناس والسنتهم . ولكنه لم يشأ أن يجعل من ذلك سبباً لتفضيل بعضهم على بعض أو داعياً من دواعي الخصام وإنما دعاهم إلى التعاون فيما بينهم وقرر أن أساس التفاضل عند الله التقوى وهي تعني الالتزام المخلص بالأوامر الآلهية . جاء في القرآن الكريم : (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (١٣).
على ضوء ماتقدم يتبين أن مكانة العرب في الإسلام تنبع من كونهم أول من آمن بالرسالة الإسلامية ، واستوعب تعاليمها وجاهد من أجل تجسيد هذه التعاليم في الارض . كما تنبع من قدرة العرب بحكم لسانهم العربي على تفهم معاني الرسالة الإسلامية وتوضيحها للناس . لذا فقد وصفهم القرآن بقوله : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله(١٤).
وإذا كانت الرسالة الأسلامية قد بدأت بالعرب لأنهم كانوا أكثر من غيرهم استعداداً لحملها ، فأن ذلك لايعني أنها قد جاءت مقصورة عليهم كما ذهب بعض الباحثين (١٥) . إنما بدأت الرسالة الإسلامية بالعرب لتصل من خلالهم إلى الناس كافة .وقد نص القرآن الكريم على ذلك صراحة بقوله : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (١٦) ،)وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)(١٧).
وهكذا فقد وقع على عاتق العرب واجب التبشير بهذه الدعوة وتبليغها إلى الناس كافة .

وهكذا فما كاد العرب يتوحدون في أمة واحدة حتى انطلقوا في حركة الفتح التي استهدفت تحرير الارض العربية من التسلط الفارسي والبيزنطي ، وخلق الأجواء المناسبة لنشر العقيدة الجديدة بين سكان البلاد المحررة . وقد شجع الخليفة عمر بن الخطاب ابناء القبائل العربية على المساهمة في الفتوح وسجل أسماءهم في ديوان العطاء .كما قام بأنشاء مدن جديدة لأسكان الجند من العرب ، فأنشأ البصرة والكوفة والفسطاط وقد أصبحت هذه المدن فيما بعد مراكز للثقافة العربية حيث أزدهرت فيها الدراسات اللغوية والشرعية (١٨).

ويلاحظ ان الخليفة عمر بن الخطاب قد اعطى عناية خاصة للعرب ، فمنع استرقاق العربي لاى سبب كان . كما منح نصارى العرب القاطنين في سورية والعراق معاملة مفضلة ، حتى لقد وافق على اعفاء نصارى بني تغلب من دفع الجزية ، على ان يدفعوا عوضا عن ذلك الزكاة إلى الفقراء مضاعفة (١٩) . وذلك أن (بنى تغلب قوم عرب يأنفون من الجزية) (٢٠) اما من اراد من نصارى العرب المساهمة في الجهاد إلى جانب المسلمين فقد اسقطت عنه الجزية (٢١) ، لانها (ليست ضريبة دينية ، علة وجوبها هي المخالفة في الدين ، بل كانت بدلا من الجزية ، عندما اقتضت ضرورات الامن قصر الجندية على المسلمين) (٢٢) .

اما سكان البلاد المفتوحة ، فقداخذوا يحتكون بالعرب الفاتحين في شتى المجالات الادارية والسياسية ولاقتصادية وراح الكثير منهم يعتنقون الدين الاسلامي ، ويتعلمون اللغة العربية .بل ان الكثير منهم قد انتمى إلى قبائل عربية عن طريق الولاء ، حتى لقد اصبحت كلمة موالي تعني المسلمين من غير العرب (٢٣) .

ولم يكن سكان البلاد المفتوحة يفرقون في البداية بين العروبة والاسلام ، بل كانوا يعدون من يعتنق الاسلام منهم مستعربا (٢٤) فقد اورد الطبرى ان أمير خراسان وما وراء النهر اشرس بن عبدالله السلامي (٧٢٩ — ٧٣٩ ﻫ) كان قد وعد من يسلم من العجم باعفائه من ضريبة الخراج ، فأقبل الناس على دخول الاسلام ، فشكا الدهاقين اليه من قلة الخراج بقولهم : (ممن نأخذ

الخراج ، وقد صار الناس كلهم عربا) (٢٥) وهم يريدون من كلمة عرب المسلمين الجدد من الفرس كما اورد البلاذري ان ابا جعفر المنصور سأل مولى لهشام بن عبدالله (١٣٢هـ) عن دويته فقال : (ان كانت العربية لسانا فقد نطقنا بها ، وان كانت دينا فقد دخلنا فيه) (٢٦).

ويبدو ان الخلافة الأموية كانت تشجع هذا الربط بين العروبة والاسلام واعتبار كل من يتعلم العربية ، عربيا ، فقد روى البلاذري ان الحجاج قال يوما لاهل الكوفة : (لايؤمنكم الا عربي) فوثب البعض بالقارىء يحيى بن وثاب ، وهو مولى كان يؤم في الصلاة ليمنعوه من ذلك . فأبنهم الحجاج قائلا : (ويحكم انما قلت عربي اللسان) (٢٧) .

لقد ادى انفتاح العرب على سكان البلاد المفتوحة في اطار الاسلام إلى بروز ظاهرة الاندماج بين العرب والموالي فأقبل الموالي على اكتساب الثقافة العربية والمتمثلة باللغة والادب العربي اضافة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الاسلامي حتى لقد برز من بينهم علماء يشار لهم بالبنان .

كما اقبل بعض العرب على تزويج بناتهم للموالي ، وهي ظاهرة ترفضها العقلية العربية القائمة على العصبية القبلية . حتى لقد شكا أمير الكوفة عبدالحميد ابن عبد الرحمن إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز منها بقوله : (اني وجدت الموالي يتزوجون إلى العرب والعرب إلى الموالي) فرد عليه الخليفة بقوله : ان الطمع من جانب بعض العرب والبطر من الموالي وراء ذلك . ثم قال : (ولا احرم حلالا ولا احل حراما) (٢٨) .

لقد أدى هذا التطور وتوسع ظاهرة التعريب إلى تجاوز مفاهيم النسب عند العرب .يقول الجاحظ : (واذا كان المولى منقولا إلى العرب في اكثر المعاني ، مجعولا منهم في عامة الاسباب ، لم يكن ذلك بأعجب ممن جعل الخال والدا والحليف من الصميم) . لذا فقد اعتبر الجاحظ ان اللغة والثقافة والسجايا اساس العروبة (٢٩). إلى جانب المفهوم المدني الاسلامي للعروبة . الذي اخذ

يستقر ويتوطد نتيجة كثرة المستعربين من سكان البلاد المفتوحة ، فقد كان المفهوم القبلي للعروبة يؤكد على صراحة النسب والفصاحة في اللغة ، باعتبارها هي العناصر الاساسية لتحديد هوية العربي ، وكان مما يعزز هذا الاتجاه ، ثقة ابناء القبائل العربية بأنفسهم نتيجة اعتناقهم للاسلام ، ومساهمتهم البارزة في الفتوحات العربية الاسلامية ، وشعورهم بأن الدولة العربية الاسلامية دولتهم . وقد ترتب على هذه الأمور شعور ابناء القبائل العربية بنوع من الاستعلاء على الموالي وغيرهم من سكان البلاد المفتوحة ، ورفض التعامل معهم على اساس المساواة والاحترام المتبادل (٣٠) .

وقد حاول الامويون أن يكبحوا جماح هذه النزعة القبلية لانها لا تأتلف وتكوين الامة المتماسكة ، ولا تنسجم مع فكرة الامة الواحدة . وقد اورد الطبرى خطبة لزياد بن ابيه في البصرة تعبر عن ضيقه بالتعصب القبلي . وكان مما جاء فيها : (... أما بعد ، فأن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ... ما يأتي سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام .... قربتم القرابة وباعدتم الدين ... كل امريء منكم يذب عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عقابا ولا يرجو معاداً .... أباى ودعوى الجاهلية فإني لا أجد احداً دعا بها الا قطعت لسانه) (٣١).

وفي المقابل فقد برز بين الموالي تيار يتعصب للتراث الفارسي القديم . ويناصب العروبة والاسلام العداء . وقد عرف اصحاب هذا التيار بالشعوبيين . وقد تطورت هذه الحركة في العصر العباسي حتى غدت خطراً على الدين والدولة. وقد أشار الجاحظ إلى أن عامة من ارتاب بالاسلام إنما جاءه هذا عن طريق الشعوبية فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله ،وان أبغض تلك اللغة ، أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام ، إذ كانت العرب هي التي جاءت به ، وكانوا السلف (٣٢) .

وقد أرجع الجاحظ ذلك إلى حسد الشعوبية للعرب وحقدهم عليهم :
(ثم أعلم أنك لم تر قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا اعدى على دينه ،ولا

أشد استهلاكاً لعرضه ،ولا أطول نصباً ،ولا آقل غنماً من أهل هذه النحلة . وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم ...) (٣٣) . لذا فقد عمد هؤلاء الشعوبيون إلى التشكيك بالتراث العربي الاسلامي ورجاله . وقد وصف لنا الجاحظ موقف أحد هؤلاء الشعوبيين بقوله :)فإن استرجع أحد أصحاب الرسول (ص) فتل عن ذكرهم شدقه ، ولوى عند محاسنهم كشحه ، وإن ذكر شريح جرحه ، وإن نعت له الحسن استثقله ، وإن وصف له الشعبي استحمقه ، وإن قيل له ابن جبير استجهله ، وإن قدم عنده النخعي استصغره. ثم يقطع ذلك من مجلسه سياسة أردشير بابكان ، وتدبير انوشروان واستقامة البلاد لآل ساسان) (٣٤) . لقد واجه الكتاب والمؤرخون العرب من أمثال الجاحظ (٣٥) وابن قتيبة (٣٦) ، والأصمعي (٣٨) وغيرهم هذه الهجمة الشعوبية عن طريق تأليف الكتب التي تفند مزاعم الشعوبية ، وتؤكد اصالة العرب في الجاهلية والإسلام ، من خلال جمع تراثهم الأدبي والثقافي في مؤلفات شاملة ، وابراز دورهم العظيم في الفتوح ، وفي حمل الرسالة الإسلامية إلى العالم .

أما فقهاء الشريعة الاسلامية ، فقد أكدوا جميعاً ماعدا الخوارج على ضرورة الترابط بين العروبة والإسلام من خلال اشتراطهم فيمن يتولى الخلافة أن يكون عربياً من قريش استناداً إلى الحديث الذي يروونه عن الرسول (ص) : (الائمة من قريش) (٣٩) ان موقف الفقهاء هذا ، يعني أن هوية الدولة الإسلامية ومن وجهة نظر الشريعة الإسلامية ، ينبغي أن تبقى عربية ، بحكم عروبة رئيسها وشريعتها . وقد اكتسب هذا الشرط أهميته الخاصة منذ النصف الثاني من العصر العباسي ، حينما أخذ المتغلبون من العجم يحاولون السيطرة على الخلافة (٤٠) لقد استمر الفقهاء على التمسك بالموقف أنف الذكر حتى الوقت الحاضر ، بل إن أحد أبرز الفقهاء وهو ابن تيمية الذي عاش في القرن السابع الهجري ، قد ذهب أبعد من ذلك ، حينما دعا إلى سيادة اللغة العربية بين جميع المسلمين بحيث تحل محل اللغات الأعجمية كالفارسية والتركية وغيرها (٤١).

ومن هنا ، فليس من الغرابة بمكان أن يعمل محمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ / ١٧٠٠ - ١٧٩٢م) وهو المتأثر كثيراً بفكر ابن تيمية على قيادة حركة تستهدف على مستوى الفكر الديني التجديد السلفي لعقائد الإسلام ، وهو موقف معاد لنمط الفكر العثماني المثقل بالشعوذة والخرافة ، وعلى مستوى الفكر السياسي ، اشتراط أن يكون الخليفة عربياً من قريش ، وهذا يعني الدعوة لنقل السلطة السياسية من أيدي الأتراك العثمانيين إلى أيدي العرب (٤٢).

أما على المستوى العملي ، فقد أقامت الحركة الوهابية دولة عربية في نجد وراحت تجاهد من أجل تحرير العرب من قبضة العثمانيين . وإذا كانت الحركة الوهابية لم تنجح في تحقيق أهدافها السياسية نتيجة تغلب الدولة العثمانية وحليفها محمد علي حاكم مصر عليها بقوة السلاح ، فأن نشاطها في مجال الإصلاح الديني قد استمر يفعل فعله .

وكان أبرز رجال الإصلاح والتجديد الديني اللذين ظهروا بعد محمد بن عبد الوهاب هو جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٥ هـ / ١٨٣٨ - ١٨٩٧م) الذي رأى في (شذوذ الأتراك عن أن يتعربوا كما تعربت من قبلهم الدول الأيوبية والمملوكية والبويهية ومحمد علي واسرته) (٤٣) العقبة المانعة من احراز التقدم باتجاه توحيد العرب والأتراك في إطار العروبة . يقول جمال الدين الأفغاني مانصه : (فالأتراك أهملوا أمراً عظيماً ، وحكمة نافعة ، قالها السلطان محمد الثاني ، رحمة الله عليه ، وأحب أن يعمل بها السلطان سليم . وهي قبول اللسان العربي لساناً للدولة ، وتعميمه بين من دان بالإسلام من الأعاجم كي يفقهوا أحكامه ، ويمشوا على سنن الارتقاء بعلومه وآدابه ومكارم أخلاقه ومحاسن عوائد أهله . فالعرب مانجحوا بفتوحاتهم بشكل الدين الظاهري فقط ، بل بفهم أحكامه والعمل بآدابه وذلك ماتم ولا يتم إلا باللسان ، وهو أهم الأركان) (٤٤) .

ويلاحظ ان المدرسة التجديدية للفكر الاسلامي ، والتي تمثلت بجمال الدين الافغاني وتلميذه محمد عبده ، ورشيد رضا ومن تابعهم ، قد ادركت ان

الرابطة الاسلامية لاتعني العداء للرابطة العربية، بل انها تعني عقد لواء قيادة المحيط الاسلامي الكبير للامة العربية (٤٥) وقد حاولت هذه المدرسة تجديد الفكر الاسلامي وفقا للاسس الاتية :—

(سلفية دينية، تعود إلى المنابع الاولى والنقية والبسيطة للاسلام، متجاوزة ومتخطية ومسقطة البدع والخرافات التي اثقلت العقل العربي الاسلامي بالقيود والاغلال. وعقلانية اسلامية، تستخدم العقل وبراهينه في فهم الدين وفقه نصوصه ووعي مراميه وتجدد ذاتي، يبعث من ترسانة الامة الفكرية وتراثها الحضاري خير مايعينها على مواجهة المهام المعاصرة ومجابهة التحديات وإلى النظر في الحضارة الغربية من موقع مستقل ومتميز لمعرفة اسرار تفوق الخصوم، وذلك حتى نمتلك هذه الاسرار، ونتمثلها ونستعين بها في الصراع)(٤٦).

وقد سار عبد الرحمن الكواكبي (١٢٧٠ — ١٣٢٠ﻫ / ١٨٥٤ — ١٩٠٢م) على نفس الطريق الذي سار عليه جمال الدين الافغاني من حيث تأكيد دور العرب الحضاري وأحقيتهم في قيادة الدولة بدلا عن الاتراك العثمانيين، لان لغتهم اغنى لغات المسلمين، وهم اعرق الامم في اصول الشورى (٤٧). غير ان الكواكبي ذهب في التوجه القومي العربي مذهبا ابعد من مذهب مدرسة التجديد الاسلامي حينما دعا في كتابه طبائع الاستبداد إلى اجتماع كلمة العرب بصرف النظر عن اديانهم فقال : (ايها العرب المسلمون، ان انكر المنكرات بعد الكفر هو الظلم، فأنهوا عن المنكر ان كنتم مؤمنين، وانتم ايها العرب من غير المسلمين، ادعوكم إلى تناسي الاحقاد واجلكم ان لاتهتدوا إلى وسائل الاتحاد، وأنتم المتنورون السابقون، فهذه امم اميركا قد هداها العلم للاتحاد الوطني دون الديني. فما بالنا نحن لانفكر في ان نتبع احدى تلك الطرائق، فيقول علماؤنا لمثيري الشحناء من الاعاجم والاجانب بيننا: دعونا ياهؤلاء نحن ندبر شأننا، دعونا نجتمع على كلمات سواء، الا وهي : فلتحي الامة، فليحى الوطن، ولنحي طلقاء أعزة) (٤٨).

يبدو مما تقدم ، ان العوامل التي كانت تقف وراء تغليب الرابطة العربية على الرابطة الاسلامية عند الكواكبي ومن جار بعده من دعاة القومية العربية ما يلي : —

١ — تأثرهم بالحضارة الغربية واطلاعهم على انظمة الحكم فيها والتي قامت بالدرجة الاولى على اساس الرابطة القومية والوطنية بدل الرابطة الدينية .

٢ — ظلم الاتراك العثمانيين للعرب وسوء ادارتهم للولايات العربية مماجعلها تعيش في ظلمات الجهل والتخلف.

٣ — استغلال الاتراك العثمانيين للرابطة الاسلامية من اجل اخضاع العرب لحكمهم ومنعهم من تأكيد هويتهم المتميزة.

لقد استمر قادة الفكر القومي بعد الكواكبي على اعتبار اللغة والثقافة ابرز مقومات القومية العربية. كما اكدوا على وجوب (ابعاد الدين عن السياسة ، كي تنصهر الامة في بوتقة تقدمية واحدة ، على نحو مافعل الغرب في اعقاب الاصلاح الديني)(٤٩) وكي يتمكن غير المسلمين من العرب في المساهمة (كمواطنين في سير الحياة القومية وتوجيهها، دون ان تقف عقائدهم الدينية عائقا يمنعهم من الاسهام القلبي التام . وهذا شيء لايستطيعون ان يقوموا به اذا ظل الدين هو المحور الذي تدور عليه الحياة العامة) (٥٠) . وقد لوحظ ان الاسلام بعد مرور اربعة عشر قرنا على ظهوره ، لم يعدكما بدأ، فقد ظهرت فيه فرق وطوائف مختلفة ،لكل منها فهمها الخاص للاسلام . فاذا ما قامت الدولة على اساس الاسلام ، فإنها لابد ان تختار المذهب الذي تعتنقه كما فعلت الدولة العثمانية والدولة الصفوية ، مما سيؤدي إلى انحيازها إلى جانب مذهب اسلامي دون المذاهب الاخرى . وهذا سيؤدي بدوره إلى تعميق الانقسام بين المواطنين المسلمين انفسهم . وقد عبر عن هذه الناحية الرئيس القائد صدام حسين، امين سر القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العراقي في كراس (نظرة في الدين التراث) (٥١)بصورة جيدة حيث يقول :

(المطلوب منا هو ان نكون ضد تسييس الدين من قبل الدولة وفي المجتمع. وضد اقحام الثورة في المسألة الدينية، وان نعود إلى اصل عقيدتنا، وان نعتز بالدين بلا سياسات للدين، لانك حين تجعل نفسك واعظا أو مرشداً دينيا وتطلب، من موقع رسمي او حزبي من الناس ان يؤدوا الطقوس الدينية، انما يتوجب عليك ان ترشدهم إلى كيفية اداء تلك الطقوس، وما يترتب عليها من التزامات تبعية واذا مادخلت في ذلك فسوف تبدأ المشاكل والتعقيدات، حيث تبدأ الاختلافات وفق اجتهاد المذاهب الاسلامية) (٥٢).

ثم (ان تدخل الدولة لوضع سياسة معبرة عن الدين في منهجنا التفصيلي الدنيوي يجعل شعبنا ينقسم وفقا للانتماء الديني والطائفي، لانك عندما تبحث السياسة الدنيوية على اساس اتصالها بالفقه الديني فأنك يجب ان تكون ازاء اجتهاد ديني ومذهبي خاص، لان الشعب وانت جزء منه ليس موحداً في النظرة المذهبية والدينية. وحالة من هذا النوع تجعل الدولة واجهزتها وقيادتها امام اختيارات منحازة انحيازاً اكيداً في الاجتهاد الديني والمذهبي في التصور والممارسة) (٥٣). يضاف إلى ماتقدم ان التطور الحضاري الذي حصل في العالم وفي مجتمعنا، قد غير اوضاعه العامة وفي كافة المجالات، بصورة جذرية بحيث لم يعد بالامكان قياس المشاكل التي تواجه مجتمعنا المعاصر على المشاكل التي واجهت مجتمعنا في ظل الحضارة العربية الاسلامية. ومن ثم، فان المشاكل التي تواجه (المجتمع الحديث الذي نعيش فيه والمطلوب منا معالجتها والتعامل معها مختلفة اختلافاً اساسيا عن المشاكل التي واجهتها العصور الاسلامية الاولى، التي وضعت فيها قواعد التشريع والفقة الاسلامي) (٥٤). وعليه فقد غدا (من غير الممكن ان نحشر معالجتنا للشؤون الدنيوية للحياة الراهنة حشراً فقهياً دينياً) (٥٥).

إن الدعوة لفصل الدين عن السياسة لاتعني التنكر للدين وقيمه في نظر رجال الفكر القومي، بل هي في نظرهم مما يخدم الدين والقومية في آن واحد. لأن القومية حركة روحية تستمد من الدين القوة والحياة وهي (لاتعارض ديناً من الاديان ولاتنافيه، بل تقبل على الاديان جميعاً. وان عارضت

القومية شيئاً ، فليس هو الروحية الدينية ، وانما هو العصبية الهدامة التي تجعل الرابطة الطائفية أقوى من الرابطة القومية) (٥٦).

ان ماتقدم يدل على أن القومية العربية هي إلى جانب الدين ضد النزعات اللادينية والالحادية وقد أكدت ادبيات حزب البعث العربي الاشتراكي على هذه الناحية بشكل قوي . يقول الرئيس القائد صدام حسين :(ان حزبنا ليس حيادياً بين الالحاد والايمان ،وانما هو مع الايمان) (٥٧) . كما أكد على اعتبار الدين احد الروافد الاساسية المكونة للثقافة العربية حيث اوضح:) ان من الامور المركزية في مجتمعنا والمؤثرة في خلقنا وتراثنا وتقاليدنا هو الماضي بكل ما يحمل من عوامل الحياة وتقاليدها وقوانينها .وكذلك الدين ولكن عقيدتنا ليست حاصل جمع كل مايحمله الماضي والدين وانما هي نظرة شمولية متطورة للحياة ، وحل شمولي لاختناقاتها وعقدها لدفعها إلى أمام على طريق التطور الثوري) (٥٨).

يتضح مما تقدم أن تمسك دعاة الفكر القومي بالدين والتراث ليس بأضعف ولا أقل من دعاة الفكر الديني ، ولكن الفارق الاساسي بينهما هو أن دعاة الفكر القومي يرفضون الجمود والاستنساخ عن القديم ويتمسكون بحقهم في التفكير المبدع الذي يستلهم من الماضي دروسه المركزية في مواجهة مشاكل ومعضلات العصر الحديث . أما دعاة الفكر الديني فأنهم يحصرون همهم في شرح النصوص وتوضيحها وان اعطوا لانفسهم الحق في الاجتهاد فهو الاجتهاد المحصور بحدود التفسير والقياس .

المصادر والمراجع :-

١ - أحمد سوسة ، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، بغداد ١٩٧٩، ص٢٤ - ٣٧ .
٢ - العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، بغداد ١٩٥٥ص١٣١-٢٠٨، محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية ، القاهرة ١٩٧٥ ص٣٩ - ٤٦ .
٣ - الطبري : محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، مصر ١٩٦٨ج٢ص١٩٣ .
٤ - الشاطبي ، ابو اسحاق ابراهيم بن موسى ،الموافقات في اصول الشريعة ، مصر (المكتبة التجارية الكبرى) بلا تاريخ ، ج٢ص٦٤ - ٦٥ .
٥ - المصدر نفسه ، ،ص١١٤- ١١٨ .
٦ - سورة الشعراء ١٩٥.
٧ - سورة فصلت ٤٢.
٨ - سورة الشعراء ١٩٨.
٩ - سورة النحل ١٠٣ .
١٠ - الشاطبي ، الموافقات في اصول الشريعة . ج ٢ص٦٤ .
١١ - محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية ص٤٩ - ٦٠ .
١٢ - صبحي الصالح ، ندوة اللغة واثرها في الوحدة العربية ، مجلة المستقبل العربي، بيروت ،عدد ١٠ - ١١ / ١٩٧٩ص١٥٣ - ١٥٤، تهذيب ابن عساكر ، مطبعة دمشق ج٢ ص ١٨٩.
١٣ - سورة الحجرات ١٣.
١٤ - سورة البقرة ١١٠ .
١٥ - لقد ذهب إلى ذلك بعض المستشرقين من أمثال السيد وليم موير، يراجع الدكتور حازم نسيبة، القومية العربية ، بيروت ١٩٦٢ص٤٩.
١٦ - سورة الانبياء ١٠٧.
١٧ - سورة سبأ ٢٨.

١٨ ــ نسبية، حازم زكي ، القومية العربية ،ص ٤٩ ــ ٥٠ .
١٩ ــ المرجع نفسه ص٥٠.
٢٠ ــ ابن سلام ، ابو عبيد القاسم ، الاموال ،(صححه وعلق عليه ، محمد حامد الفقي) مصر ، بلا تاريخ ، ص ٢٨ .
٢١ ــ الطبري، تاريخ ج٤ ص١٥٦.
٢٢ ــ محمد عمارة، الاسلام والوحدة القومية، بيروت ١٩٧٩ ص٩٥.
٢٣ ــ نسبية، القومية العربية ، ص ٥٠.
٢٤ ــ الدوري: عبدالعزيز ، الجذور التاريخية للقومية العربية ، بيروت١٩٦٠ ص ١٧.
٢٥ ــ الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص ٥٥.
٢٦ ــ البلاذري ، أنساب الاشراف ــمخطوطة ق ٢ص٧٥٠ ، نقلا عن : الدوري، عبدالعزيز ، الاسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب،مجلة المستقبل العربي بيروت عدد ٢٤ ،شباط ١٩٨١ ص٤٢).
٢٧ ــ المصدر نفسه ،ق ٢ص ١٢٢٥.
٢٨ ــ المصدر نفسه ، ق ٢ص١٢٩، الدوري ، الاسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب ص ٤٤.
٢٩ ــ المصدر نفسه ص٤٤ ــ ٤٥، الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، القاهرة١٩٦٤ ج١ ص ٣٠ ــ٣١.
٣٠ ــ الدوري ، الجذور التاريخية للقومية العربية ص ٢٥ ــ ٢٦.
٣١ ــ الطبري ، تاريخ ،ج ٥ص ٢١٨ ــ ٢٢٠.
٣٢ ــ الدوري، عبدالعزيز ، الجذور التاريخية للشعوبية، بيروت ١٩٨٠ص ٥٨ ــ ٥٩ .
٣٣ ــ الجاحظ ، البيان والتبيين ، القاهرة ط٣، ج٣، ص٢٩ ــ ٣٠.
٣٤ ــ المرجع السابق ص ٥٤، الجاحظ ، الرسائل الثلاث ج٢ ص ١٩٢ ــ ١٩٣.
٣٥ ــ يراجع على سبيل المثال كتاب البيان والتبيين.

٣٦ ـ يراجع على سبيل المثال كتاب عيون الاخبار و كتاب المعارف .
٣٧ ـ يراجع على سبيل المثال كتاب الاغاني و كتاب ملوك العرب في الجاهلية .
٣٨ ـ يراجع على سبيل المثال كتاب أنساب الاشراف ، وكتاب فتوح البلدان.
٣٩ ـ الماوردي، علي بن محمد بن حبيب ، الاحكام، السلطانية، مصر ١٩٦٠ ص ٦ محمد يوسف موسى ، نظام الحكم في الاسلام ، مصر ١٩٦٢ ص ٣١ ـ ٤٢.
٤٠ ـ محمد عمارة ، الجامعة العربية والجامعة الاسلامية ، مجلة المستقبل العربي، بيروت، عدد ٢٤ ، شباط ١٩٨١ ص ٧٤.
٤١ ـ الدوري ، الجذور التاريخية للقومية العربية ص ٥٨.
٤٢ ـ المرجع السابق ، ص ٧٤.
٤٣ ـ محمد عمارة، الجامعة العربية والجامعة الاسلامية ، ص ٧٩.
٤٤ ـ جمال‌الدين الافغاني ، الاعمال الكاملة لجمال‌الدين الافغاني، القاهرة ، ١٩٦٨ ،ص٢٢٤.
٤٥ ـ المرجع السابق ،ص ٨٠.
٤٦ ـ نفس المرجع ، ص ٧٥.
٤٧ ـ الدوري ، الجذور التاريخية للقومية العربية ، ص ٥٩.
٤٨ ـ نفس المرجع ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .
٤٩ ـ نسبية، القومية العربية ، ص ١٣٤.
٥٠ ـ نفس المرجع ، ص ١٣٢ ـ ١٣٥.
٥١ ـ صدام حسين ، نظرة في الدين والتراث ، (حديث الرفيق صدام حسين في اجتماع مكتب الاعلام بتاريخ ١١/ ٨ /١٩٧٧) بغداد ، ١٩٧٨.
٥٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٢ـ١٣
٥٣ ـ المصدر نفسه ، ص ١٧ ـ ١٨.
٥٤ ـ المصدر نفسه ، ص ١٣.
٥٥ ـ المصدر نفسه ، ص ١٣.

٥٦ ـ نسيبة ، القومية العربية ، ص ١٣٦.
٥٧ ـ المصدر السابق ، ص ٥٠ .
٥٨ ـ المصدر السابق ، ص ١ .

البعد القومي لتعريب النقود

(دراسة سياسيّة واقتصاديّة)

عبد الواحد الرمضاني
مدرس

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

كان لموقع الحجاز الوسط بين الامبراطورية الساسانية والبيزنطية أهمية كبيرة في نشاطها التجاري والمالي وكانت نقود هاتين الدولتين قد أستعملت وسيلة للتداول في معاملات الحجاز التجارية ، كما كانت رحلتا قريش الشتوية والصيفية إلى اليمن على التوالي مورداً رئيسياً للنقود (السكة) الفضية والذهبية.

وقد استعمل الساسانيون الدرهم الفضي كعملة يتداولونها في بلادهم بينما استعمل البيزنطيون الدينار الذهبي كعملة لهم .

ونشط المكيون بحكم وجود الكعبة وتوافد الحجاج من مختلف أنحاء الجزيرة لها بأعمال التجارة والصيرفة وتبادل العملة (١) بدون قيد حيث لم يفرض على العملة أي سعر رسمي يؤخذ به اليوم ويترك في الغد بل قدرت قيمتها حسب وزنها باعتبارها (٢) معدنا ثمينا وتم ذلك بأوزان القنطار والاوقية والمثقال .

وقد نقل المهاجرون المكيون مهارتهم في التجارة والصيرفة فيما بعد إلى مدينة يثرب الزراعية فجعلوها مركزاً تجارياً ينافس مدينتهم مكة (٣) .

وللدنانير البيزنطية الذهبية شكل قرصي مستدير صور على أحد وجهيه الامبراطورية البيزنطي الذي أمر بسكه . ففي فجر الإسلام كانت الصورة للامبراطور هرقل أو مع ولديه هرقليوناس وقسطنطين وقد قبض كل منهم على صليب طويل وتوجت كل صورة منهما بصليب آخر .

أما الوجه الثاني فكان عليه صليب قائم على أربعة مدارج يحيطها عبارات من الدعاء تشير إلى مكان ضرب العملة مكتوبة بالأحرف اللاتينية واليونانية (٤).

---

(١) د. صالح العلي/ محاضرات في تاريخ العرب / الجزء الاول ص ١٠٠ - ١٠١ الطبعة الثانية / بغداد / ١٩٦٤ م .

(٢) ابن خلدون / المقدمة / الجزء الاول ص ٢١٧ طبعة بولاق ١٢٨٤هـ .

(٣) د. صالح العلي / نفس المصدر السابق ص ٩٨ .

(٤) د. عبد الرحمن فهمي / الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الاسلامية مقالة في كتاب المؤتمر الثالث للاثار في البلاد العربية المنعقد في مدينة فاس سنة ١٩٥٩ ص ٣٣٨ لوحة ٢٠١ انظر لوحة (١)



لوحة رقم (١)
دينار بيزنطي للأمبراطور هرقل وولديه قستنطين وهرقليوناس

أما الدرهم الفارسي الفضي فكان بشكل قرص مستدير أيضاً بوجهه الأول الجزء العلوي عليه صورة كسرى فارس يعتمر تاجاً وهو بشكل جانبي (Profile) ، أما الوجه الثاني للدرهم فصور عليه معبد نار ساساني يقوم على حراسته حارسان مدججان بالسلاح كما كتب على السكة كتابات فهلوية تشير إلى أسم الملك الذي أمر بسكها مع دعاء لاسرته ، كما احتوت هذه الدراهم على زخرفة تمثل نجمة يحتضنها هلال ترمز إلى الرفاه عند الشرقيين يتراوح عددها بين ٣ ــ ٤ (١) .

وقد كانت قريش تزن الذهب بوزن اسمته دينارا وتزن الفضة بوزن معين أسمته درهما وكانت كل عشرة أوزان الدرهم سبعة أوزان الدنانير أي أن وزن الدرهم $\frac{٧}{١٠}$ من وزن الدينار كما أن الشعيرة $\frac{١}{٦٠}$ من وزن الدرهم (٢) .

وكان الدينار البيزنطي الذهبي الذي تداوله المسلمون في فجر الإسلام قد تعاملت به الدولة البيزنطية وبلاد العرب على أساس وزنه هو ٢٥ / ٤ غم أي مثقالا وبهذا اصبح المثقال من الذهب يساوي ديناراً (٣) .

ولقد بعث الرسول (ص) في هذه الامة والسكة المشار اليها سابقاً متداولة

---

(١) عبد الرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ١٤ المكتبة الثقافية ١٠٣ ١٩٦٤ القاهرة .

استعمل العرب كذلك الفلس البرونزى الذي كان قرصا مستديرا ايضا على وجهه صورة للامبراطور واقفا متوجا يعلوه صليب وبيده اليمنى عصا المطرانية وباليسرى كرة ويعلو كل منهما صليب أيضا وهو الشارة المسيحية المقدسة اما الوجه الثاني فعليه رمز نقدى حرف (M) اى رقم (٤٠) في اليونانية ويعني ان القطعة تساوى (٤٠) نميا.

د. عبد الرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ٢٧ .

(٢) المقريزى — الكرملي . نشر الاب انستاس الكرملي في كتابه (النقود العربية وعلم النميات الجزء الخاص بالنقود من كتاب المقريزى (النقود القديمة الاسلامية) القاهرة ١٩٣٩ ص ٣٠ انظر مخطوطة مصطفى الذهبي الشافعي / تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال / ص ٣ / رقم المخطوطة (١٠٩٠) مديرية الاثار العامة / بغداد .

(٣) المقريزي — الكرملي ص ١١.

بين العرب في الحجاز ، وتشير الروايات إلى أن الرسول (ص) عمل في التجارة أسوة بقومه المكيين وتداول بهذه السكة وتعامل بها وكذا اصحاب بيته وصحابته قبل البعثة وبعدها . كما استلم منها الهدايا وأمر بعد أن أقرها أن تسلم بها الزكاة التي هي ركن من أركان الدين الجديد فجعل في كل خمس أواقي من الفضة الخالصة التي لم تغش خمسة دراهم وفرض على كل عشرين ديناراً ، نصف دينار (١) .

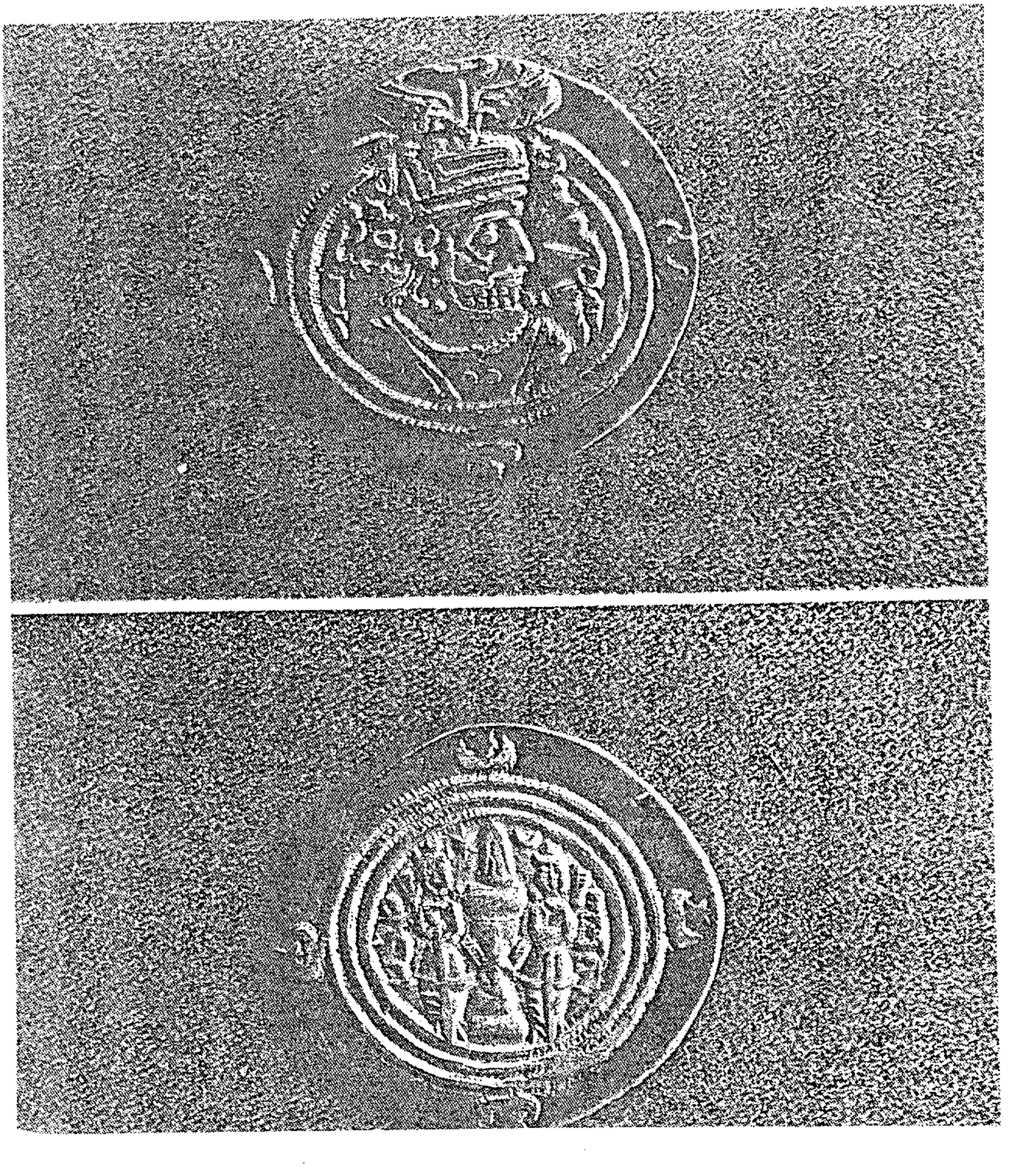
وحين نشير إلى أن الرسول (ص) تداول بهذه العملة وتعامل بها فإنه مما يجلب الانتباه حقاً إنه لم تكن هناك ثمة إشارة في الأحاديث الشريفة أو في المصادر التاريخية لامتعاض الرسول منها أو صحابته على الأقل في حياته لأحتوائها على تصاوير تمثل معابد للنار المجوسية (كالدرهم مثلا) أو صلبان كما هو موجود في أعلى هامات الأباطرة البيزنطيين على الدنانير ، فالدعوة الجديدة جاءت لتجب ماقبلها من ديانات كالمجوسية الفارسية أو لتتمم البعض الاخر كاليهودية والنصرانية باعتبارها ديانات سماوية جاءت في فترات مختلفة ومبكرة في العالم آنذاك .

كما إنه لايمكن القول أن الرسول (ص) لم يكن ليهتم بهذه التصاوير التي تمثل ديانات كانت منتشرة كالمجوسية في بلاد فارس جاء الإسلام ليقضي عليها لأنها ديانة وثنية ، بدأها بمواطنيه الوثنيين في مكة وانتهى بإرسال البعوث بعد هجرته إلى المدينة ، إلى البلدان المجاورة وللملك فارس على الأخص يدعوه للدين الموحد الجديد .

والواقع أن الفترة التي قضاها الرسول في مكة بعد البعثة فترة قصيرة لم تتجاوز الا (١٢) من السنين قضاها في صراع مستمر مع قريش حاول فيها جهده أن ينشر الدين الجديد بين أهله وأصحابه وعشيرته وإن مالاقاه من صد وقسوة من هذه القبيلة حفزته للهجرة من مكة إلى يثرب المدينة التي

---

(١) ابن سلام / كتاب الاموال ١١٠٦ ص ٤٠٨ صححه وعلق هوامشه محمد حامد الفقي ١٣٥٣هـ انظر لوحة رقم (٢)



لوحة رقم (٢)
درهم ساساني لكسرى هرمز الخامس

فاصره أهلوها ورحبوا بمقدمه ومنحوه زمام أمرهم وفي المدينة حاول الرسول أن يقيم أول دولة للمسلمين ينطلق منها إلى الجزيرة العربية ، إلا أنها بقيت دولة لم تتعد سلطتها حدود المدينة قبل السنة السادسة للهجرة حين عقد الرسول صلح الحديبية مع أهل مكة ،ومنذ هذا التاريخ بدأ المسلمون عهداً جديداً تطور معها نظام الحكم شيئاً فشيئاً .

ففي السنة السابعة للهجرة بعث الرسول (ص) إلى الأمراء والملوك يدعوهم إلى الإسلام ، ثم فتحت مكة في السنة الثامنة ثم تبعتها مدينة الطائف فأسلم أهلها ثم أقبلت وفود الجزيرة العربية إلى المدينة تعلن إسلامها في السنة التاسعة ، وفي السنة العاشرة للهجرة بعث إليهم عماله يفقهون الناس في الدين الجديد ويجبون الصدقات ثم توفي الرسول في السنة الحادية عشر للهجرة .

من هذا يتبين لنا أن فترة مكوث الرسول في المدينة منذ هجرته وحتى وفاته لم تكن تتجاوز الأحد عشر عاماً وإن سلطته الدنيوية كقائد وزعيم لدولة المدينة والجزيرة العربية لم تتجاوز الست سنوات فقط أي منذ صلح الحديبية مع قريش وحتى وفاته .

ويبدو أن الرسول (ص) لم يعر أهمية تذكر للسكة الأجنبية المتداولة في دولته من الناحية الاقتصادية البحته كنقود ضمن منطقة النفوذ الفارسي والبيزنطي يتأثر تبعاً لتأثيرها في الأسواق العالمية المعروفة آنذاك أو في أسواق الجزيرة العربية المحلية وذلك بسبب التعامل بها ، وزناً فحسب أي بمقدار ماتزنه ذهباً أو فضة وليس بمقدار قيمتها كعملة متداولة .

وفي الحقيقة فلم تكن الأموال التي تجبي من المسلمين لتشكل كمية فائضة عن حاجات المسلمين ، فلم يكن للرسول بيت مال أنئذ لتوزيعه الفيء والصدقات أول مايقبضها كما كانت الأموال التي يؤديها المسلمون في شبه الجزيرة العربية من الزكاة والصدقات توزع على الذين نزل فيهم قوله تعالى «وإنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها » وكان كثير من هذه

الصدقات يوزع على الفقراء والمساكين من أهل القبائل (١) ، وأما ماكان يقبض ويصل منه — وأغلبه من الماشية والابل — فكان يوضع بمقربة من المدينة يستعين به من المسلمين من لايجد له دابة أو بعيراً حين غزوهم (٢) .

كما يبدو أن التصاوير الفارسية والبيزنطية على هذه النقود لم تكن لتشكل إحدى الأولويات في تغيرات قيم المجتمع الجديد الذي بدأ الرسول بها بعد تثبيت موقعه الجديد في المدينة بالرغم مما تحمله هذه التصاوير من معان وقيم وثنية جاء الإسلام منافياً لها .

لقد تحدث الكثيرون عن كراهية التصوير في الإسلام أو تحريمه أو حتى تحليله، ومهما يكن من صحة ما تطرق اليه هؤلاء الباحثون(٣) في هذا المجال وتضارب آرائهم فإن الثابت لدينا أن الرسول (ص) قد تعامل بالنقود المصورة وأمر أن تسلم الزكاة بها وهي ركن من أركان الإسلام .

وقد يكون الرسول قد فكر فعلا في تغيير السكة الأجنبية المتداولة بسكة جديدة تصلح للمجتمع الجديد وتتفق مع اقتصاده وقيمه الجديدة إلا أن الذي حال دون ذلك عدم توفر مناجم المعدنين الثمينين الذهب والفضة في الجزيرة العربية وعدم توفر السيولة النقدية من العملات الذهبية والفضية لأجل صهرها وإعادة سكها مرة ثانية ، كما يبدو أن وفاته السريعة بعد ست سنوات فقط من تثبيت أركان دولة المدينة حالت دون ذلك .

وكانت حكومة أبي بكر الصديق سنة١١هـ والتي خلفت دولة الرسول عربية صرفة لم تؤثر فيها نظم الروم أو الفرس مما جعلها بسيطة كبساطة دولة

---

(١) ابن سلام (كتاب الاموال) ٤٢ص ١٥ .

(٢) ابن سلام (كتاب الاموال) ٧٣٩ وما بعدها ص ٢٩٨ .

(٣) لقد تعرض الكثيرون لموضوع التصوير في الاسلام ومنهم :

أحمد تيمور باشا / التصوير عند العرب / اخرجه د . زكي محمد حسن / ١٩٤٢ ص ١١٧ وما بعدها .

محمد كرد علي (خطط الشام) ١٩٢٦ م جـ٤ ص ١١٤ .

باقر الحسيني العملة الاسلامية في العهد الاتابكي / مطبعة الجاحظ ١٩٦٦

T. Arnold: Painting in Islam not Lp . LL — Ctc·

الرسول يومئذ في الجزيرة العربية وأصبحت حلقة الوصل بين عهد الرسالة وعهد الدولة المعظمة في زمن عمر كما كانت التطور الطبيعي للنظام الذي بدأ تغييره في عهد الرسول (٢) ، وفيما عدا ذلك فإن خلافة أبي بكر كانت استمراراً للحياة السياسية والاقتصادية فأقر السكة بما فيها وما عليها تأسيا بالرسول . والواضح أن الفترة القصيرة التي قضاها أبو بكر في خلافة المسلمين واشتداد الردة وانتشار فتنتها في الجزيرة قد حالت دون أي تطور إداري أو إقتصادي في الجهاز الجديد .

وقد تغيرت في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٣ هـ الصورة في دولة المسلمين فقد عُدّ الخليفة عمر باني كيان الدولة الاسلامية العتيدة فانتشرت العقيدة الإسلامية في عهده بعد تحرير العراق والشام ومصر ونتج عن امتزاج هذه العقيدة بشعور عرب العراق والشام بالإنتماء القومي أسس جديدة رست عليها أركان هذه الدولة ونمت فيما بعد وازدهرت في عصر بني أمية .

لقد كانت الوحدة السياسية للجزيرة العربية بعض مايشغل ذهن الخليفة كما كان توطيدها وتثبيت دعائمها وتصفيتها من كل شائبة همه الكبير وانعكس هذا عملياً بابقاء المسلمين وحدهم في الجزيرة العربية كما اتبع سياسة عربية صرفة فرفع عن أهل الردة ماكان قد فرضه الخليفة الأول عليهم بألاّ يحاربوا في صفوف المسلمين كما رد سبي العرب إلى عشائرهم ، « لكرهه أن يكون السبي سنة عند العرب (١) » وأصبحت هجرة الرسول بداية للتاريخ الهجري (٣) وبذلك سرى في نفوس العرب بأنهم أمة واحدة أهدافها مشتركة توجهها مصلحة عليا يهيمن عليها الخليفة .

ولقد أزدهرت الحياة الأقتصادية في خلافة عمر بن الخطاب بسبب حركات التحرير العربية وانعكس ذلك على مؤسسات الدولة الأخرى وخاصة

---

(١) محمد حسين هيكل .
(الفاروق عمر) الجزء الاول ص ٢٠٠ الطبعة السادسة / دار المعارف مصر .
(٢) اليعقوبي (تاريخ اليعقوبي) ج ٢ ص ١٣٩ بيروت ١٩٦٠ .
(٣) ابن الاثير (الكامل في التاريخ) مجلد ٣/ص ٥٩ بيروت ١٩٦٥ .

الأقتصادية منها وورود كميات من الذهب والفضة إلى المدينة كواردات (١) للدولة الإسلامية فانتهى إلى تأسيس ديوان للعطاء وديوان للجند ، وتشير الروايات أن سبب ذلك قدوم أبي هريرة من البحرين ومعه خمسمائة الف درهم (٢). فأشار عليه خالد بن الوليد بتدوين ديوان يعطي الناس عليه ، فدونه .

وكانت الأموال تتدفق على بيت المال بالسكة (النقود) الذهبية والفضية المضروبة على الطرازين البيزنطي والساساني ، وتحدثنا المصادر إلى أن الخليفة بدأ يفكر في تغيير طرز هذه السكة إلى طراز عربي اسلامي انسجاماً مع الاسس التي ارساها في توجه الدولة القومي في النواحي السياسية والاجتماعية والمالية .

فقد كان عمر يأخذ الجزية من شعوب البلاد المحررة بالسكة المتداولة فأخذت بالدراهم على أهل الفضة وبالدنانير أهل الذهب (٣) كما فرض الخراج بها لبيت مال المسلمين (٤) .

والثابت ان الخليفة أبقى على نظام العملة التي كانت في التداول على الرغم من إنها كسروية وهرقلية ومنقوش عليها العقيدة المسيحية أو بيت النار لكنه في نفس الوقت بدأ تعريبها بخطوات وئيدة فأمر سنة ١٨هـ بضرب الدراهم على نقش الكسروية وشكلها (٥) إلا أنه أضاف اليها كلمة (جائز) أو (الحمد

(١) نفس المصدر السابق .
من المعروف ان اهم واردات الدولة الاسلامية هي الزكاة والخراج والجزية والغنيمة والفيء والعشور . انظر صبحي صالح / النظم الاسلامية نشأتها وتطورها ص ٤٥٤ دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٨ .
(٢) ابن خلدون / المقدمة / ص ٢٠٣ .
(٣) ابن الحكم/فتوح مصر واخبارها ص١٥٢ طبعة هنري ماسيه/القاهرة / ١٩١٤ .
(٤) ابو يوسف / كتاب الخراج / القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم ص ٢٠ المطبعة السلفية ١٣٥٢ / القاهرة .
(٥) المقريزى — الكرملي . ص ٣١ .

لله) وفي بعضها (محمد رسول الله) وفي بعضها الآخر (لااله إلا الله وحده) .

ومن هذا يتضح أن الخليفة عمر أضاف إلى هذه النقود المتداولة عقيدة المسلمين وكلمة (جائز) التي تعني أنها عملة جيدة وذلك حسب المعيار الرسمي الذي أقره مؤسس الدولة (الرسول) وأبو بكر الصديق من بعده.

والحق إنه ليس بين أيدينا من المصادر مايشير إلى أن عمر خطا خطوة أبعد من ذلك في تعريب النقود سوى ماذكره لنا البلاذري عن سلسلة من الرواة عن الحسن قال «كان الناس وهم أهل كفر قد عرضوا موضع هذا الدرهم من الناس فجودوه واخلصوه فلما صار اليكم غششتموه وأفسدتموه ، ولقد كان عمر بن الخطاب قال : هممت أن أجعل الدراهم من جلود الابل : فقيل له إذا لا بعير فأمسك (١) » .

ويبدو أن ماكان يرد إلى بيت مال المسلمين في المدينة كما اشترت أموالاً طائلة من قطع النقود الفضية والذهبية الفائضة عن حاجة المسلمين مما كان باستطاعته الخليفة ان يأمر بصهرها وإعادة سكها على طراز جديد يتفق مع العقيدة التي تدين بها الدولة ولا يتنافى مع قيم الإسلام الذي يؤمن به الخليفة وقادة الدولة الآخرون من العرب المسلمين .

إن الكثير من الروايات التاريخية عن فترة حكمه وعن سلوكه كخليفة تظهر لنا مدى إيمانه بالامة الممزوج بالايمان العميق والخوف على العرب من أن لايضلوا في خضم مجتمعات مفتوحة متباينة الثقافات والعقائد منذ توليه الخلافة وحتى مقتله على يد رجل أعجمي ، فقد استفتح عهده أول خلافته فأمر الناس أن يردوا سبايا أهل الردة إلى عشائرهم وقال لهم :

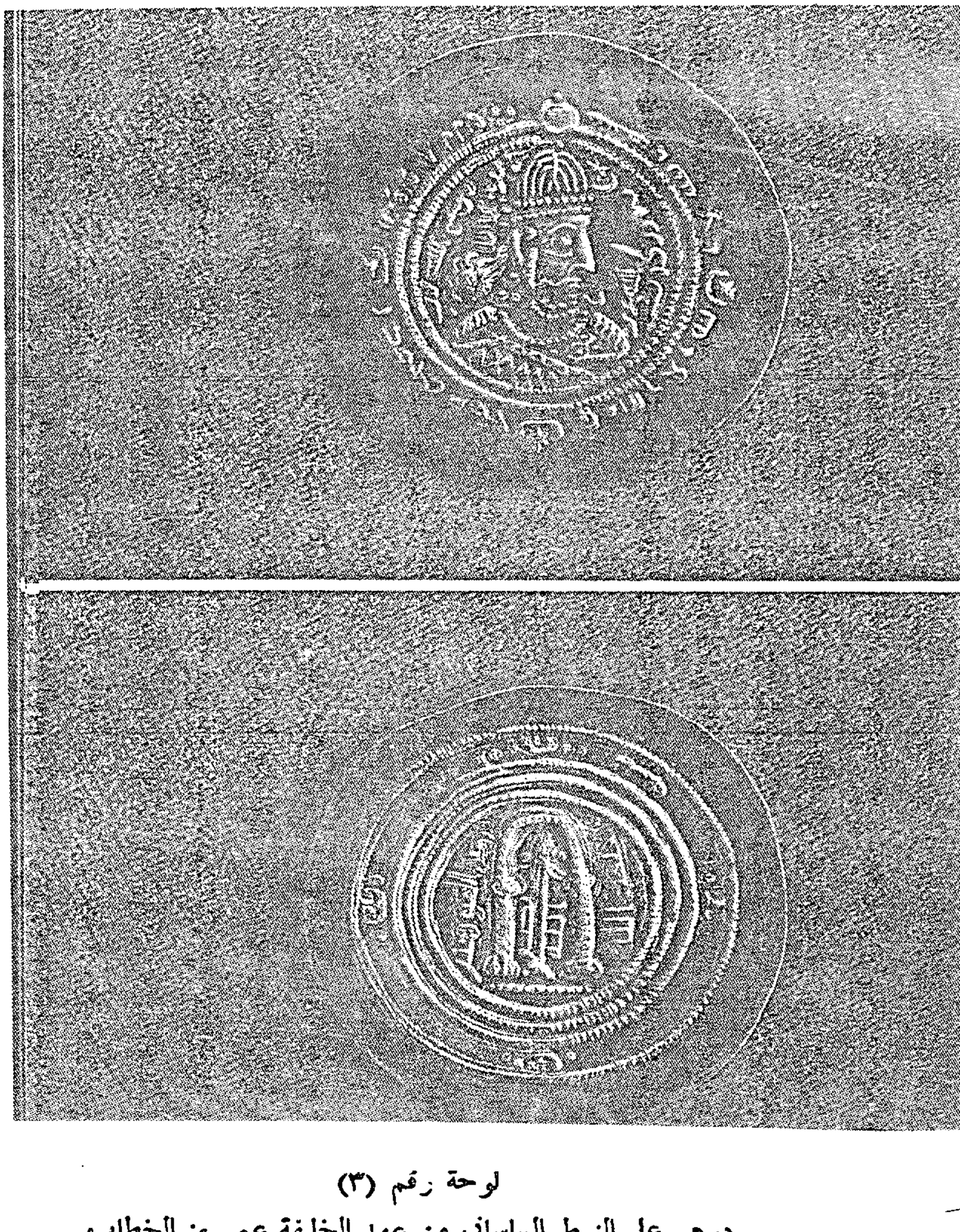
«اني كرهت أن يصير السبي سنة في العرب» (٢) .

كما رأى أن العرب إذا نزلوا في المدن الفارسية والبيزنطية بعد حروب

---

(١) البلاذري / فتوح البلدان / القسم الاول ص ٢٨٣ نشره ووضع ملاحقة وفهارسه . د. صلاح الدين المنجد / مكتبة النهضة المصرية .

(٢) اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ١٣٩ .



لوحة رقم (٣)
درهم على النمط الساساني من عهد الخليفة عمر بن الخطاب

التحرير أن يفقدوا مزايا الصحراء وأخلاق العروبة ويغلب عليهم الترف وتضعفهم الحضارة فأقام لهم مدناً جديدة يعيشون فيها مثل عيشهم في الجزيرة فتكون لهم معسكرات يبقون فيها مستعدين للجهاد . ويحفظون فيها عروبتهم فأنشأ لهم الامصار بل أن الخليفة الثاني اجتهد فيما لم يجتهد فيه من قبل من أخذ الجزية من النصارى كما فعل بنصارى قبيلة تغلب العربية حين ضاعف عليهم الزكاة بدل الجزية واشترط عليهم ألا ينصروا أولادهم (١) .

وحين طعن وأخبره ابن عباس أن الذي طعنه هو أبو لؤلؤة قال « الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي بحاجتي عند الله بسجدة سجدها له قط ما كانت العرب لتقتلني (٢) » .

كما كانت وصيته الأخيرة وهو على فراش الموت «أوصيكم بالاعراب خيراً فأنهم أصل العرب ومادة الاسلام» (٣).

فالواضح أن عمق الانتماء القومي وتفضيله العرب المسلمين ومحاولته الحيلولة دون انصهارهم في المجتمعات الجديدة والمحافظة على نقاوتهم وجعلهم القوة المؤهلة للحرب والحكم (٤) كان يجب أن تتجسد فعلا في تعريب كافة مؤسسات الدولة الإدارية والإقتصادية . وعلى الأخص السكة التي هي أيضاً شارة من شارات الخلافة والملك يختص بها الخليفة ويتداولها الناس ، فكيف إذا كانت هذه السكة ساسانية وبيزنطية وتصدرها شعوب تنتمي إلى عناصر وديانات أخرى .

والواقع أن بلاد ايران بمناجمها الفضية وخاصة في مناطق اصفهان وفارس وفرغانة وبنجهير ، ويبدو أن هذه المناجم كانت تدر باستمرار

---

(١) ابن سلام / كتاب الاموال ٥٤١ .

(٢) ابن سعد / كتاب الطبقات الكبير / مجلد ص ٢٤٤ طبع ليدن ١٣٢١ هـ .

(٣) ابن سعد / نفس المصدر / ٢٤٦ ص .

(٤) يشير بعض المؤرخين المحدثين إلى ان عمر دون الديوان وفرض العطاء ليفرغ العرب للجهاد في سبيل الله انظر محمد حسين هيكل / نفس المصدر ص ٨ — ٢
وانظر علي الطيطاوى وناجي / اخبار عمر ص ٩٢١ دار الفكر دمشق ١٩٥٩ م .

للساسانيين كميات كبيرة من الفضة ، لدرجة انها مكنتهم من اقامة نظامهم المالي على أساس العملة الفضية وحدها . وفي زمن عمر أصبحت بلاد فارس تحت هيمنة الإدارة الإسلامية ، وبهذا أصبح للدولة مورد مهم يمكن استغلاله ، كما كانت الامصار وخاصة البصرة مورداً آخر للفضة التي تردها من نقود الجبايات وغنائم الحرب ، وبالرغم من عدم وجود أرقام مضبوطة بين أيدينا عن تلك الكميات إلا أنها لايمكن أن تكون بأية حال قليلة ، كما كانت الامصار بدورها ترسل مقادير كبيرة من هذه الفضة إلى الحجاز بعد تسديد مصروفات الحاميات العربية المقيمة فيها وكانت هذه المقادير كافية فعلا لجعل النظام المالي والعطاء في الحجاز قائماً على أساس الفضة (١) منذ زمن عمر .

وما يقال عن فضة الساسانيين يمكن أن ينطبق على الذهب أيضاً ، ولو بنطاق أضيق ، فلقد حوت بلاد المشرق فضلا عن الفضة مناجم الذهب كذلك وكانت مناجمه موزعة في طبرستان والرى وفارس وطوقان وفرغانة وجيحون ، غير أن الكميات التي تدرها هذه المناجم من هذا المعدن كانت قليلة لدرجة انها لاتكفي أن يسك الساسانيون عملة ذهبية ، كما انه لايمكن استيرادها لأن مناجم الذهب كانت بيد أعدائهم البيزنطيين ، كما أن المناجم الأفريقية الغنية بالذهب كانت تحت أيدي البيزنطيين كذلك ولذلك أدت ندرة الذهب وأهميته التجارية إلى احتكار الملوك الساسانيين له ، غير أنه بعد حروب التحرير الإسلامية في إيران ومصر أصبحت كنوز الأكاسرة الساسانيين تحت هيمنة العرب المسلمين فوزعوها بينهم ، كما ظفروا كذلك بمناجم الذهب المصرية وسيطروا على مصادره في أفريقيا والشرق الأقصى(٢) .

لقد كان بأستطاعته عمر اذن وهو المؤهل — في دينه وانتمائه القومي كما رأينا ربما كان لديه من فضة وذهب في بيت المال فائضة عن حاجة

(١) صالح العلي / التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الاول الهجرى / ص ٢٣٧ دار الطليعة بيروت / ط ٢ ١٩٦٩ .

(٢) صالح العلي / نفس المصدر / ص ٢٤٤ .

المسلمين آن يأمر بصهرها واعادة سكها على طراز جديد يتفق والعقيدة الإسلامية العربية التي تدين بها الدولة وتنسجم معها .

والحق انه ليس بين أيدينا من الأدلة مايشير إلى عدم قدرته على فعل ذلك فلم يكن انئذ للدولتين فارس والروم هيمنة أو قوة تستطيع أن تحول دون ذلك كما حاول البيزنطيون أن يفعلوا زمن عبد الملك ولم يستطيعوا أيضاً ، فلقد سحق الساسانيون كقوة عظمى استولت على نصف العالم الشرقي آنذاك كما لم تكن الدولة البيزنطية قد استرجعت أنفاسها أمام ضربات المسلمين الموجعة فأنحسرت فيما تبقى من أراضيها مهيضة الجناح وتم على انقاضها بناء دولة جديدة فتية مرهوبة الجانب عزيزة المقام ، الدولة العربية الاسلامية .

وإن كان يقال أن كميات الذهب بين يديه كانت قليلة نسبياً لاتكفي أن تضرب بها عملة ذهبية فإننا في الحقيقة لانستطيع أن تقول أن كميات الفضة كانت قليلة وانه لم يكن باستطاعته أن يسك عملة فضية ويقيم نظاماً نقدياً على أساسها.

فهل يمكن أن يقال إذن أنه تأس بالرسول (ص) وأبي بكر لتداولهما هذه السكة وتعاملهما بها واستلامهما الزكاة منها ، واللذان كم يحا لا أن يغيرا من أمرها شيئاً .

والواقع ثمة حديثاً ينسب إلى الرسول (ص) رواه يحيى بن آدم في كتابه الخراج (١) «منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مديها ودينارها ومنعت مصر أردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم».

والحق أن افتراضنا تأسي عمر بالرسول في موضوع العملة يقودنا إلى مواقف كثيرة أشارت اليها كتب التاريخ والسيرة ، اجتهد بها عمر زمن الرسول وأظهرت الأيام صحتها مما أوجب ثناء الرسول عليه «جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه» ، وفيما بعد فلقد أجتهد عمر في مواضيع كثيرة وحسبنا أن نشير إلى اجتهاده في التفريق في العطاء بين المسلمين حسب سبقهم في

(١) يحيي بن ادم / كتاب الخراج / تحقيق احمد محمد شاكر/ ص ٧١ — ٧٢ القاهرة / ١٣٤٧ .

الاسلام أو قرابتهم من الرسول « لأعطي من قاتل رسول الله كمن قاتل معه» أو حتى أجتهاده في نص من نصوص القرآن في عطاء المؤلفة قلوبهم (١) .

ويبدو لي ان أي دراسة للنقود المتداولة في المعاملات التجارية زمن الرسول والخلفاء الراشدين ولعصر عمر بالذات تشير إلى سمعة النقود الساسانية الفضية والدنانير الذهبية البيزنطية التي كانت تصدرها هاتان الدولتان لاسواق المسلمين أو أخرى قد اكسبت هذه النقود سمعة تجارية عالية في المعاملات التجارية والاقتراض من حيث معدنها وطريقة سكها ودقة صنعتها ، فقد كان النظام المالي في الاسلام قائما اساسا على النقود (٢) ، كما كانت النقود تقدر عند التجار والصرافين حسب قيمةمافيها من معدن بغض النظر عن سعرها الرسمي من السوق ، الامر الذي جعل العرب قبل الاسلام وبعده يفضلون الاحتفاظ بالنقود الجيدة دون الزائفة والممسوحة مما جعل للتجار والصرافين تأثير خطير في تقرير سمعة العملة التي كانت عماد الحياة الاقتصادية كما جعل هؤلاء بأحتكاك مباشر مع الدولة التي تحرص على الاحتفاظ بسمعة هذه النقود (٣) .

فهل يمكن ان يقال اذن ان السبب الاقتصادي فحسب كان حائلا دون ضرب سكة عربية اسلامية صرفة زمن عمر .

ام ان انشغال الخليفة بحروب تحرير العراق وايران والشام ومصر قد حال دون اهتمامه جديا في تعريبها ، وانها لم تكن في قائمة الاولويات التي بذهن الخليفة وهو في خضم تصريف امور وممالك كبيرة وشعوب حديثة العهد بالادارة الجديدة اختلفت ديانتها وانتمائها القومية ، كما اختلفت امزجتها وتطلعاتها .

---

(١) الواقع ان المصادر الاولية تشير اشارات واضحة إلى اعتزاز الرسول (ص) بالخليفة عمر وفيما بعد اجتهد عمر في نصوص الاجنبي اصبح خليفة للمسلمين .
انظر ابن هشام / السيرة النبوية / حققها وشرحها مصطفى السقا / ط ١٩٥٥٣ م سنة مصر وانظر الطبرى / تاريخ الرسل والملوك / دار المعارف ١٩٦٣ .

(٢) صالح العلي / نفس المصدر / ص ٢٨٨ .

(٣) صالح العلي / نفس المصدر / ص ٢٩٥ .

إن الباحث لسيرة الخليفة عمر بن الخطاب والدارس لشخصيته والمتمعن في ايمانه العميق وانتمائه القومي الاصيل وفي موافقة الشجاعة واجتهاده ليحار حقا في إعطاء دقيقة عن موقف الخليفة أزاء هذا الموضوع .

لقد ورث الخليفة عثمان عمر في خلافة المسلمين سنة ٢٣ هـ فأبقى ما كان عليه الرسول والخلفاء الراشدون في امر السكة ولم يغير من أمرها شيئا ، الا أن بعض المصادر تشير إلى انه ضرب دراهما على الطراز الساساني ونقش عليها (الله اكبر) (١) والمؤسف اننا نفتقد إلى نموذج من هذا الدرهم حتى الان .

وفيما بعد فانه لم يكن ثمة تغيير يذكر في طرز السكة ، فقد شغلت الفتنة المسلمين عن مثل تلك الامور ، حتى مجيء الدولة الاموية وخلافة معاوية ابن أبي سفيان .

ويشير المقريزي إلى ان معاوية سنة ٤١ هـ أول من ضرب دنانير عليها صورته مفروق الشعر على جبينه ويحمل بيمناة سيفا ، وان بعض هذه الدنانير وقع في يد شيخ فجاء إلى الخليفة معاوية وقال « يامعاوية انا وجدنا ضريبك شر ضرب (٢) » .

والحقيقة ننا نعتقد ايضاً الى نموذج من هذه الدنانير والذي يمكن أن يعزى غيابها إلى صهرها واعادة سكها زمن عبد الملك بن مروان (٣) .

وقد قام معاوية كذلك بضرب الدراهم (٤) بمشورة زيادة بن أبيه واليه على العراق وجعل وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل . كما نسب الدكتور

---

(١) المقزيزي — الكرملي ص ٣١

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٣ وفي كتاب المؤرخ السرياني الذي نشره نولدكة ان معاوية ضرب عملة فضية وذهبية ولكنها لم تقبل لانه لم يكن عليها الصليب . فلهرزن / تاريخ الدولة العربية / ص ٢١١ .

(٣) ان صهر السكة واعادة ضربها من جديد أمر قديم ومعروف .

(٤) يحتفظ المتحف البريطاني نماذج من هذه الدراهم .

الدكتور عبد الرحمن فهمي إلى معاوية درهما على الطراز الساساني ضرب سنة ٤٣ هـ .

كما وقع بين أيدى بعض الباحثين نماذج من فلوس ضربت في ((ايليا) بفلسطين نسبت اليه وهي على طراز دنانيره المصورة (١).

تولى بعد معاوية بن ابي سفيان وخلال خمس سنوات ثلاث من خلفاء بني أمية لم تشير المصادر إلى محاولات بارزة لهم في ميدان النقود الاسلامية حتى تولى الخلافة عبد الملك بن مروان سنة ٦٥ هـ — ٨٦هـ .

نشأ عبد الملك بن مروان في (المدينة) نشأة دينية امتزجت بولاء عميق لانتمائه القومي ولأسرته بني امية . وقد عد عبد الملك من فقهاء المدينة يقرن بسعيد بن المسيب لتفقهه بالدين وانكبابه على قراءة القرآن (٢) .

وقد تولى عبد الملك مواقع ادارية بارزة قبل توليه الخلافة اهلته لها شغصيته وحنكته السياسة وقدرته الفائقة وقد ذكر عنه حين استخلف «ما أنا بالخليفة المصانع ولا الخليفة المستضعف »(٣)

وبعد توليه خلافة المسلمين حاول عبد الملك ان يقيم دولة على قواعد جديدة بادارة ذات طابع عربي اصيل اكثر مما كانت من قبل . فقد اعطى لاقاربه بني امية من التمتع بالسيادة نصيبا اعظم مما كان يعطيهم اياه من كان قبله من خلفاء بني امية فكادت تكون في ايديهم اول الامر الامصار(٤) .

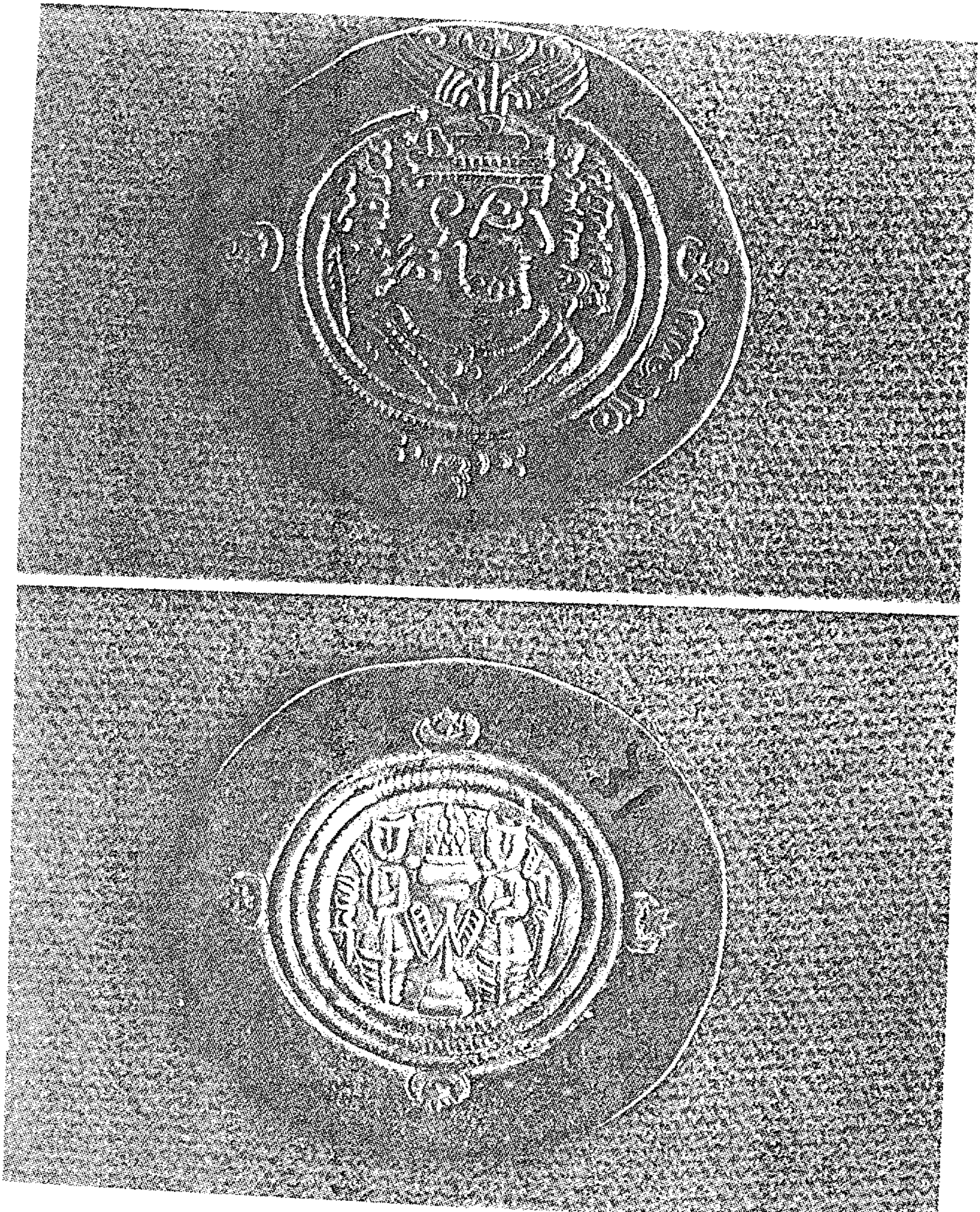
والحق ان عبد الملك غدا يمثل قمة السياسة العربية في الاعتماد على العرب

(١) عبد الرحمن فهمي / فجر السكة العربية / ص ٣٧ مطبعة دار الكتب ١٩٦٥ القاهرة انظر لوحه (٤)

(٢) محمد الخضرى / محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية (الدولة الاموية) ج ٢ ص ٢١٩ ١٩٦٩ .

(٣) عبد المنعم ماجد / التاريخ السياسي للدولة العربية / جـ٢ ص ١٠٤ وما بعدها مكتبة الانكلو المصرية ١٩٧١ القاهرة .

(٤) يوليوس فلهوزن / تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الاموية / راجعة حسين مؤنس / ص ٢١٣ — ٢١٤ / القاهرة .



لوحة رقم (٤)

درهم عربي ساساني باسم معاوية امير المؤمنين ضرب عام ٤١ ﻫ

عامة وعلى الامويين خاصة في القيادة والادارة والجيش، فقد جعل هؤلاء يمثلون سيادة قريش كما ولد شعور لدى البعض انهم يمثلون سيادة العنصر العربي على غيره وكان هذا واضحا في الادارة، حيث اصبحوا ارستقراطية قبلية اتجهت إلى الاقطاعات الواسعة .(١)

وقد عمل عبد الملك على تقوية الحكم العربي فعمل على تحويل كل شيء في جهاز الدولة إلى العربية وهو ماعرف بالتعريب وقد كانت هذه الخطوة هامة اذ ان اجزاء كبيرة من الوطن العربي لازالت حتّى وقتنا الحاضر عربية ثمرة لهذه الجهود (٢).

ويبدو ان هذه الخطوة كان لابد منها في تلك الفترة حيث دخل الاسلام شعوب وقبائل مختلفة الاصول والديانات كانت حاجتهم إلى قراءة القرآن والتفقه في الدين الجديد شديدة مما اقتضت الحاجة فيما بعد إلى تنقيط الحروف وايجاد قواعد للغة وهو مااصطلح على تسميته بعلم النحو . كما لعبت حروب التحرير العربية وأقبال العرب على التزوج بالاجنبيات دورا مهما ايضا وفيما بعد تولى الخلفاء انشاء مراكز للتعليم ، وجمعوا حولهم القادرين على ترجمة علوم اليونان وكتبهم ولاسيما كتب ارسطو وجالينوس ونقلها من السريانية إلى العربية (٣) .

وحينما استتب الامر لعبد الملك بدأ بخطة تعريب الدواوين أو بتعبير ادق دواوين الخراج بقصد تعريب المصطلحات المالية وايجاد الانسجام في ادارة الامبراطورية الاسلامية ،ففي عهده نقل ديوان الشام من اليونانية للعربية وقد قام الحجاج بنقل الديوان بالعراق من الفارسية للعربية ، اما ديوان مصر فقد بقي حتّى تم تعريبه في خلافة الوليد.

(١) عبد العزيز الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي / ص ٢٠ - ٢١) دار الطليعة بيروت طبعة اولى /١٩٦٩ .

(٢) عبد المنعم ماجد / المصدر السابق / ص ١٦٢ .

(٣) غوستان لوبون/ حضارة العرب / ص ٤٣٣ – ٤٣٤ ترجمة عادل زعيتر / مطبعة عيسى البابي الحلبي .

ويذكر عبد المنعم ماجد انه يمكن أن يكون سبب سرعة نقل ديواني (١) الشام والعراق دون ديوان مصر هو ان البلدين الاولين كانا عربيين منذ القدم وقد تبع خطوة تعريب الدواوين خطوة مصر هامة ترمي إلى تقوية الحكم العربي بضبط ميزانيته واقتصاده وصبغ الدولة بصبغة قومية عربية في الميادين الادارية والمالية.

ويبدو انهذه الخطوة ايضا كانت مرتبطة باستئناف الحرب مع الروم والتي لها شأن في ارضاء الشعور الديني لدى المسلمين فقد استأنف الجهاد معهم بعد هدوء دام ١٥ سنة (٢).

والحق ان المؤرخين العرب لايختلفون في نسبة الطراز العربي للنقود إلى عبد الملك بن مروان قدر اختلافهم في الدافع الذي ادى به إلى تعريبها.

ويمكن الوقوف على ذلك من النص الذي اورده البلاذري في كتابه فتوح البلدان:

« كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من ارض مصر ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير، فكان عبد الملك بن مروان اول من احدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير من (قل هو الله أحد) وغيرها من ذكر الله. فكتب اليه ملك الروم: « انكم احدثتم في قراطيسكم كتابا نكرهه، فان تركتموه والا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ماتكرهونه» .

قال: فكبر ذلك في صدر عبد الملك فكره ان يدع سنة حسنة سنّها فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية واخبره الخبر فقال افرغ روعك ياأمير المؤمنين حرّم دنانيرهم فلا يتعامل بها واضرب للناس سلكا ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير.

فقال عبد الملك. فرّجتها عني فرج الله عنك. وضرب الدنانير

وقال عواته بن الحكم وكانت الاقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبه إلى الربوبية، تعالى الله علوا كبيرا. وتجعل الصليب مكان بسم الله

---

(٢) عبد المنعم ماجد / المصدر السابق / ص ١٦٤ .

(٣) فلهوزن / المصدر السابق / ص - ٢٠١ .

الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ماكره ، واشتد عليه تغيير عبد الملك ماغيره (١) .

وقد اورد المقريزي(٢) وابن تغرى(٣) قصة مشابهة للبلاذري ويروى ابن الاثير سببا اخر هو ان الامويين اغفلوا امر المعاملة . بما تشاغلوا به من امر نفسهم فتفاحش الغش في التجارة ، ونسبت إلى الروم والفرس سكة ليست من سكتهم نعني عبد الملك بتمييز المغشوش من الدنانير والدراهم فضرب السكة(٤) .

ويذكر ابن خلدون عن سبب تعريب النقود بقوله «وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم إلى الوزن ويتصارفون بها بينهم إلى ان تفاحش الغش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك وامر عبد الملك الحجاج . . . . بضرب الدراهم وتمييز المغشوش من الخالص (٥) :

الا أن بعض المؤرخين المعاصرين يؤكدون ان ثمة صلة من سوء العلاقات بين المسلمين والروم وبين تفكير المسلمين في وضع عملة مستقلة ، حيث ان الحرب ادت إلى انقطاع التجارة وبالتالي قلة النقود الذهبية ، مما دعا عبد الملك إلى اصدار العملة ليحقق للدولة استقلالها الاقتصادي (٦) .

ويشير إلى هذا الرأى جرجي زيدان بقوله ان السبب المباشر الذي دفع عبد الملك إلى تعريب السكة يعود إلى توقف التجارة وانقطاع النقد ورغبته في تحقيق الاستقلال الاقتصادى للدولة (٧).

---

(١) البلاذري (فتوح البلدان) ص ٢٨٣ نشره ووضع ملاحقه وفهارسه د. صلاح الدين النجد مكتبة النهضة المصرية .

(٢) المقريزي – الكرملي – ص ٣٥ .

(٣) ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة) طبعة دار الكتب المصرية، / ص ١٧٦ – ١٧٧ سنة ١٩٢٩ .

(٤) ابن الاثير (الكامل في التاريخ) ج٤ ص ١٧٤ بولاق ١٢٩٠ هـ .

(٥) ابن خلدون (المقدمة) ص ٢١٨ .

(٦) E- Gibbon, The Decline and Fall the Rompan Empire London 1911 Vol 5. p. 338.

(٧) جرجي زيدان (تاريخ التمدن الاسلامي) ج١ ص ٩٨ ، دار الهلال – القاهرة .

اما امير علي فيعلل هذا الاجراء بقوله ان الدولة الاسلامية التي مضى عليها اكثر من نصف قرن ايام الفتح لايمكنها ان تظل معتمدة في اقتصادياتها على النقد الاجنبي كما ان العملة الفارسية كانت مغشوشة (١) .

ويورد الدورى سبباً مشابهاً حين يقول ان تعريب النقد زمن عبد الملك بن مروان خطوة مهمة في تأكيد كيان الدولة المالي وفي تدعيم اقتصادياتها ، وأن له صلة بالازمة المالية : ازمة الخزينة ، والتي واجهتها الدولة زمن عبد الملك وربما كان للثورات والحروب مثل ثورة ابن الزبير في الحجاز والمختار في العراق ودورها في الازمة التي ادت إلى تقلص موارد الخزينة من الجبابة (٢) .

والحقيقة ان عملية التعريب زمن عبد الملك وتعريب النقود بشكل خاص تدخل ضمن حركة قومية بدأ اولى خطواتها الخليفة عمر بن الخطاب كما اشرت سابقا وتبعه الخلفاء الامويون بخطى حثيثة منذ زمن معاوية واستكملت مراحلها النهائية زمن عبد الملك، فلقد كان امراً طبيعيا ان يتفق التعريب لدى الامويين وعبد الملك بالذات مع الوضع الجديد الذي رغبه الخليفة للدولة العربية الاسلامية وهو طبعها بالطابع القومي العربي بعد فترة من الانتقال دامت اكثر من سبعين عاما ، وبهذا فهي لايمكن ان تكون ردة فعل عفوية لسماع الخليفة تهديد الروم يشتم الرسول على السكة، اذ ان عبارات التوحيد والرسالة المحمدية قد ظهرت على السكة الأسلامية البيزنيطة قبل عهد عبد الملك ومنذ زمن الخليفة عمر ولابد انها وصلت إلى ايدى البيزنطين وعلمهم، فلقد كان لرعايا الدولة البيزنطية معاملات كثيرة مع الدولة العربية يتبادل الطرفان خلالها النقود

---

(١) امير علي مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ص ١٦٤ ترجمة رياض رأفت مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ ، القاهرة .

انظر الدكتور توفيق اليوزبكي / التعريب في العصرين الاموي والعباسي / اداب الرافدين ، العدد السابع ، ص ٥١ — وما بعدها .

(٢) عبد الرحمن فهمي) النقود العربية ماضيها وحاضرها)ص٣٧ المكتبة ثقافية ١٩٦٤ القاهرة

المضروبة على الطراز البيزنطي والنقود البيزنطية على السواء (١)

فتعريب النقود اذن سياسة مدروسة آن وقت تنفيذها وهي كما قلت طبع الادارة بطابع عربي قومي فبدأ بتعريب الدواوين وانتهى بتعريب سكة خالصة بطرازها والتي اصبحت ضرورة من ضرورات الحكم في مرحلة استقرار الدولة التي اعقبت حروب التحرير منذ عهد الخليفة .

ولقد بدأ الخليفة تعريب السكة على مراحل فمنذ مجيئه الى الخلافة سنة ٦٥هـ كانت السكة في الشام تضرب بصورة امبراطور بيزنطية مع بعض الكتابات العربية، ويبدو ان الامبراطور البيزنطي لم يكن ليطمع من جيرانه الالداء اكثر من الابقاء على بعض المظاهر البيزنطية على سكتهم ، ولقد سار عبد الملك في هذا الطريق اول الامر ، فضرب دنانيره الذهبية على طراز السكة النحاسية (الفلوس) البيزنطية لهرقل وولديه قسطنطين وهيراقليوناس مما كان يضرب في الاسكندرية (٢) وعليها الحرفان (IB) ولكنه بدل وضعهما وجعل كلا منهما بدل الاخر وبشكل (BI) كما غير اشكال الصلبان فجعلها في هيئة حرف (T) ثم حورها بعد ذلك بشكل كرات احاطها بعبارات التوحيد وبالخط الكوفي ، ولم يعترض البيزنطيون أزاء ذلك حيث كان هذا الطراز مألوفا لديهم قبل عهد عبد الملك.

وخطا عبد الملك خطوة ثانية فاستبدل صورة هرقل وولديه بصورته مع ابقائه بعض التأثيرات المسيحية كالعمود القائم على المدرج ، فأصبحت صورة

---

(١) اما متى بدأ هذا الاصلاح فيشير المقريزي إلى انه « لما استوثق الامر لعبد الملك بن مروان بعد مقتل عبدالله ومصعب ابن الزبير فحص عن النقود والاوزان والمكاييل وضرب الدنانير والدراهم في سنة ست وسبعين من الهجرة » .
المقريزى الكرملي — ص ٢٤ .
ويذكر عبد الرحمن فهمي إلى وجود سكة لعبد الملك بن مروان تحمل صورته مؤرخة سنة ٧٤هـ.
عبد الرحمن فهمي (فجر السكة) ص ٤٨ .

(٢) ناصر النقشبندي / الدينار الاسلامي في المتحف العراقي / ص ٢٣ بغداد ١٩٥٣ ويظهر أن الحرفين IB وردا على السكة البيزنطية للدلالة على القيمة وهي ١٢ نميا.
انظر لوحة رقم (٥) .
انظر لوحة رقم (٦).



لوحة رقم (٥)

فلس عربي بيزنطي



لوحة رقم (٦)

فلس مطلي بالفضة صادر قبيل تعريب النقد عليه اسم وصورة عبدالملك بن مروان

الخليفة على وجه الدينار تحيط بها البسملة وشهادتها التوحيد والرسالة المحمدية وعلى ظهر الدينار كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :

(بسم الله ضرب هذا الدينر سنة ....) كما اصبح الصليب مجرد عمودوقائم على اربع مدرجات وفي اعلاه كرة، ويبدو ان هذا التحوير كان المرحلة الاخيرة من تساهل العرب في تقليد السكة البيزنطية (١).

ومما يلفت النظر في هذه الدنانير الاسلامية التي سكت على الطراز البيزنطي هو جرأة عبد الملك في نقش صورته على احد وجهي الدينار مما أثار اعتراض بعض الصحابة عليه الذين وصلت الى ايديهم نماذج منها «فلم ينكروا منها سوى نقشها فان فيها صورة» (٢) .

لقد استغرقت هذه الثورة الاصلاحية اربع سنوات منذ سنة ٧٣هـ وحتى سنة ٧٧هـ حيث احتلت الكتابات العربية في هذه السنة وجهي الدينار العربي كما اختلفت الدنانير المصورة واصبح هامش الوجه ينص على (محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وفي المركز شهادة التوحيد التي نصها (لااله الا الله وحده لاشريك له) وعلى ظهر الدينار وفي الهامش او في المركز ثلاثة سطور متوازية من سورة الاخلاص (الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد (٣) .

وبهذا استطاع عبد الملك بالطراز الجديد من السكة ان يتم تعريب النقود ويجعلها طرازاً عربيا اسلاميا صرفا.

ويبدو، ان ثمة اختلافات كانت في ضرب الدنانير الاموية في الاقاليم الشرقية عنها في الاقاليم الغربية من حيث ترتيب اسطر الكتابة او تكملة بعض

---

(١) عبد الرحمن فهمي (فجر السكة) ص ٤٣ – ٤٤
(٢) مقريزي – كرملي ، ص ٣٤ .
(٣) عبد الرحمن فهمي (النقود العربية ماضيها وحاضرها) ص ٣٤ .

النصوص القرآنية (١) ،فقد كتب الدينار في الاقاليم الشرقية على الشكل التالي:

وجه

مركز لا اله الا
الله وحده
لاشريك له

هامش: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

ظهر

مركز الله احد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد

هامش بسم الله ضرب هذا الدينر ....

وكتبت الدنانير في الاقاليم الغربية من العالم الاسلامي في شمال أفريقيا والاندلس على الشكل التالي :

وجه

مركز لااله
لاالله
وحده

هامش محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق

ظهر

مركز بسم الله
الرحمن
الرحيم

---

(١) J. Walker : Catalogue of the Arab - Byzantine and Post Refrom Umaiyad Coins (london 1956) PP.99.
نظر لوحة رقم (٧)



لوحة رقم (٧)

دينار ذهبي على الطراز العربي الاسلامي اصدار عبدالملك بن مروان عام ٧٩هـ

هامش (بدون بسملة) ضرب هذا الدينر(١)

أما الدراهم الاسلامية فيبدو أن تعريبها كاملا لم يتم حتى سنة ٧٩هـ وهي تحمل مكان الضرب كما تحمل نصوص الدنانير التي ضربت في الاقاليم الشرقية وجهاً وظهراً مع استغلال مساحة الدرهم الكبيرة فاكملت النصوص القرآنية من سورة الاخلاص إلى (احد) على مركز الوجه واكملت عبارة الهامش إلى (ولو كره المشركون) وفي هامش الظهر حمل مكان الضرب .

أما الفلوس فقد تنوعت طرزها حسب الاقاليم فحملت شهادة التوحيد والرسالة المحمدية واقدم الفلوس التي بين أيدينا يرجع تاريخية إلى سنة ٩٠هـ(٢).

ومما يجدر ذكره أنه برغم تعريب السكة الفضية سنة ٧٩ هـ الا أن الحجاج ابن يوسف ظل يضرب باسمه دراهم منذ سنة ٨٠ هإلى ٨٣ هـ على الطراز الساساني (٣).

وفي الختام لابد من الاشارة إلى أن تعريب النقود زمن عبدالملك بن مروان كان خطوة اقتصادية ثورية في سبيل الاصلاح المالي، فاستقرت السكة وثبت وزنها وعيارها وغدا التلاعب بها امراً خطيراً يحاسب عليه فاعله، كما أدى ثبات اسعارها وسيولتها إلى سهولة التبادل التجاري بها في الاقاليم الاسلامية ،بعدأن منحها التجار والصيارفة ثقتهم.

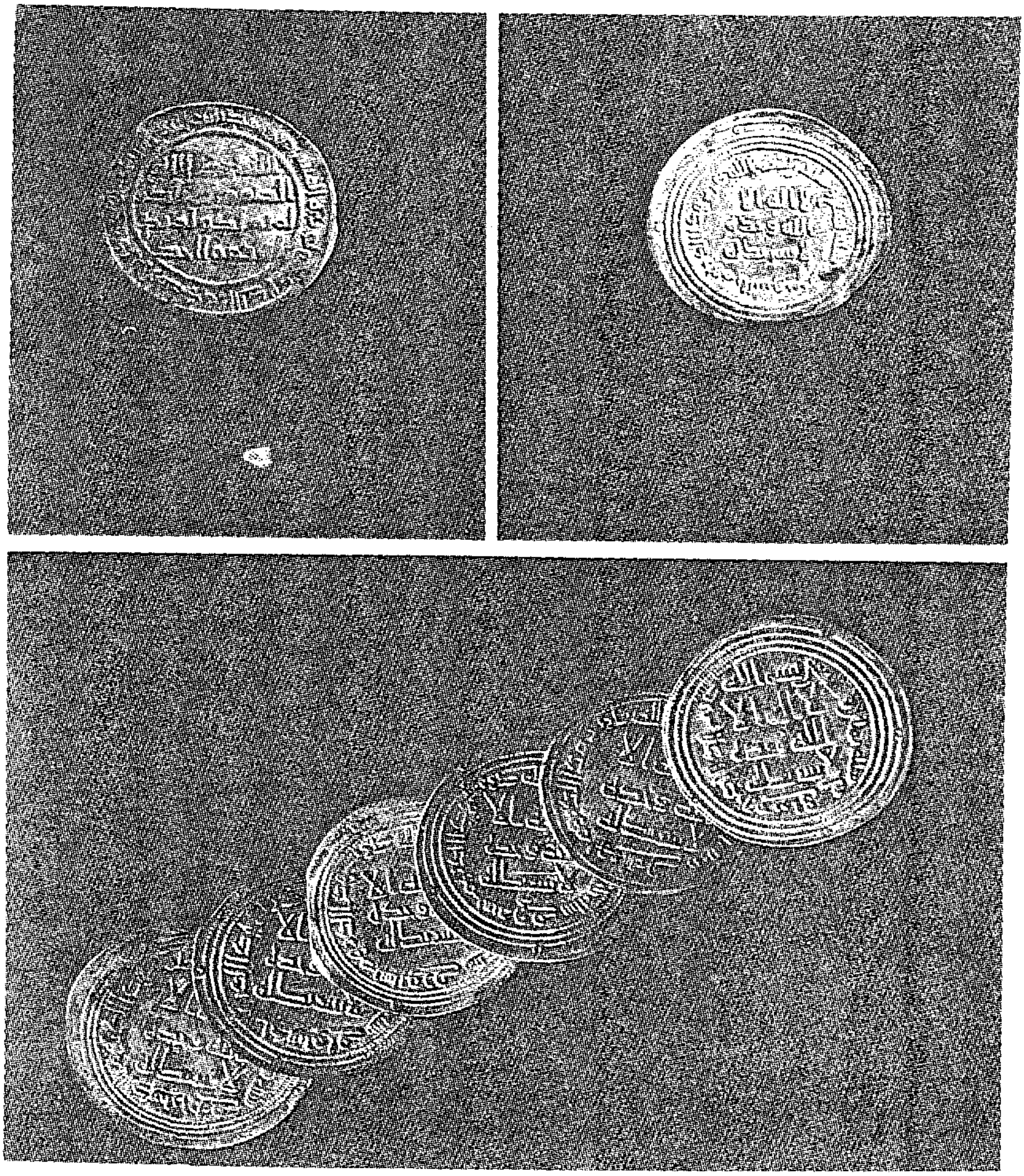
كما كان تعريب النقود ثورة على نظم السكة القديمة المتداولة وجزء من مبدأ التعريب الذي حققه الخليفة في جميع الميادين الادارية .

---

(١) انظر عبد الرحمن فهمي (فجر السكة العربية) ص ٥٠ .
وانظر محمد باقر الحسيني / العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ص ١٨ مطبعة الجاحظ ١٩٦٦م .

(٢) Wolker op. cit PP. IXVII 289

(٣) د. عبد الرحمن فهمي (فجر السكة) / ص ٥١.
انظر لوحة رقم (٨)
انظر لوحة رقم (٩)
انظر لوحة رقم (١٠)
انظر لوحة رقم (١١)



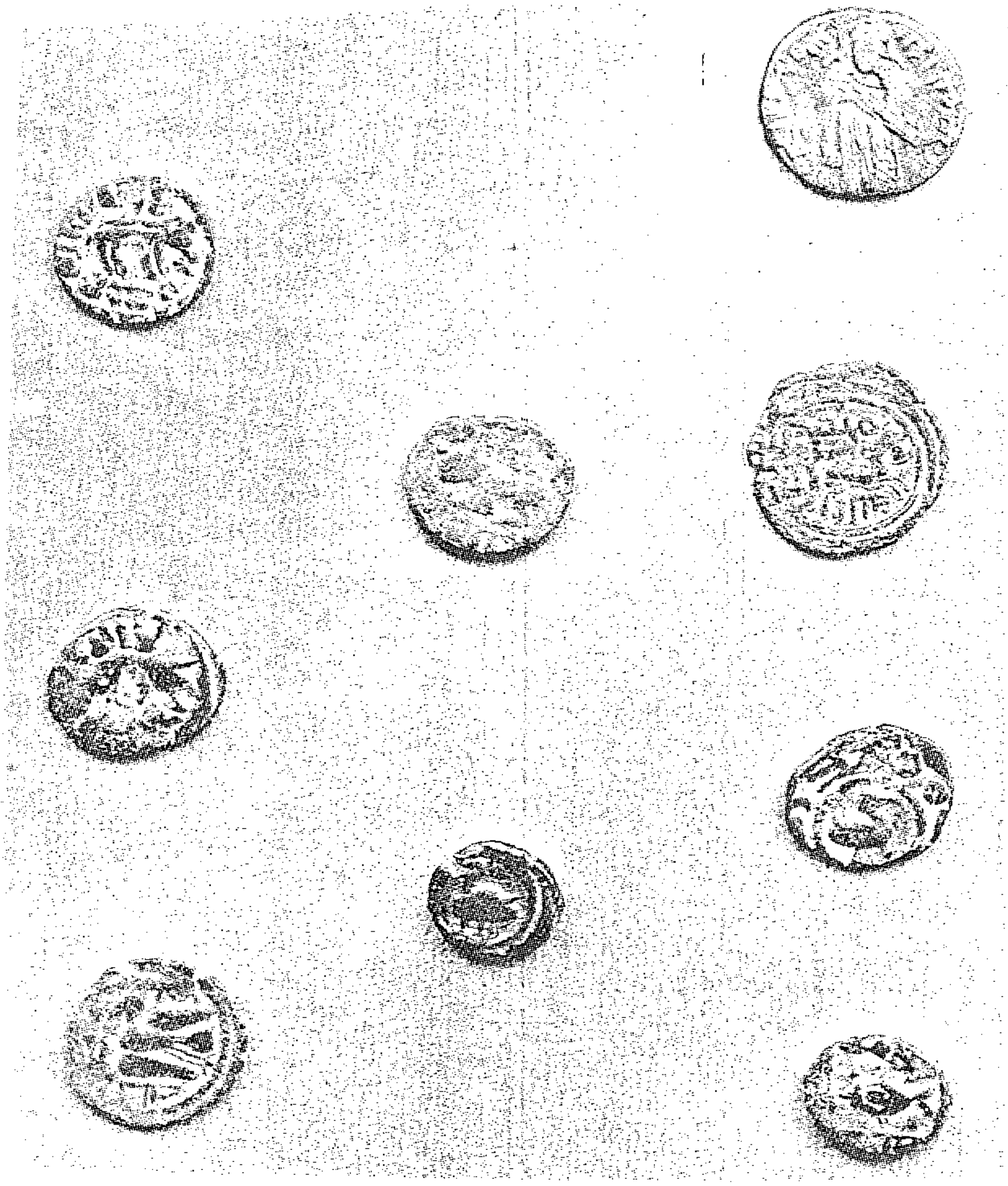
لوحة رقم (٨)

أ ـــ نموذج للدرهم المعرب الاول ضرب عام ٧٩ هـ

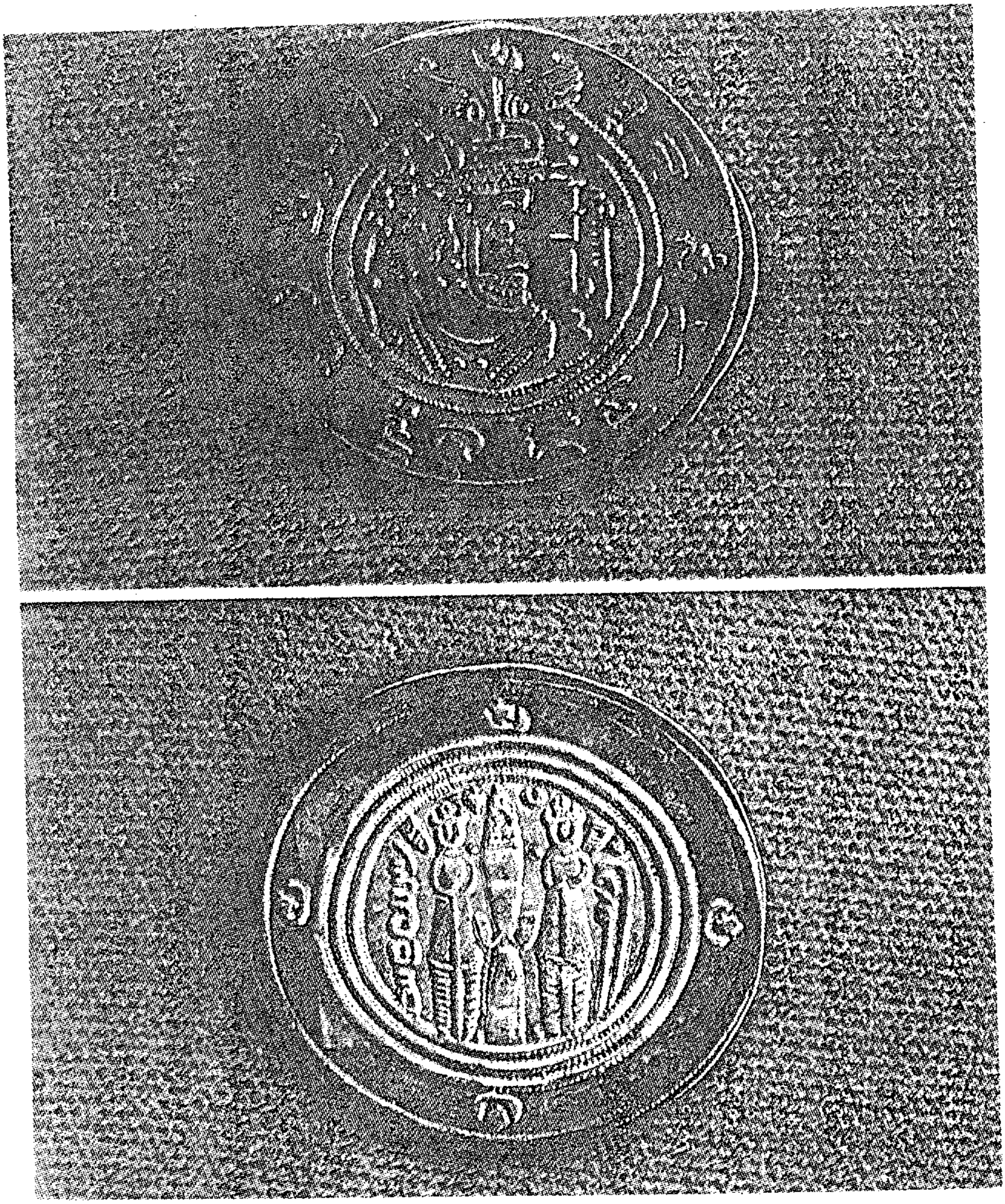
ب ـــ نماذج لدراهم أموية مختلفة



لوحة رقم (٩)
اذج مختلفة لفلوس اموية



لوحة رقم (١٠)



لوحة رقم (١١)

درهم عربي على الطراز الساساني ضرب الحجاج بن يوسف الثقفي

فقد شهد عصر عبدالملك بن مروان ظاهرة جديدة تتلخص في صبغ الادارة بالصبغة القومية العربية فبدأ بتعريب الدواوين وانتهى بضرب سكة عربية خالصة بطرازها والتي أصبحت ضرورة من ضرورات الحكم في مرحلة استقرار الدولة التي أعقبت حروب التحرير منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض).

مراجع البحث

أ – المخطوطات

مصطفى الذهبي الشافعي ت ١٢٥٦هـ

١ – تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال

مؤسسة الآثار العامة / بغداد

رقم المخطوطة (١٠٩٠)

ب – المراجع العربية

ابن الاثير : (عزالدين أبو الحسن علي الجوري) (ت ٦٣٠هـ)

١ – الكامل في التاريخ

بولاق ١٢٩٠ هـ

وبيروت ١٩٦٥م

ابن آدم : يحيى بن آدم

٢ – كتاب الخراج

تحقيق احمد محمد شاكر القاهرة ١٣٤٧ هـ

ابن تغري بردي : (ابو المحاسن جمال‌الدين يوسف) ت٨٧٤هـ

٣ – النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة (٣) أجزاء

طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩ م

ابن خلدون : (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون) ت ٨٠٨ هـ

٤ – مقدمة تاريخ ابن خلدون

طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ

ابن سعد : (محمد بن سعد كاتب الواقدي)

٥ – كتاب الطبقات الكبير ، طبع ليدن سنة ١٣٢٢هـ

ابن سلام : (أبو القاسم بن سلام) ت٢٢٤هـ
٦ — كتاب الاموال صححه وعلق على هوامشه محمد حامد
الفقي القاهرة ١٣٥٣ هـ
ابن عبد الحكم : (أبو محمد عبدالله بن عبدالحكم) ت٢١٤هـ
٧ — فتوح مصر واخبارها
طبعة هنري ماسيه ، القاهرة ١٩١٤م
ابو يوسف : القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم ت١٨٢ هـ
٨ — كتاب الخراج
المطبعة السلفية. القاهرة ١٣٥٢ هـ
البلاذري : (أحمد بن يحيى بن جابر) ت٢٧٩هـ
٩ — كتاب فتوح البلدان
نشره ووضع ملاحقه وفهارسه د. صلاح‌الدين المنجد
مكتبة النهضة المصرية .
أحمد تيمور :
١٠ — التصوير عند العرب
نشر وتعليق د. زكي محمد حسن، القاهرة ١٩٤٢ م
توفيق سلطان اليوزبكي (الدكتور)
١١ — التعريب في العصرين الاموي والعباسي
مجلة آداب الرافدين (تصدرها كلية الآداب ، جامعة
الموصل) العدد السابع ١٩٧٦ م.

جرجي زيدان
١٢ — تاريخ التمدن الاسلامي
دار الهلال — القاهرة
سيد أمير علي
١٣ — مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي
ترجمة رياض رأفت ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر القاهرة ١٩٣٨ م
صالح العلي (الدكتور)
١٤ — محاضرات في تاريخ العرب
الطبعة الثالثة . بغداد ١٩٦٤ م
١٥ — التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الاول الهجري
الطبعة الثانية دار الطليعة. بيروت ١٩٦٩ م
صبحي الصالح (الدكتور)
١٦ — النظم الاسلامية نشأتها وتطورها
الطبعة الثانية دار العلم للملايين — بيروت ١٩٦٨ م
عبدالرحمن فهمي محمد (الدكتور)
١٧ — الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الاسلامية
(مستخرج من المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية
المنعقد في فاس سنة ١٩٥٩ م)
١٨ — النقود العربية ماضيها وحاضرها
المكتبة الثقافية العدد ١٠٣
طبع في المؤسسة العامة للتأليف والترجمة
القاهرة ١٥ شباط ١٩٦٤ م
١٩ — موسوعة النقود العربية وعلم النميات (فجر السكة
العربية) القاهرة ١٩٦٥ م

عبدالعزيز الدوري (الدكتور)
٢٠ ـ مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي
طبعة اولى دار الطليعة بيروت ١٩٦٩ م
عبدالمنعم ماجد (الدكتور)
٢١ ـ التاريخ السياسي للدولة العربية
مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧١ م
علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي
٢٢ ـ اخبار عمر
دار الفكر دمشق ١٩٥٩ م
غوستاف لوبون
٢٣ ـ حضارة العرب
ترجمة عادل زعيتر
مطبعة عيسى البابي الحلبي
محمد باقر الحسيني (الدكتور)
٢٤ ـ العملة الاسلامية في العهد الاتابكي
مطبعة دار الجاحظ ١٩٦٦ م
محمد حسين هيكل (الدكتور)
٢٥ ـ الفاروق عمر
الطبعة السادسة ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م
محمد الخضري
٢٦ ـ محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية (الدولة الاموية)
القاهرة ١٩٦٩ م
المقريزي (تقي‌الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥ هـ
٢٧ ـ النقود الاسلامية القديمة (نشره الاب انستاس الكرملي)
في كتابه (النقود العربية وعلم النميات) الجزء الخاص
بالنقود القاهرة ١٩٣٩ م

محمد كرد علي
٢٨ ــ خطط الشام
طبع في مطبعة الترقي بدمشق ١٩٢٦ م
ناصر النقشبندي
٢٩ ــ الدينار الاسلامي في المتحف العراقي
بغداد ١٩٥٣ م
اليعقوبي : أحمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت٢٨٤هـ)
٣٠ ــ تاريخ اليعقوبي بيروت ١٩٦٥ م
بوليوس ولهوزن
٣١ ــ تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الاموية راجعه حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٨

ج ــ المراجع الاجنبية

1 — Arnold (T.W.)
Painting in Islam
Oxford

2 — Gibbon, The Decline and fall the Roman Empire
London 1911

3 — Walker (john)
A Catalogue of the Arab- Byzantine and post Reform Umaiyad Coins London 1956

صدّام حسين القائد التأريخي

الدكتور ناطق صالح مطلوب
مدرس

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

١ – مدخل في القيادة عبر التأريخ :

عرفت البشرية عبر عصورها المختلفة قادة وابطالا كان لهم نصيب حافل في احداث التأريخ، تبوأوا من خلالها مكانة رفيعة وأقترنت بهم اعمال وامجاد عاشت مؤثرة وفاعلة في الامة التي انجبت القائد أو البطل قرونا عديدة.

وعرفت البشرية ايضا قادة اخرين ما ان غابوا عن الساحة حتى غابت معهم الاعمال والمبادىء التي مثلوها، عدوا في حلقات التأريخ بصفة الحكام الرسميين الذين تعاقبوا، ملأ للفراغ او سداً للحاجة الضرورية والتقليدية التي درجت عليها الشعوب والامم.

واذا كان النمط الثاني من القادة او (الحكام) لا يدخل في حساب هذا المبحث الا بمقدار العامل المساعد في كثير من الاحيان لظهور القادة التاريخيين. فأن القيادة التي نعنيها في الدراسة هي قيادة الرجال الذين جعلوا من اممهم، أمما بكل ما تحويه هذه اللفظة من معان وآفاق، امما استطاعت ان تمارس دوراً تاريخيا في خضم الاحداث الجسيمة، وطليعيا وسط الامم الاخرى، وان تكون الرائدة في الوسط الانساني من خلال تأثيراتها الفاعلة في شتى مناحي الحياة المتنوعة، هؤلاء الرجال هم القادة التأريخيون، هم الامة بكاملها مجسدة في شخصية القائد ومتمثلة به، يشار اليهم كناية عن الامة وحيث ذكرت الامة ذكرت أمجادهم الخالدة.

وبرغم العدد الذي لا يحصى من القادة والعظام المشهورين الذين حفلت بهم صفحات التاريخ الانساني، فأن عددا قليلا فقط قياسا إلى هذا العدد الكبير من القادة، هم الذين يطلق عليهم او يصح ان نطلق عليهم القادة التاريخيين، فليس كل قائد او بطل حقق مقداراً معينا لشعبه او امته يمكن ان يكون في حساب التاريخ بطلا تاريخيا، قد تطلق عليه صفات كثيرة وعديدة نتيجة اعجاب الشعب او ابناء الامة به، ولكن هذه الاعمال قياسا إلى الاعمال والمهمات التي يقوم بها بعض القادة في شعوب وامم اخرى

قد تعتبر لا شيء على الاطلاق ، او ربما قد يكون القائد صورة اخرى غير تلك الصورة التي تراه من خلالها شعوب امته، صورة تعني الطاغية او المعتدى.

فالقيادة التاريخية تتحدد باهداف الأمة المركزية ، والتي قد تتعدد وتتشعب نتيجة ظروف تعيشها الامة، تلك الاهداف هي في حصيلتها حقوق مشروعة وآمال قومية تثير بالشعوب همة عالية وتمنحها زخماً متواصلا من القوة وتفتح امامها طرقا غير مسلوكة وطاقات غير محسوبة للوصول اليها تحقيقا لرسالتها في الحياة ، وامة بهذه الصورة لابد ان تؤطر مسيرتها باطار الانسانية ، والتي هي في الاصل نابعة من صميم القومية او الاصل التي تنبع منه جميع المباديء والاهداف لتكون رسالتها انسانية لكل ابناء الامم الاخرى ، مثل هذه الامة هي القادرة على أن تنجب القادة التاريخيين الذين يولدون حيث توجد الازمات والتحديات ، وحيث المهمات الصعبة . فالاهداف المشروعة، ورسالة الامة في الحياة ، والانسانية هي ميادين القيادة التاريخية، وما بقية الاشياء الاخرى، الا اجزاء توصل بكل ميدان من هذه الميادين .

هذه اصول اصطلحت عليها جميع الامم الحية في التاريخ ، ومن ثم فهي اصول اقرتها الشرائع والكتب السماوية، وان كان ذلك بصيغة التركيز على مباديء محددة ومعينة ، ففي القرآن الكريم (١)نجد التأكيد على فكرة التغير المستمر بالنسبة للامم السالفة وتوالي الامم واستخلاف امة لاخرى واساس التغير يقوم على تمسك الامة او عدم تمسكها بالطريق الصائب (٢) ، الذي يعني طريق المباديء .

وإذا اعتمدنا ذا القرنين كمثل للقائد في القرآن الكريم ، (٣) فأننا نراه ذلك الرجل العظيم من خلال التزامه التام بالمبادىء ، واعتناقه لرسالة كرس جهوده

(١) ينظر الآيات القرآنية التي تشير إلى ذلك في المعجم المفهرس تحت لفظة (امة) .
(٢) التراث العلمي العربي : ١٠٢ .
(٣) سورة الكهف : الآيات : ٨٣ — ٩٧، تفسير ابن عباس : ٢٥١ ، تفسير ابن كثير : ٣/١٠٠ .

لتعميمها على أبناء البشرية عامة في مشرق الارض ومغربها هذا الرجل المحاط بالعناية الالهية تيسرت له الطرق والسبل لتوصيل الأهداف السامية وليحرر شعوب الارض من الاستغلال والاستعباد وظلم الإنسان للإنسان ، ويكون عوناً لشعوب أخرى غلبت على أمرها ، هذا الرجل جمع بين المبادىء والروح الإنسانية من خلال الاستلهام المتواصل من الله عز وجل (والذي يقابل في موضوعنا الاستلهام من تاريخ وتراث الامة) وإذا كنا لانستطيع تحديد هوية ذي القرنين بالدقة المطلوبة ، أو معرفة الامة التي ينتمي اليها، (١) فأنه ورغم ذلك يعد قائداً تاريخياً قاد امة تاريخية وعت رسالتها الانسانية كما يجب.

وفي التاريخ العربي القديم نجد صفة القائد التاريخي تتمثل في شخصية ملك بابل حمورابي (حوالي ١٩٤٠ أو ١٧٢٨ ق.م) الذي غلب ملك لارسا وطرد العيلاميين (٢) وفاز بتأسيس امبراطورية موحدة وطغت شخصيته على غيرها من الشخصيات التاريخية التي ظهرت في تاريخ العراق القديم فقد كان ملكاً عظيماً ويعتبر قانونه أو شريعته عملا خالداً له وللشرق (٣) اشتقت منه معظم الحضارات القديمة نصوصاً حددت علاقة المواطنين مع بعضهم أو علاقة

---

(١) قال ابن كثير : « كان في زمن الخليل كما ذكره الازرقي وغيره ، وانه طاف مع الخليل بالبيت الحنيف لما بناه ابراهيم عليه السلام .... »

وذكر أبو الفداء « ان ذا القرنين الذي ذكره الله في القرآن هو ملك قديم كان على زمن ابراهيم الخليل عليه السلام ، قيل انه افريدون ، وقيل غيره وقد غلط من ظن ان باني السد هو الاسكندر الرومي وكذلك قد استفاض على السنة الناس ان لقب الاسكندر — المذكور ذو القرنين وهو ايضا غلط فان لفظة(ذو)لفظة عربية محضة وذو القرنين من القاب العرب ملوك اليمن وكان منهم ذو جدن وذو كلاع وذو نواس .... وذو القرنين الصعب ابن الرائش واسم الرائش الحارث بن ذى سدد بن عاد .....
وقد قيل ان ذا القرنين الصعب المذكور هو الذي مكن الله له في الارض وعظم ملكه وبنى السد على ياجوج وما جوج ومما نقله ابن سعيد المغربي ان ابن عباس سئل عن ذى القرنين الذي ذكره الله في كتابه العزيز فقال : هو من حمير وهذا مما يقوى انه الصعب المذكور لانه كان ملكا عظيما وكا ن من ولد حمير ».

البداية والنهاية : ١٠٣/٢ ، المختصر في اخبار البشر : ٤٥/١، ٤٦ وينظر ايضا : تفسير ابن كثير : ١٠٠/٣ ، تفسير البيضاوي ١١/٢٠ مروج الذهب : ٣١٩/١ .

(٢) احداث شهيرة من التاريخ : ٥ .

(٣) احداث شهيرة : ٥ وينظر القانون في العراق القديم : ٢١٩.

هؤلاء مع الجهات العليا ، ولم تكن شهرة حمورابي مقصورة على ذلك فحسب فقد اتجهت أنواع نشاطه في ميادين كثيرة كانت مصدر تقدم ورفاهية الامه(١).
كما أن هذه الصفة تتمثل في كثير من جوانبها في الملك مينيا ملك مصر (حوالي سنة ٣٢٠٠ ق.م) الذي استطاع توحيد مصر بعد أن كانت مملكتين متعاديتين(٢).
ويعتبر سرجون الأكدي (٢٣٧١ — ٢٣١٦ ق.م) مؤسس أول دولة عربية موحدة شملت تقريباً معظم أجزاء الوطن العربي (٣) ومن خلال هذا الدور الذي قام به اكتسب صفة القائد أو البطل التاريخي .
أما القيادة أو البطولة لدى الامم الأخرى كاليونان والرومان والفرس فتعني أول ماتعني الفتح (وما يرافقه من سلب ونهب واجتثاث جسدي وافناء)(٤) ورجال القيادة قساة غلاظ الطباع سواء نحو مواطنيهم أو عبيدهم ، والمواطنون بصورة عامة اداة مسخرة لخدمة الدولة أو القائد ، وقلما حملت اعمالهم مبادىء سامية يمكن أن تكون دليلا أو عونا للشعوب المغلوبة ، ولعل الناظر في التاريخ يجد كم كانت فتوحات وأعمال القياصرة والأباطرة واتيكا وجنكيزخان وأتيلا وكاليغولا (٥) وآخرين غيرهم كهولاكو وتيمورلنك متوحشة وضارية .
أما في العصر الوسيط فقد كان كرومويل ونابليون مثال البطولة التي أدخل عليها عنصر الاصلاح أو نشر المبادىء ولكن الزهو والغرور والانانية ، (٦) والميل إلى استعباد واذلال الشعوب الاخرى اضافة إلى امتصاص مواردها الحيوية كان سمات رجال هذا العصر (٧) .

---

(١) المصدر السابق : ٦ .
(٢) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة : ٢/ ٢٩ .
(٣) تاريخ العراق القديم : ١٤٣/١ وما بعدها .
(٤) القيادة والازمة الحضارية : ٢١ .
(٥) نفس المصدر : ٢٢، مختصر دراسة للتاريخ : ١٤٩ .
(٦) نفس المصدر : ٢٢ .
(٧) وعن القيادات التي تميزت بالعنصرية ، ينظر : هتلر وموسليني كثالين : تاريخ اوربا في العصر الحديث ، فيشر، ص ٦٠٠ — ٦٠٢ و ٦٠٦ و ٦١٩ .

ان مايميز القادة التاريخيين العرب عن غيرهم هي السمات الانسانية التي رافقت رسالة الامة العربية عبر تاريخها الطويل ، وفقدان هذه السمات لدى معظم قادة الامم الاخرى .

٢ — **الماضي والحاضر** :

منذ سقوط مدينة بغداد عاصمة الخلافة العربية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م على يد التتار والامة العربية تعاني من أزمات حادة وعديدة أهمها واعلاها درجة وتأثيرا هي أزمة القيادة ، اضافة إلى عوامل الضعف والتجزئة وغياب الفكر الواحد ، الذي كان أساساً لتوحيد أهداف الأمة بحيث باتت الامة العربية (وكأنها ليست تلك الامة التي حملت في يوم ما مشعل الحضارة الانسانية لتنير به ظلمات العالم) (١) فقد ظللنا زمناً طويلاً نعيش فترة طلاق بين الفكر والعمل وأصبح التناقض بين ماضينا المجيد وحاضرنا المعيب حقيقة راهنة(٢) ، ورغم هذا فإن هذه الأزمة لا تعني افتقار الأمة إلى الاستعداد والتضحية والعطاء ، أو عدم قدرتها على استيعاب ما حولها من قضايا وتحديد الموقف المطلوب منها ، ومن ثم المساهمة في صنع حضارة العصر الانسانية ، فالامة العربية من الامم المميزة في هذا الجانب وتمتلك القدرة الفذة على استيعاب ماحولها والتعبير عنها بصيغ تجسد خصوصيتها ، فلو لم يكن العرب اهلا لاداء دورهم الحضاري الانساني لما كانت الارض العربية مهبطاً للرسالات السماوية ولا حملوا مسؤولية حمل هذه الرسالات ، وبشكل خاص رسالة الاسلام (٣) (ان اختيار العرب لتبليغ رسالة الاسلام كان بسبب مزايا وفضائل أساسية فيهم ، وان اختيار العصر الذي ظهر فيه الإسلام كان لأن العرب قد نضجوا وتكاملوا لقبول مثل هذه الرسالة وحملها إلى البشرية ، وان تأجيل ظفر الإسلام طوال تلك السنين ، كان بقصد أن يصل العرب إلى الحقيقة

(١) الثورة العربية : (الاعضاء) ١٩٨٠ — ١٥/٣ .
(٢) المنهاج الثقافي (ذكرى الرسول العربي) ٧/٢ .
(٣) الثورة العربية (الاعضاء) ١٩٨٠ — ١٥/٣ و ١٦ .

بجهدهم الخاص وبنتيجة اختبارهم لأنفسهم وللعالم ، وبعد مشاق وألم ويأس وأمل وفشل وظفر ، أي أن يخرج الإيمان وينبعث من أعماق نفوسهم ، فيكون الإيمان الحقيقي الممتزج مع التجربة المتصل بصميم الحياة) (١) وبذلك تمازجت عوامل القدرة في الامة على تأدية الرسالة مع الظواهر السلبية والسيئة للممارسات العارضة في حياة العرب لتكون الارضية الصالحة والدور المطلوب حيث وضعت الرسالة (٢) .

فالإسلام إذن كان حركة عربية ومعناه : تجدد العروبة وتكاملها ، فاللغة التي نزل بها كانت اللغة العربية ، وفهمه للأشياء كان بمنظار العقل العربي ، والفضائل التي عززها كانت فضائل عربية ظاهرة أو كامنة والعيوب التي حاربها كانت عيوباً عربية سائرة في طريق الزوال (والمسلم في ذلك الحين لم يكن سوى العربي ، ولكن العربي الجديد المتطور المتكامل ، وكما نطلق اليوم على عدد من افراد الامة اسم وطني أو قومي مع المفروض أن يكون مجموع الامة قومياً ولكننا نخص بهذا الاسم الفئة التي آمنت بقضية بلادها لانها استجمعت الشروط والفضائل اللازمة لكي تعي انتسابها العميق إلى امتها وتتحمل مسئولية هذا الانتساب ، كان المسلم هو العربي الذي آمن بالدين الجديد ، لأنه استجمع الشروط والفضائل اللازمة ليفهم ان هذا الدين يمثل وثبة العروبة إلى الوحدة والقوة والرقي) (٣) .

إذن ليس من باب الصدفة أن يكون القرآن عربياً وأن يكون الرسول عربياً ، وليس من باب الصدفة ان تختار أرض العرب ورجال العرب لحمل هذه الرسالة ونشرها في الارض حتى أصبح الإسلام إلى العروبة بمثابة الروح إلى الجسد (٤) .

---

(١) المنهاج الثقافي : (ذكرى الرسول العربي) : ٢/ ٧ .

(٢) التراث العربي والمعاصرة : ٣٢ .

(٣) المنهاج الثقافي : (ذكرى الرسول العربي) ٢/ ١١ .

(٤) الثورة العربية (الاعضاء) ١٩٨٠ - ٣/١٦، البعث والتراث : ٧ .

اضافة إلى ذلك فأن ماابتدعه العقل العربي في مجال العلوم الإنسانية وسائر المعارف والفنون الأخرى يعد هو الآخر دالة واضحة وبينة على قدرة الأمة العربية على العطاء والتفاعل المستمر مع كل الابتكارات الجديدة في هذا المجال . وإذا كانت حالة الأمة بهذه الصورة المطروحة ، فما هي إذن أسباب الأزمة العربية الراهنة ؟

وقبل الإجابة على السؤال لابد من الإشارة إلى حقيقة أساسية وهي أن الأزمة العربية في الوقت الحاضر ورغم عمقها وتشعبها هي أزمة طارئة لأنها لاتعبر عن أصالة هذه الأمة وللأسباب التالية :—

١ — ماضي الأمة وما أفرزه من عطاء حضاري إنساني .

٢ — بقاء الأمة حية رغم ماعانته وتعانيه من صنوف القهر الأستعماري (والتحديات الداخلية والخارجية) .

٣ — مظاهر الإنبعاث والتجدد التي تعبر عن تطلع الأمة لإستعادة دورها الذي فطرت عليه) (١) .

إذن من بين الأسباب الفاعلة في الأزمة وديمومتها غياب القيادة أو ضعفها وغياب الفكر النابع من صميم وتراث هذه الأمة ، وما بقية الأسباب إلا أشياء لاحقة للأصليين المذكورين .

فلقد كان العرب قبل ظهور الإسلام مجموعة من القبائل يغزو بعضها البعض افترقت فكرياً ، وتعددت أهداف كل قبيلة ، وإن كان القاسم المشترك بين كل قبيلة من هذه القبائل رابطة الدم والنسب والولاء اللامحدود للقبيلة ، وكانت الدولتان الكبيرتان الفرس والروم في ذلك الوقت تسيطران على أجزاء واسعة من الأرض العربية وتحتوي مجموعة من هذه القبائل تستخدمها بشكل أو بآخر ضد القبائل الأخرى ، ورغم هذه السلبيات برزت أفكار تدعو إلى

(١) الثورة العربية : ١٩٨٠ — ١٦/٣ و١٧ وينظر : امتنا والتحدي الجديد : ٢١ وما بعدها.

الوحدة(١)ومقاومة النفوذ الأجنبي وأفكار تدعو إلى التوحيد وعبادة اله واحد (٢). ولكن رجال هذه الدعوات لم يخلقوا أو يصادفوا الفرصة التاريخية لتحقيق مايصبون اليه والسبب يعود إلى أن دعواتهم ضلت ضمن نطاق محدود لم يعالج جوانب الأزمة التي تعيشها الامة وبالصفة الشمولية ، إضافة إلى أن هؤلاء الأفراد من الناس لم يتوازن بناؤه الذاتي وتكونه مع درجة تعقيد الحقبة التاريخية ، لذلك ضلوا في مراكز أو أماكن دون مستوى الأحداث أو الأزمات التي عاشتها الأمة وبعد أن تهيأت القيادة التاريخية الفذة والمتمثلة بحياة الرسول (ص) وبعد أن آمنوا بعقيدة أساسها الوحدة والتوحيد ، عرفوا كيف يتمردون على الواقع السيىء ويتحررون من العادات والتقاليد البالية ولذا فأن عوامل القوة الكامنة في الأمة سرعان ماتغلبت على عوامل الضعف والانحلال لتقودها بالتالي إلى الوضع الطبيعي الذي يجب أن تكون عليه (٣) فكانت الدولة العربية التي وازنت بين الحقوق والواجبات حقوق الأفراد المشروعة والواجبات التي يؤدونها للدولة من خلال ترابط وثيق بين القيادة وأبناء المجتمع تحت ظل المبادىء ، تلك القيادة مثلت اتحاد ثوري جهادي لمناضلين أشداء تجمعهم وحدة الفكر والسلوك والتنظيم (إنه اتحاد خيرة عناصر المجتمع الأكثر تقدماً ووعياً وصلابة ونكراناً للذات) (٤) فكان أبو بكر الصديق خليفة الرسول القائد مستلهم لروح عصره بإبداع متميز في كثير من الجوانب ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب قائداً تاريخياً من خلال أعمال جليلة معروفة ومشهورة وكان سعد بن أبي وقاص بطل القادسية قائداً ضمن القيادة التاريخية لعصر الخليفة عمر ، وبرز الخليفة عمر بن عبد العزيز في زمن الأمويين كقائد متميز باستلهامه روح القيادة الفذة في عهد الخلفاء

(١) كدولة كنده .

(٢) ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: ٤٤٩/٦ — ٥١٠ .

(٣) الثورة العربية (الاعضاء) ١٩٨٠— ١٨/٣ .

(٤) المنهاج الثقافي : ٤١٣/٤ ، او كما يقول الرفيق صدام حسين : (مزيجا من مبادىء وسياسات وقوة اى جمهور وقادة ومبادىء) الثورة والتربية الوطنية : ٢٠ .

الراشدين (١)، بعد أن وجد افتراقاً بين جوهر الامة والمبادىء التي آمنت بها، وظهر صلاح الدين الأيوبي في وسط تجاذبته الأعاصير من كل جانب فوجد في التحديات الخارجية المتمثلة بالصليبيين قدراً يخدم ماآمن به ويحقق له فرصة تاريخية للعودة بالأمة إلى سيرتها الأولى فكان التحدي حافزاً قوياً في تشكيل مكونات وحدتها الصميمية، ودافعاً لأن ينقلها من أوضاعها الضعيفة إلى أوضاع جديدة تهيؤها للإنطلاق فعبر (عن فعالية الإلهام في وضع المجتمع العربي — الإسلامي إلى رد التحدي والإستجابة ضده) (٢) فكان قائداً تاريخياً في حدود العمل الذي قام به والعصر الذي عاش فيه.

٣ — البعث والقائد ضرورة تاريخية:

القيادة التاريخية تولد حيث توجد الازمات والمهمات الصعبة التي تواجه الامة وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي، وهكذا كان مولد حزب البعث العربي الاشتراكي ضرورة تاريخية وسط ظروف حرجة وصعبة عاشتها الامة فقد اعطى البعث ومنذ البداية الثورة العربية صيغتها الموحدة والشاملة بحيث أصبحت القومية العربية مرادفة لحياة الشعب العربي ومشاكله السياسية والاقتصادية والفكرية واصبحت تعني في وقت واحد الثورة على التخلف والظلم الاستغلال (٣). (وقد كانت معاناة الجماهير العربية في تلك المرحلة معاناة نضاليه مزدوجة، فمن جهة كانت هناك السيطرة الاستعمارية، والانظمة العميلة المرتبطة بها بشكل او بأخر وكل مظاهر التخلف والاستغلال والتجزئة، ومن جهة اخرى كانت هناك المؤسسات السياسية القائمة التي عجزت تماما بحكم مصالحها الطبقية والسياسية عن استيعاب تطلعات الجماهير العربية وآفاق التحرر العربي وكانت مرحلة الاربعينات بداية الميلاد الجديد للحركة الثورية العربية الحقيقية التي امتلكت ولاول مرة القدرة على استيعاب الواقع العربي وصعودا نحو

(١) الكامل: ٥/٢٤.
(٢) القيادة والازمة الحضارية: ٢٢.
(٣) في سبيل البعث: ٤٩.

الانقلاب عليه ، ووضع اللبنات الاساسية للتنظيم الثوري الذي يستقطب تطلعات الجماهير العربية في ضوء افق قومي تقدمي اشتراكي). (١) وقدر للبعث وفي وقت مبكر ان يكون قائد الجماهير العربية المتطلعة نحو تحقيق اهداف الامة المركزية . فكانت ثورة ١٩٦٣ م حصيلة النضال الطويل من أجل تحقيق تطلعات الجماهير الواسعة ولكن الظروف التي احاطت بتلك الفترة (٢)، ومن ضمنها بعض القيادات الهزيلة قد وقفت حائلا دون أن يأخذ الحزب فرصته كاملة في اداء دوره القيادي (٣) ومن هنا فان تشخيص القيادة الهزيلة لا يعني ان الحزب كفكر وتنظيم كان عاجزا او غير مؤهل لقيادة الامة على طريق الثورة والبناء ، فالحزب هو طليعة الجماهير وهو قائدها في معارك النضال وهو المؤهل تاريخيا لهذا الدور القيادي فكرا وتنظيما ، غير ان هذا لا يحول دون الاشارة إلى أن افتقار تلك التجارب التي مر بها الحزب ، إلى قيادة تاريخية قادرة على بناء قاعدة راسخة للنضال القومي كمنطلق لتحقيق اهداف الامة ... كان ايضا وراء تعثر مرحلة الانبعاث القومي المعاصر.(٤)

ان التأكيد على القائد التاريخي في عملية نهوض الامة (ليس معناه الدعوة إلى تأكيد الفردية في القيادة بقدر ماهو تأكيد لدور الفرد الفذ في القيادة والجماعية وبالتالي فإن القائد التاريخي هو الذي يؤكد في القيادة صفتها التاريخية من حيث قدرتها على قيادة المرحلة) (٥) لان الفرد القائد أو (البطل) هو ابن المجتمع البطل إذ لو لم يكن المجتمع آنذاك بطلاً في استعداده للتضحية وفي وعيه وعطائه وإرادته لما انجب بطلاً وعلى هذا الأساس فيجب أن لا انطمس دور الفرد في المجتمع أو نغلب هذا الدور على دور المجتمع وإنما العملية

---

(١) المنهاج الثقافي : ٣/٧، وينظر : تطور الايديولوجية العربيه : ٣٥ وما بعدها.

(٢) الاراده الواعيه طريق تحقيق المبادىء : ١٠ و ١١.

(٣) التقرير السياسي الثامن : ٨ و٩.

(٤) الثورة العربية (الاعضاء) ١٩٨٠ — ١٩/٣ و٢٠.

(٥) المصدر السابق : ٢٠.

عملية تفاعل تام بين الفرد والمجتمع (١) . فوجود الرسول (ص) وهو القائد التاريخي العظيم لم يلغ دور الصحابة الذين كانوا يشاركون القيادة والرأى «بل أعطى هذا الدور بعداً ديمقراطياً وبصيغ مركزية تضمن القدرة على الحسم لصالح المبادىء ... وحيث أن الرسول محمد (ص) هو آخر الأنبياء والرسل، فإن الأمة لايمكن أن تنجب قائداً يمتلك ماامتلكه الرسول العربي من مقومات القيادة التاريخية وبالتالي فإن القائد التاريخي الذي ترتجيه الأمة لابد أن يمتلك قدراً من صفات محمد (ص) الإنسان كي يكون قادراً على إداء هذا الدور التاريخي (٢) إن النكسات المتلاحقة التي مرت على الأمة مهدت الطريق لأن يأخذ حزب البعث مكانته وسط الجماهير العربية ، وإن ينجب البعث ماتنتظره الأمة من قيادة تاريخية تلك القيادة التي أخذت على عاتقها مهمة البناء والسير نحو آفاق التقدم والرقي ، ان القائد « هو نسيج خاص بالدرجة الاولى بناء متكامل من العصامية والفروسية المقتدرة الاقتحامية ، بناء متكامل من النظرة الشاملة والوعي المقتدر المبدع والسرعة في اتخاذ القرار ، هو الصبر الثوري الذي يصنع الفرصة ويعرف كيف يستخدمها ... ان التقاء القائد بالفرصة التاريخية ليس أمراً عرضياً أو محض فرصة وإنما هو ناتج عن توفر مسألتين : الاولى في الحقبه التاريخية ذاتها عندما تتعقد الحركة التاريخية وتتحول إلى أزمة حضارية تتفاعل مع ظروف البيئة فتأخذ أبعادها الكونية الشاملة والتفصيلية الخاصة فتصبح مع شمولها وتفصيلاتها وتنوعها من التعقيد بدرجة كبيرة يصعب على الوعي الاعتيادي إدراكها ... هنا وفي جيل التأزم يولد ذلك النمط من الناس الذي يتوازن بناؤه وتكونه مع درجة تعقيد الحقبة التاريخية والقائد من بين كل جيله هو إنسان القدرة على قراءة المستقبل والتعبير عن تأزمه في بنائه الذاتي أي انه لايترك شخصيته الخاصة تنمو تلقائياً إنما ينميها مرتبطاً بدرجة التأزم الحضاري في المجتمع هنا تحدث الفرصة ويحدث الالتقاء بين الفرصة والقائد،

(١) الثورة والتربية الوطنية : ٣٨.

(٢) الثورة العربية (الاعضاء) ١٩٨٠ – ٢٠/٣.

هذا النوع من القادة عندما يظهر يبدو وكأن الكل يعرفه ، هذا النمط من القادة يتكون اجابة لمنطق التاريخ الذي يتمخض في كل حقبة عن فرصة بطولة تلتقي فيها توقعات الأمة . ومخاض تاريخها بالشخص الذي يحدث فيه هذا الالتقاء ويمتلك مؤهلات خاصة بالقائد ، مثل هذا القائد يصبح مركز استقطاب عقائدي ونضالي وتاريخي يجسد مرحلة كاملة ، ومن هذا المنطلق يصبح طبيعياً ... أن يكون صدام حسين (قائد عصره) قائده التاريخي والحضاري ، فالقائد هو الذي يعبر عن عصره بكلمه (١) ولما كان البعث هو تواصل الأمة العربية عبر التاريخ وشكلها المستقبلي وبالتالي هو الحزب الذي عبر عن الماضي والمستقبل بكلمة(بعث) فلابد أن يكون القائد البعثي صورة في التعبير عن هذه الحقيقة، فالبعث أشر ملامح القائد الذي تحتاجه المرحلة وعمل على أن يكون القائد نمطاً خاصاً ، قائداً مهيئاً لان يقف يوماً ليس في مقابلة عداء واقعه المتخلف ، بل في مقابلة التقاء خصومه مرة واحدة معتمداً الثورية والعقلانية في آن واحد ، ومستعيناً بروافد متعددة تحقق له الوصول إلى الاهداف المركزية (٢) مثل هذا القائد الذي يكون في موقف نضالي لايمكن أن يكون إجابة لعوامل آنية في حركة المجتمع فحسب ، انه وبشكل أساسي رجل الفرصة التاريخية الذي يحيل الاخرين من حوله ابطالا وقادة ويضمن في ذات الوقت أن تصب بطولاتهم في بناء عام هو الامة .

وحيث أن من بين صفات القيادة التاريخية انها تضحي من أجل أن تسعد الجماهير وتعاني من أجل أن تنتصر المبادىء وتتحول إلى قوانين مادية تحدث التغيير المطلوب في البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع ، فان قيادة الحزب التي فجرت ثورة ١٧ — ٣٠ تموز لم تر في هذا الانتصار الا بداية الطريق الصعب ، ولم تنظر إلى السلطة إلاّ على انها وسيلة من وسائل النضال لتحقيق الطموح ، وعلى هذا الاساس كانت تتعامل ومن هذا المنطلق كان عطاؤها

(١) الثورة العربية (الاعضاء) ١٩٨٠ — ١٤/٨.

(٢) طريقنا خاص في بناء الاشتراكية : ٥٩ ، ١٠٣.

النضالي الذي جسدته الانجازات الرائعة التي حققتها الثورة قطريا وعربيا ودوليا حتى أصبح كل يوم من أيامها ثورة على طريق انتصار المبادىء ، وماالمثال الرائع الذي يضربه كل يوم الرئيس صدام حسين في لقائه مع المواطنين وفي متابعته لحركة الدولة والمجتمع وفي زياراته لمواقع العمل ولمؤسسات الخدمة الاجتماعية ، وكذلك دوره الرائد على الصعيدين العربي والدولي إلا دليلا واضحاً على هذا الدور التاريخي في القيادة ، والذي تتأكد اصالته من خلال تأكيد جماعية القيادة من جهة والقدرة العالية على الحسم الثوري لصالح المبادىء من جهة أخرى .

ان طريق القادة التاريخيين للوصول هو الشعب ، وتضحياتهم الاستثنائية واخلاصهم الدائم ومبادراتهم المستمرة ، لذلك فان ولادة القائد هو ولادة تاريخية مرتبطة بظروف خاصة ، وبعمل حقيقي من نوع خاص (١) ، وليست ولادة اعتيادية أو مصطنعة كولادة الحكام ، ولذلك فان الناس الذين يحرصون على أن يكونوا في موقع القادة ، وليس في موقع الحكام هم الناس الذين يرون الشعب دائماً في بصيرتهم وفي عيونهم ، ويعرفون من أي شيء يعاني ، ويقرون بالجانب النقدي الصائب ويسعون دائماً لان يكسبوا رضى الشعب ، لا لكي ينتخبهم بالطريقة البرلمانية كما يجري في بعض الدول ، وانما من أجل المبادىء التي تحقق للشعب العدالة والمساواة والسعادة ، أي أن القائد يجب أن لايسعى لان يكسب الشعب كسباً مصطنعاً أو آنيا ، من أجل أن يحرز هدفاً ما ضمن مرحلة معينة ، أو يجتاز محنة ، وانما يجب أن تكون مسألة كسب الشعب مسألة صميمية في تفكيره وفي ايمانه وفي عمله(٢) وعلى مثل هذا أيضاً يشير القائد التاريخي صدام حسين بقوله : تعلم من الشعب في الوقت الذي تمارس دور القائد له ولاتنسى أن علاقتك الصميمية بالشعب هي واحدة من مدرستين اساسيتين لتكوين حصانتك المبدئية ، والمدرسة الاخرى هي الحزب (٣) ان الرؤيا الحقيقة لقيادة صدام حسين تبدأ

(١) ينظر مثلا : البعث والثورة والانسان : ١٩ .
(٢) الثورة والتربية الوطنية : ١٣٣ و١٣٦ : وينظر : نكسب الشباب : ١٩ و٢٠ .
(٣) وصايا إلى المناضلين : ١٦ .

في الرؤيا الحقيقية لمكانته التي لاتتجه إلى الكلمات ، وانما إلى عيون الاطفال والشباب الذين تفتحوا عليه فجأة فوجدوه بينهم في ساحات العمل ، يتحدث إلى الناس ويأكل معهم... تتجه ايضاً إلى نظرات الفرح الغامر في عيون عموم الشعب الصادر عن اطمئنان لمستقبل وحياة أفضل.

ان ظاهرة الالتقاء الجماهيري بالقائد التاريخي صدام حسين تعبر عن وحدة نوعية في ضمير الامة وبنائها النفسي تجاوزت بها كل مظاهر التنوع والتمرد في النظرة وفهم المصلحة والاختلاف عليها ، فهو التقاء صنعته المواقف العظيمة في شخصية الرجل القائد التي التقت بالمواقف العظيمة في حياة الامة(١) .

ان القيادة الثورية في العراق تعتبر المعبرة عن الفعالية التاريخية والاجتماعية للجماعة العربية في رقعة معينة من الارض وفترة ما من التاريخ (٢)، وان قيادة صدام حسين تعتبر واحدة من أعظم القيادات في التاريخ هذه العظمة متأتيةمن ذات المعيار الثوري الدقيق في الممارسه العملية لكل الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والنفسية ، تصنع أفعالها للجماهير وتستمد معرفتها منها وبطولتها الواقعية هي شرط لممارستها السياسية ،وبموجب هذا الرأي فانهالا تستبصر الأمور بأعين ميتافيزيقية انما بنيتها العملية الاعتماد على الامة وقواها الذاتية ومما تملكه من ثروات بشرية وطبيعية تجعلها في مصاف الامم المتقدمة(٣).

فقد استطاعت هذه القيادة الفذة أن تنجز الكثير وعلى كافة المستويات القطرية والعربية والدولية، سنشير إلى البعض منها وباختصار شديد فعلى المستوى القطري : استطاعت القيادة من تغير الواقع وتحقيق المنجزات التالية :

الاستقلال السياسي للقطر العراقي: بعد أن افرغ هذا الاستقلال من مضامينه الاساسية خلال فترة العشر سنوات التي اعقبت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م، وقد

---

(١) الثورة العربية : (الاعضاء) ١٩٨٠ — ٨ — ١٧.

(٢) القيادة والازمة الحضارية : ٥٤ .

(٣) المصدر السابق : ٥٤ و ٥٦ و ٥٧.

أثبتت ثورة ١٧ ــ ٣٠ تموز ان انجاز الاستقلال السياسي يتطلب معالجة أساسية وجذرية للاوضاع السائدة (ليقدم النموذج الصحيح والمتكامل في هذا الشأن لحركة الثورة العربية وحركة التحرر في العالم الثالث) (١) .

الاستقلال الاقتصادي : يعتبر الاستقلال الاقتصادي هدفاً مركزياً من أهداف حزب البعث العربي الاشتراكي، ويعتبر موازياً في أهميته للاستقلال السياسي ومكملا له ويكتسب الاستقلال الاقتصادي أهميته من كونه مضموناً للسيطرة على ثروات البلاد الطبيعية واستثمارها لصالح الدولة الوطنية وفي كافة المجالات الصناعية والزراعية والاجتماعية ،اضافة إلى أنه من المنجزات التي تضع الدولة في مستوى دولي رفيع بعد تحررها من عوامل الضغط الاجنبي (٢) .

ولعل من اعظم المنجزات في هذا الباب استغلال الكبريت استغلالا وطنيا وتأميم النفط الذي يعتبر ثورة بذاته اثار نتائج عديدة تعدت نطاق الاستقلال السياسي بمعناه الاعتيادي،وذلك لان شركات النفط الاجنبية كانت كالاخطبوط تمتد اطرافها في قارات عديدة وترتبط ارتباطاً مباشراً بمصالح الدول الغربية الكبرى فقد (اسهم قرار التأميم في العراق اسهاما فعالا في الكشف عن ازمة الطاقة في العالم الغربي . واصبح قرار التأميم في العراق بحق بداية مرحلة دولية جديدة يفتح الافاق امام وقوع تغيرات جذرية في موازين القوى في العالم لصالح حركة تحرر الشعوب)(٣) اضافة إلى ان التأميم كان اول ضربة عربية مباشرة للقوى المعادية بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ (٤) .

ان حركة التأميم كانت حركة وطنية وقومية وعالمية في آن واحد ، لما لها من تأثير مباشر على قضية شعبنا المصيرية وصراعه ضد القوى المستغلة ، ولما لهذه

---

(١) التقرير السياسي : ٤٧ .

(٢) القيادة والازمة الحضارية : ٢٩٥ .

(٣) التقرير السياسي :٦١ .

(٤) نفس المصدر : ٦٢ .

المعركة من تأثير في الصراع العالمي بين قوى التحرر والتقدم في العالم من جهة والدول الامبريالية والشركات الاحتكارية من جهة اخرى (١) ، وحركة بهذه الاهمية لابد وان تحشد لها كل الطاقات الممكنة في سبيل انجاحها ، وهنا يبرز دور القيادة التاريخية التي جعلت من التوقيت السليم للمعركة واختيار الزمان المناسب والظرف الملائم اضافة إلى الجرأة الثورية في اللحظة الحاسمة عوامل مضافة إلى عوامل النصر والنجاح (٢) .

الحكم الذاتي للشعب العراقي الكردي :

من منجزات القيادة الفذة حل القضية الكردية (٣) التي تضمنت جوهريا سعة القيادة الانسانية وايمانها بالمسألة القومية في جانبها الانساني والديمقراطي(٤) وقد استطاعت القيادة وباقتدار وتمكن القضاء على الحالة التي كانت تستغلها القوى الرجعية والاستعمارية ضد العراق بما يستنزف الكثير من قوته وقواته ، لقد اعطت القيادة التاريخية في العراق مثالاً في (المبدئية ومهارة في معرفة المرحلة التاريخية واكدت على الترابط بين وحدة النضال القومي العربي وتاريخيته والنضال الذي تخوضه الاقليات ، وهذان امر ان قد لايختلف فيهما اثنان لقد تم حل المسألة القومية الكردية بروح تقرير المصير من وجهة النظر الاشتراكية ، قاصمة ظهر الامبريالية المتاجرة بتقرير المصير ودامغا بافق تاريخي حركة الملا البرزاني بالعمالة للولايات المتحدة) (٥) .

خطط التنمية :

اولت قيادة الثورة مسألة التخطيط أهمية خاصة ، واشرفت بصورة مباشرة وعبر السنوات الماضية على اعداد الخطط العامة ومتابعة تنفيذها وتوفير ما

---

(١) افاق تجربة التأميم : ٥ .

(٢) ينظر : التقرير السياسي : ٦٢، افاق تجربة التأميم : ٦ .

(٣) ينظر : التقرير السياسي : ٦٨ «المنطلقات التي انطلق منها حزب البعث في نظرته إلى المسألة الكردية وفي سعيه إلى ايجاد الحلول لها» .

(٤) احاديث في القضايا الراهنة : ٣٣ وما بعدها، القيادة والازمة الحضارية : ٢٩٩ .

(٥) القيادة والازمة : ٢٩٩ .

تتطلبه من مستلزمات ، « وتعتبر مسألة التنمية مسألة مركزية بالغة الاهمية وهي تبرز في كثير من الاحيان في بلادنا وفي البلدان المماثلة على أنها القضية الاولى بعد الاستقلال السياسي والاقتصادي والقضية الاكثر الحاحاً والتي تتطلب حلولا عاجلة وشاملة ،وقد ادرك حزب البعث العربي الاشتراكي أهمية التنمية بالنسبة لتطور البلاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي وأولاها اهتماماً كبيراً»(١) وعدها جزءاً من بناء وتنظيم المجتمع بناءاً شمولياً يستهدف تحرير الانسان من كامل عوامل الاستغلال وبشكل يغطي كافة القطاعات، وبطريقة تؤدي إلى أن يقوم المجتمع بدور فعال في بناء نفسه وارساء دعائم النهضة الحديثة (٢) لذا فقد استهدفت خطط التنمية في العراق حدوث قفزات نوعية في نمو دخل المواطن العراقي وفي نفس الوقت كانت قيادة الثورة غير غافلة عن الوطن العربي وتفاعل مستوى الاقتصاد في قطرنا مع مستويات الاقتصاد العربي بشكل عام .ودفع تلك المستويات إلى الحد الذي تتصاعد فيه أرقام النمو الكلي للوطن العربي ثم يجسد في المدى البعيد نمواً نوعياً في الناتج القومي (٣) .

ان القيادة التاريخية في القطر العراقي وهي تخطط لمناهج الاستثمار تأخذ بعين الاعتبار مسألة الدقة في الحسابات واعتماد الرقم دون الاجتهادات، وهكذا كانت السياسة في جميع مجالات المشاريع التنموية .

اضافة إلى هذه المنجزات فهناك الجبهة الوطنية (٤) التي تعتبر احدى الصيغ الاساسية للتعبير عن ارادة الحزب القائد في تعميق الديمقراطية (٥) وقد حدد مهامها ميثاق العمل الوطني الصادر في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٧١ واما بقية المنجزات فقد حددها التقرير السياسي الثامن فلتنظر هناك (٦)

---

(١) التقرير السياسي : ١١٧ .

(٢) القيادة والازمة الحضارية : ٢٩٦ .

(٣) القيادة والازمة الحضارية : ٢٩٦ .

(٤) التقرير السياسي : ٧٥، احاديث في القضايا الراهنة : ١٠٣ .

(٥) نضالنا والسياسة الدولية : ٥٤ .

(٦) التقرير السياسي : ٨٣ – ١٦١ وتتلخص في التحولات الديمقراطية، مهمات التحويل الاشتراكي التحولات الثقافية والاجتماعية ، القوات المسلحة ومسيرة التحولات في الاعلام والثقافة وفي التربية والتعليم وفي التشريع ، والمرأة، ومحو الامية، والشباب إلى غير ذلك من المنجزات

ان مجموع هذه المنجزات بابعادها ونتائجها نابعة من صفات القائد التاريخي المرتبط بالجماهير الشعبية ارتباط مصير واحد ، وارتباط حب ووفاء ، مادته النهاية هي التضحية وأفقه هو العرفان للجماهير(١) ،من هذا الارتباط الصميمي بالجماهير كان للقيادة التاريخية منجز عظيم مضاف عبر عنه القائد بقوله : « ان اهم النجاحات كلها التي حصلنا عليها هو التطور في تفكير الانسان وفي جدية العمل ، وفي احترام الزمن ، وفي احترام التخطيط ، واحترام العلم والسعي له ، هذا في تقديرنا اهم النجاحات التي حققناها حتى الان ، ولكن هذا لايرضي طموحا في مواصلة المسيرة وحث الخطى على زيادة التطور في هذا الميدان اى في تطوير نوع الانسان ، خلق انسان جديد ، متحول فكريا ونفسيا وسياسيا وتقنيا وعلميا وفي رؤية دوره التاريخي ومستلزمات هذا الدور في رؤية مفردات موقعة في النشاطات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فحسب وانما رؤية الدور التاريخي المطلوب منه ان يقوم به ضمن القطر ، من اجل الامة والانسانية ، وفي هذا المجال احرزنا تقدما كبيراً » (٢).

على الصعيد القومي :

ان الشعار المطروح « امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » يشكل منطلقا من منطلقات الحزب الفكرية والاساسية ويعبر عن احدى السمات الاساسية في عقيدته (٣) ، هذا الشعار « مستوحى من معاناة حية ومن فهم واقعي لحاضر الامة ولماضيها ولما يجب ان يكون عليه مستقبلها من تقدم وازدهار .. ان صدر الشعار يتضمن الانطلاق من اعتبار التجزئة الراهنة في حياة العرب شيئا طارئاً وعارضا ، ومن فعل الاستعمار والتخلف وضمور الوعي القومي .. اما الشطر الثاني من الشعار فيعني بشكل عام ان يكون للامة مثل عليا قومية وانسانية ،

(١) الحزب القائد في النظرية والتطبيق : ٣١

(٢) القيادة والازمة الحضارية : ١٩٣ نقلا عن : معركة الاستقلالية والسياسة الدولية لصدام حسين ، ص : ٤٦ و ٤٧ .

(٣) رسالة الامة العربية : ٧ .

او اهداف عظيمة سامية تنزع لتحقيقها وتكافح من اجلها ، (١) وعلى هذا الاساس يعتبر حزب البعث حزب الامة العربية يناضل حيثما يوجد لتحقيق اهدافها المنشودة جاعلا من السلطة قاعدة للنضال القومي في اطار الدولة القطرية مرحايا مهمتها التأثير في المحيط القومي وفق المبادىء المعلنة ومن خلال علاقة صحيحة ومتوازنة بين المهمات الوطنية والمهمات القومية (٢) يقول الرفيق القائد : ليس المطلوب ان تكون قرارات الدولة صائبة بحساباتنا الموضوعية والعلمية فحسب ، وانما المطلوب بالمضاف ان نحافظ ونطور جسور العلاقة النفسية الايجابية بيننا وبين الشعب العربي (٣) وفي مكان آخر يشير إلى ذلك بقوله : (في العراق نحن نتخذ موقفنا منطلقين من الحسابات التي تتواصل جذريا وبصورة حية مع ضمير الامة العربية مع مصالحها ومع تاريخها ومع مستقبلها وعلى هذا الاساس فان ثورة البعث في القطر العراقي لاتعمل من اجل العراقيين لوحدهم فحسب وانما تناضل من اجل الامة العربية) (٤) .

لذا فقد اعتبرت قضية تحرير فلسطين قضية مركزية في النضال العربي ، وقاوم البعث بكافة السبل محاولات احتواء الخليج العربي من قبل الدول الكبرى والمعاهدات الاستسلامية وكان رده فاعلا وعمليا من خلال الاعلان القومي في ٨ شباط سنة ١٩٨٠ والذي يعتبر بحق (خلاصة خلق سياسي فاضل وعصارة تفكير عربي خالص من كل أدران التلوث السياسي) (٥) وما المعركة التي يخوضها العراق اليوم مع العدو الفارسي العنصرى نيابة عن الامة العربية ودفاعا عن سيادتها وحقوقها المشروعة الا دليلا ساطعا في سحق كل التحديات التي تتعرض لها الامة.ان هذه المعركة المقدسة هي :(عملية عسكرية وسياسية

(١) المصدر السابق : ١٩.

(٢) التقرير السياسي : ١٦٣، ١٦٥.

(٣) نضالنا والسياسة الدولية : ١١

(٤) نضالنا من اجل العرب والانسانية : ٢٠ و ٢١ و٢٥.

(٥) ثورتنا وبعض المشكلات الدوليه : ١٦ وينظر : الاعلان القومي اصداء وآفاق : ٧ وما بعدها.

وحضارية...ذات أبعاد واسعة وعميقة) (١) اكبت من خلالها القدرة القيادة الفذة والتنسيق الرائع بين كل الجبهات على وضوح الهدف القريب والبعيد من هذه المعركة عن طريق الربط المحكم بين الحقوق الوطنية والحقوق القومية المتمثلة بالجزر العربية التي اغتصبتها ايران في عهد الشاه (٢) .

ان انتصارنا على الفرس يعني اول مايعني انتصار المبادىء والشرعية على العنصرية والاغتصاب ، انتصار القيم الانسانية والحضارية على التضليل والجهل ، انتصار القيادة التاريخية على الدعاة الدجالين ، ان هذه المعركة هي احدى مآثر البطل القومي صدام حسين .

وعلى المستوى العالمي :

فقد تبنى الحزب على الصعيد السياسي الدولي مبدأ الحياد الايجابي وسياسة عدم الانحياز (٣)، والتفاعل مع جميع الاتجاهات الفكرية والسياسية ذات الطبيعة المستقلة ، وساند وبكل جد نضال الشعوب من أجل التحرر والاستقلال ، ونبذ كل الدعوات العنصرية والاستعمارية الهادفة إلى استعباد الشعوب .

ان الخصوصية التي تميزت بها الثورة العربية ارست العديد من الصيغ للتعامل مع دول العالم اهمها ركيزتي المباديء والمصالح المتبادلة ومن موقع التكافؤ في العلاقات وعدم التدخل في الشؤون الداخلية (٤) وقد لخص الرفيق القائد بعض جوانب السياسة الدولية بقوله : (نحن لانشعر بعقدة الحسابات التقليدية لبعض الانظمة ولانخشى التعامل مع أية دولة في العالم عدا الكيان الصهيوني لاننا لانعتبره دولة ولانعتقد ان هناك امكانية للتعاون مع هذا الكيان في يوم ما ... وفي نفس الوقت ليس لدينا اية حساسية او عقدة من التعامل مع أي شركة في العالم على الاسس التي تحفظ سيادتنا وعلى الأسس التي

(١) كلمة طارق عزيز : ٣

(٢) ينظر : موقفنا القومي من قضية الجزر العربية الثلاث : ٣٢.

(٣) ينظر البعث وعدم الانحياز ، د. زيد حيدر.

(٤) التقرير السياسي، السياسة الدولية ١٨٤.

تضمن نفعا متبادلا مشروعا بالمقاييس الوطنية والقومية والدولية) (١)
هذه السياسة نابعة في الاصل من ارادة الجماهير التي لها الدور الحاسم في الاتجاهات الأساسية للسياسة الدولية (٢).
ان خصوصية الموقف للقيادة التاريخية في العراق تتحدد في عدة مواقف تاريخية تسود الساحة العالمية اليوم كالوفاق الدولي (٣)، والتكتلات الدولية الغربية منها والشرقية (٤) وغزو السوفيت لافغانستان وغير ذلك (٥).
والخلاصة فان قيادة صدام حسين تنطوى على تطلعات مستقبلية وعظيمة لقضايا الثورة العربية « تجسدت خلالها جملة المواقف والافكار والممارسات التي خطط لها وقادها في القطر العراقي وعلى الصعيدين العربي والدولي على نحو يزخر بمبادرات ومفاجآت واعمال ، وتطلعات يصعب على العقل التقليدي هضمها بسهولة » (٦).
ومهما اطلنا البحث والتنقيب في ثورة ١٧ — ٣٠ تموز وقيادتها التاريخية نظل قاصرين ؛ ذلك ان الحقيقة كالعبقريه القيادية من العسير الوصول اليها بسهولة ، بيد اننا نقول ان ثورة تموز هي نتاج الامة العربية وواقعها التاريخي واحساسها بذاتها وقدرتها في النهوض الحضاري.

(١) احاديث في القضايا الراهنة : ٨٠.
(٢) نضالنا والسياسة الدولية : ٢٩.
(٣) مبادئنا القومية تحدد علاقتنا بالعالم : ١٢ وما بعدها.
(٤) مبادىء اساسية في سياسة العراق الخارجية : ٦٠ وما بعدها.
(٥) مبادئنا القومية تحدد علاقتنا، ١٤ وينظر المصدر السابق.
(٦) جريدة الثورة اليومية : العدد ٥/٤٠٢٦ حزيران ١٩٨١ مقالة محمد جميل شلش ص ٣.

المصادر والمراجع

ـ أحداث شهيرة من التاريخ ،
صمويل نيمنسون ، ترجمة اسماعيل مظهر .
القاهرة ـ ١٩٦٩

ـ أحاديث في القضايا الراهنة
صدام حسين ، دار الثورة ، بغداد ، ١٩٧٤

ـ الإرادة الواعية طريق تحقيق المبادىء ،
صدام حسين ـ دار الحرية ، ط١
حزيران ـ ١٩٧٩

ـ آفاق تجربة التأميم الرائدة في العراق .
همام عبد الغني ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٠.

ـ أمتنا والتحدي الجديد ،
صدام حسين ـ دار الحرية ، بغداد ـ ١٩٧٨.

ـ الاعلان القومي ، اصداء وآفاق .
وزارة الثقافة والاعلام ، دار الحرية ، بغداد ١٩٨٠.

ـ أوربا في العصر الحديث ،
ﻫ . أ . ل . نشر ، ترجمة أحمد نجيب .
ط٦ ، ١٩٧٢ ، دار المعارف ، مصر .

ـ البدايـة والنهايـة
لابن كثير : ٧٧٤ ﻫ
ط٢ ، بيروت .

ـ البعث والتراث
ميشيل عفلق ـ ط١ ، ١٩٧٦

ـ البعث والثورة والإنسان ،
صدام حسين ـ دار الحرية ـ ١٩٨٠ .

- البعث وعدم الانحياز
الدكتور زيد حيدر ، دار الثورة ، بغداد ١٩٧٧ .
- تاريخ العراق القديم ،
طه باقر ، بغداد ، ١٩٨٠ .
- التراث العربي والمعاصرة ،
صدام حسين — دار الحرية ١٩٨٠.
- التراث العلمي العربي ،
د. ياسين خليل ، بغداد ، ١٩٨٠.
- تطور الأيديولوجية العربية الثورية ،
د. الياس فرح
ط٦ بيروت ١٩٧٨
- تفسير ابن عباس ،
نشر مكتبة الجمهورية العربية ، مصر .
- تفسير ابن كثير ،
إحياء الكتب العربية ، مصر .
- تفسير البيضاوي ،
مصر ١٣٥٥ هـ
- التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن
كانون الثاني ١٩٧٤ .
- ثورتنا وبعض المشكلات الدولية ،
طارق حمد العبد الله ، دار الحرية ، بغداد ١٩٨١
- الثورة والتربية الوطنية ،
صدام حسين ، دار الثورة ،بغداد
- الثورة العربية ، مكتب الثقافة والإعلام ، القيادة القومية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

– الثورة : جريدة الحزب اليومية .
العدد ٤٠٢٦ / ٥ حزيران ، ١٩٨١ .
– الحزب القائد في النظرية والتطبيق .
ط٢ ١٩٧٢ – مطبعة الحرية ، بيروت .
– حول كتابة التاريخ ،
صدام حسين ، دار الحرية ١٩٧٨ .
– الدفاع عن السيادة والسياسة الدولية .
صدام حسين ، دار الحرية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٨
– رسالة الامة العربية
شبلي العيسمي ، ط١ ، ١٩٧٨ ، بيروت .
– طريقنا خاص في بناء الاشتراكية .
صدام حسين ، دار الثورة .
– الكامل في التاريخ ،
لابن الأثير ، ت ٦٣٠ هـ– بيروت .
– كلمة الاستاذ طارق عزيز في الندوة العلمية لقادسية صدام .
مطبعة جامعة بغداد ١٩٨١ .
– في التنمية الوطنية والعمل العربي المشترك .
عبد الحميد خضر ، دار الثورة ، بغداد ، ١٩٧٧ .
– القانون في العراق القديم .
د . عامر سليمان ، بغداد ، ١٩٧٧ .
– القيادة والأزمة الحضارية
جميل كاظم ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٠ .
– مبادىء أساسية في سياسة العراق الخارجية .
حسن طوالبة ، دار الحرية ، بغداد ١٩٨٠ .

– مبادؤنا القومية تحدد علاقتنا بالعالم
صدام حسين ، دار الحرية ، بغداد ط. ١٩٨٠ .
– مختصر دراسة للتاريخ
آرنولد توينبي ، ترجمة فؤاد حمد
ط٢ ، القاهرة ، ٢٦٦ ١/٢ ١.
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،
محمد فؤاد عبد الباقي ،
دار ومطابع الشعب ، القاهرة .
– المفصل في تاريخ العرب ،
د . جواد علي ، ط٢ ، ١٩٧٨ .
– مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة .
طه باقر ، بغداد ، ١٩٥٦ .
– المنهاج الثقافي المركزي ،
ج٢ ، دار الحرية – ١٩٧٧
ج٣ ، دار الحرية – ١٩٧٨
ج٤ ، دار الحرية – ١٩٧٩
– موقفنا القومي من قضية الجزر العربية الثلاث .
د . محمد الزبيدي ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٠
– نضالنا من أجل العرب والإنسانية
صدام حسين ، دار الحرية ، بغداد ١٩٨٠
– نضالنا والسياسة الدولية ،
صدام حسين ، دار الثورة ، بغداد ١٩٧٧
– نكسب الشباب
صدام حسين ، دار الثورة – بغداد .
– وصايا إلى المناضلين .
صدام حسين ، دار الثورة ، بغداد .

الأصول العربية للفنون الفارسية

الدكتور عادل نجم عبو
استاذ مساعد

تبدأ فنون كل شعب من الشعوب مع بداية استيطانه للمنطقة التي شيد عليها حضارته ويرتبط ذلك الفن به طالما هو على تلك الارض. فالفن العربي بدأ مع بداية وجود الانسان العربي على الارض العربية أى منذ الالف الرابع قبل الميلاد حين ظهرت بدايات الحضارة في وادي الرافدين على يد السومريين والاكديين وبقية الاقوام المعروفة (الشعوب العربية القديمة) كذلك الفن الفارسي فانه بدأ مع بداية استيطان الفرس في الاقليم الذي عرف بأسم «فارس» حيث ظهروا هناك في حدود عام ٧٠٠ ق. م على سفوح سلسلة الجبال البختيارية ولم تكن لمملكة عيلام آنذاك القوة الكافية لمنع استيطان الفرس هناك اذ انتهى بهم الامر آنذاك إلى انقسام دولتهم إلى مجموعة من الامارات وذلك بتشجيع من الاشوريين (١) وكان الفرس الاخمينييون أصحاب تلك الدويلات الصغيرة التي ظهرت في مطلع القرن السابع ق. م. ورد اول ذكر لهم من قبل الملك العيلامي هوبان امينّا (٢) ٦٩٢ — ٦٨٨ ق. م حيث تمكن أخمين الجد الاعلى للاسرة الفارسية الاولى التي عرفت باسمه، من تكوين تلك الدولة فاستقر الفرس فيها بعد أن كانوا أقواما شبه بدويه (٣) .

بدأ اول اتصال مباشر بين الفرس والاشوريين خلال احدى حملات الملك الاشورى آشور بانيبال على منطقة عيلام حيث وصل قائده اقليم فارس في عهد الملك الاخميني كورش الاول الذي ورد في النص الاشورى باسم «كوراش» الذي وافق على اعطاء ابنه الاكبر للاشوريين كرهينه وضمان لولائه (٤)، كان ذلك اول اتصال بين الفرس والمنطقة العربية الا انه لم يكن كذلك بالنسبة لعموم الشعوب الايرانية اذ كانت هناك اتصالات وعلاقات عسكرية وحضارية منذ العصر السومري وما قبله ما هي وكيف ؟

---

(١) R. Chirshman, "Iran" (Harmandworth, 1961), p. 119

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المرجع ص ١٢٠ .

(٤) نفس المرجع ص ١٢٢ .

انتشرت من خلالها عناصر الحضارة العربية في المنطقة الايرانية برمتها ولعل الفرس هم اول الاقوام الايرانية الذين تميزوا بتعصبهم العنصري يذكر كرشمان «ان الفرس انجزوا الامر الذي يبدو أن السكان الاصليين للهضبة الايرانية لم يحاولوه خلال مئات بل وآلاف السنين من استيطانهم هناك ذلك هو التعبير عن لغتهم بكتابتهم الخاصة»(١) حيث كانت اللغات الايرانية تكتب حتى ذلك العهد بالخط المسمارى، مع ذلك فان اللغة الحقيقية للدولة الاخمينية من مصر وحتى الهند كانت اللغة الارامية (٢) .

من الطبيعي ان الفرس المتمثلين بسلالتي الاخمينين (منذ بداية القرن السابع وحتى عام ٣٣٣ ق. م) والساسانين (٢٢٦ – ٦٥١ م) لم يكونوا منعزلين عن التأثيرات الفنية والحضارية للشعوب الاصليه للهضبةالا يرانية فقد استمدوا مقومات حضارتهم وفنونهم من الشعوب الايرانية القديمة اضافة إلى استمرار اتصالهم المباشر بالفنون العربية القديمة، ولعل النص التذكاري لبناء دارا الاول لقصره في سوسه يعطينا الدليل القوي على مدى اعتماد الفرس على العرب وغيرهم من الشعوب الاخرى في المجال الفني فبعد ان يذكر مصادر مواده البنائيه من احجار وخشب ومواد زينه يذكر مواطن الصناع اذ يقول «كان النقارون الذين انجزوا الاعمال على الحجارة من الايونين والسردينين والصاغة الذين نمقوا الذهب كانوا من الميديين والمصريين، والنجارون الذين انتجوا اعمال الاخشاب كانوا من السرديني والمصريين والبناؤن الذين شيدوا اللبن كانوا من البابلين والرجال الذين زينوا الجدران كانوا من الميديين والمصريين» (٤). لذلك ليس من الغريب ان تجد في الفن الفارسي خليطا قد يكون غير متجانس من عناصر الفنون الاخرى وما يهمنا من هذا الخليط العجيب ابراز العناصر العربية فيه.

ومن الجدير بالذكر ان بعض هذه العناصر قد ظهرت في الفن العربي خلال العهد الاسلامي فعزيت من قبل مؤرخي الفن إلى الساسانين او الفرثين

(١) Chirshman, "Iran", p. 121

(٢) Jean-Louis Huot, Persia" (Geneva, 1965), p. 11

(٣) Ghirshman, "Iran" pp. 165-166

(٤) اندريه بارو ، « بلاد آشور » ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي بغداد ١٩٨٠ ، ص ٢٠٧

دون التعمق في تتبع اصولها وهذا يرجع إلى امور عديدة منها التأثر الكبير بكتابات المستشرقين وفقدان المنهج الثابت لكتابة التاريخ ولعل من ابرز ما كتب بالعربية ممثلا لهذا النهج هو كتاب الفنون الايرانية للدكتور زكي محمد حسن والذي ينسب فيه كل مظهر معماري وفني إلى الايرانيين دون ايراد الدليل او البرهان منطلقاً فقط من قناعته الشخصية بأن الايرانيين اصحاب عبقرية ولهم الفضل الاكبر على الفن الاسلامي، ومن المعروف ان هذا الكتاب كتب في اعقاب الزواج الملكي بين شاه ايران وابنة فاروق ملك مصر فكان التراث العربي صداقا قدمه الكاتب لذلك الزواج.

وسنذكر فيما يلي ابرز العناصر العمارية والفنية العربية التي ظهرت في الفن الفارسي ثم عادت لتظهر خلال الفن الاسلامي.

التخطيط الدائري للمدن :

حين ظهرت بغداد مدينة المنصور على تخطيط دائري عزّ على بعض مؤرخي الفن أن ينسب هذا التخطيط بخصائصه المتميزة إلى العرب فعمدوا إلى البحث عن أصوله فاوجد كرزويل اثني عشر مدينة مدورة سبقت مدينة المنصور بعضها تؤرخ من عهد السيادة الفرثية والبعض الاخر من العهد الساساني في العراق او في سوريا او في ايران مثل سنجرلي واكبتاتا وطيسفون والحضر، الا انه اختار مدينة دارابجرد في اقليم فارس لتكون ذات التأثير المباشر على بغداد(١)، اشار كرزويل في بداية حديثه عن نماذج المدن الدائرية إلى المعسكرات الاشورية الدائرية وعلى الرغم من ان بعض تلك المعسكرات كان بيضويا الا انه اعترف ان احد هذه المعسكرات على الاقل كان دائريا منتظما يتخلله شارعان متقاطعان من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب (٢) مع ذلك اهمل هذا النموذج رغم اهميته ووجه تركيزه نحو دار بجرد الفارسية في حين اشار كرشمان إلى اهمية المعسكرات الاشورية في هذا الصدد (٣).

---

(١) K.A.C Creswe, "*Ashort Account of Early Muslim Architecture,*" (Harmondsworth, 1958), p. 173.

(٢) نفس المصدر ص ١٧ .

(٣) Ghirshman, "*Iran*", p. 273.

مما لاشك فيه ان هناك علاقة اقوى بين تخطيط بغداد وتخطيط كل من طيسفون والحضر القريبتين اليها وان بالامكان تفسير الترابط بين النماذج الدائرية لهذه النماذج الدائرية (المعسكرات الاشورية ، الحضر ، طيسفون ، بغداد) على أنها كانت نتيجة تأثير عُرف او اسلوب معمارى ساد المنطقة خلال تلك الفترة.

ويجدر بنا هنا أن نوضح طبيعة الفن الذي ساد مدينة الحضر وطيسفون ودور أيوروبس وتدمر وغيرها من المدن العراقية والسورية خلال فترة السيادة الفرثية ، فقد اصطلح مؤخراً على هذا الفن أسم «الفن الفرثي» وهي تسمية حديثة أطلقها روستو فتسييف في أعقاب تنقيباته في مدينة دورا يوروبس (الصالحية) ، الواقعة على الفرات قرب الحدود العراقية السورية، عام ١٩٢١ وما بعدها (١)، معبراً بذلك عن الفن الذي ساد العراق وسوريا والجزء الغربي من الهضبة الإيرانية في مطلع التاريخ المسيحي ، في حين أن ذلك الفن كان فناً شرقياً يمثل آخر ماوصلته الفنون المحلية متأثرة بالفنون الأغريقية أثر غزو الاسكندر ، فنشأ فناً مزيجاً من الفنون المحلية في كل منطقة بالفن الأغريقي فعرف بالفن الهلنسيّ . لذلك نلاحظ أن الفن الهلنسيّ الذي ساد العراق وسوريا كان مختلفاً عن الفن الهلنسيّ الذي ساد المشرق ، كما أن طبيعة الحكم في عصر السيادة الفرثية كان لامركزياً بل وان العرب القاطنين على الحدود الغربية للدولة الفرثية كانوا مستقلين تماماً (٢) .

كذلك فإن الفن الذي انتشر خلال فترة السيادة الفرثية كان فناً عربياً في أصوله يمثل امتداداً للفنون العراقية والسورية القديمة وإن حلقات تطور التخطيط الدائري من المعسكرات الآشورية والحضر وطيسفون وبغداد قد تمت تحت التأثير المباشر للعناصر الفنية والمعمارية العربية . هذا وإن النصوص الكثيرة المكتشفة في الحضر كانت غالبيتها العظمى باللغة الآراميةو القليل منها

(١) R. Ghirshman, "*Iran Parthians and Sassanians* " (Thames and Hudson, 1962) P.I.

(٢) Ghirshman, "*Iran*", p. 264.

(٣) Ghirshman, "*Iran Parthians and Sassanias*" p. 36.

باللغة الأغريقية ولم يعثر على أي نص بأي من اللغات الإيرانية القديمة مما يشير إلى تفاعل الحضارة العربية خلال العصر الهلنستي بالحضارة الأغريقية بشكل مباشر وبمعزل عن التأثيرات الفارسية أو الإيرانية القديمة

دور السكن :

ساد ايران خلال العصرين الأخميني والفرثي طرازان من دور السكن يعتمد الطراز الأول على الفناء المكشوف تحيط به الغرف وبقية الوحدات وقد اشتق هذا الطراز عن دور السكن في العراق (١) وعرف بالبيت «البابلي». ويعتمد الطراز الثاني على عنصر الايوان وغالباً مايكون بشكل ايوان مركزي كبير تحيط به الغرف من جانبيه وتبدو الواجهة بشكل ثلاثة أواوين الوسطي منها أكبر من الجانبين كما في معبد شمش في الحضر وعرف هذا الاسلوب خطأ «بالطراز الايراني» (٢) ذلك لاستخدامه من قبل الساسانين وأساس الخطأ في هذه التسمية هو الخلط بين الفن الايراني والفن الفرثي . ينسب كرشمان تطور هذا الطراز إلى الفرثيين ومن المعروف أنه لم يصلنا إلا القليل من النماذج المعمارية التي أنتجت خلال العصر الفرثي في الهضبة الايرانية وان معظم العمائر المعروفة من ذلك العصر وجدت في العراق ، في الوركاء وآشور والحضر وكذلك في نيسا وكوهي خواجا في الأقاليم الشرقية وقد ظهر ذلك الطراز بشكل واضح في العصر الفرثي في آشور وفي الحضر كما استخدم مع بعض التحوير في طيسفون . ان مناطق انتشار وتطوير هذا الطراز دليلا كافياً على أصله العربي وإن فكرة الايوان مرتبطة ارتباطاً كبيراً بالقبو الذي يغطيه والقبو كما سنرى آشورياً في أصله كما يمكن ارجاع أصول الايوان نفسه إلى العصر الآشوري . ومن المعروف أن هذا العنصر لازال مستخدماً في شمال العراق مما يدل على ملاءمته للظروف المناخية لمناطق انتشاره وان الأصول الفرثية للايوان في الحضر وآشور لايعني بالضرورة فارسيته ، فالفرثيون لم

---

(١) Ghi''s'iman, *"Iran Parthians and Sassanians"* p. 36.

(٢) Ghir.h:man, *"Iran"* p. 273 .

يكونوا فرساً بل ايرانيون ، كما ليس بالضرورة أن يكون كل انتاج معماري أو فني في عهد سيادتهم ايرانياً ، فالايوان نشأ على أرض عربية وضمن المؤشرات المحلية العربية .

وعن مدى علاقة العمارة الأخمينية بالعمارة البابلية بشكل عام يذكر أندريه بارو ذلك فيقول : «كانت سوسه مدينة عراقية أكثر مما هي مدينة أخمينية وان المفارقة بينها وبين برسيبوليس ظاهرة جداً ومع ذلك كانت للمدينتين مشابهة أساسية ذلك لان ذات المدينة والفن سائدان فيها سوية ولوان التأثيرات البابلية أكثر بروزاً في سوسه ويتضح هذا الأمر في العمارة وفي الزخرفة معاً ذلك أن مخطط القصر في سوسه بافنيته الثلاثة المنفتحة على محور شرقي — غربي كل واحد منها محاط بمجموعة من الغرف إنما هو تذكير جلّي بقصور العهد البابلي الحديث في بابل (١) .

المقبـــة :

من المتعارف عليه أن أقدم نماذج القباب بشكلها الحقيقي ظهرت في ايران إذ يتمثل أقدمها بتلك التي في قصر فيروز آباد المؤرخ بحدود ٢٢٦م (٢) ثم تستمر السلسلة بتطورها فيظهر النموذج الآخر في سر فستان المؤرخ من القرن الخامس الميلادي (٣) ويظهر النموذج الثالث في قصر شيرين المؤرخ في الفترة بين ٥٩٠ — ٦٢٨م (٤). إلا أن وجود القباب في ايران بشكلها المتطور لايعني على الإطلاق أن ايران موطن ابتكار هذا العنصر المعماري إذ لازال هذا الموضوع تحت المناقشة ، لعنصر القبة بدايات ولكل من مؤرخي العمارة رأيه في هذا الموضوع مستنداً إلى بعض هذه الدلالات فيرى البعض أن موطن هذا العنصر كان في ايطاليا حيث ظهر كأحد مكونات مباني

---

(١) اندريه بارو ، «بلاد آشور» ص ٢١٤ .

(٢) O. Reuther" Sassanian Architecture " A. "History" in"*A Survey of Persian Art*" ed . by pope(London and New York,1967) II.p. 534.

(٣) نفس المرجع ص ٥٣٧ .

(٤) نفس المرجع ص ٥٣٩ .

الحمامات(١)ويرى آخرون أن موطن هذا العنصر كان في مصر وذلك استناداً إلى منحوتات تظهر عليها مخازن حبوب مغطاة بأشكال شبيهة بالقباب(٢)في حين يرى آخرون أن موطنه كان في سوريا استناداً إلى وجود قباب مدافن قائمة على قواعد رباعية من أربعة عقود من القرن السادس الميلادي (٣) .

ويقترح دالتون أن المنطقة التي ظهرت فيها القبة القائمة على قاعدة مربعة لأول مرة هي تلك البقعة الممتدة بين جبال اواسط آسيا والبحر المتوسط (٤) في حين ينسب دولن أصل القبّة إلى السرمديين (٥) .

لمعرفة الموطن الاصلي لنشوء القبة علينا ان ندرس الظروف الملائمة لنشوئها وتطور الدلائل على وجودها . ورغم أن اقدم القباب القائمة في العراق هي تلك التي على مدخل قصر الاخيضر من القرن الثامن الميلادي الا أن الدلائل الآثارية تشير بوضوح إلى استخدامها والى وجود فكرتها قبل العهد الساساني ، فالمادة الاساسية المستخدمة في العراق القديم هي الآجر وان تشييد القباب وكذلك العقود يحتاج إلى مواد بنائية صغيرة الحجم بسيطة التشكيل .

تظهر مباني لاكواخ او زرائب حيوانات مشيدة من القصب على بعض الاختام الاسطوانية من عصر فجر السلالات الاول في العراق وقد شيدت بشكل قباب (٦) بل وظهرت السقوف المتكورة قبل هذا التاريخ متمثلة في دور السكن المعروفة من عصر حلف في الالف الخامس قبل الميلاد ...

---

(١) G. T. Rivoira, "*Moslem Architecture*" (Oxford, 1918)p. 121

(٢) G. Perrot and Ch. Chipiez, "*AHistory of Art in Ancient. Egypt*" (London, 1883) 11, p. 37 .

ويراجع كذلك
W.R. Lethaby, "*Architecture*" (London, 3rd. ed. 1955) p. 40 .

(٣) K.A.C. Cresweff, "*THe Muslim Architecture of Egupt*" (Oxford, 1952-9) I,p. 73.

(٤) O. Dalton, "*East Christian Art*" (Oxford, 1925) pp. 80-81.

(٥) L. Woolley "*Mesopotamia and the Middle East*" (London, 1961) p. 46 .

(٦) اندريه بارو ، « سومر ، فنونها وحضارتها » (ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي) بغداد ١٩٧٩ ، ص ١٣٧ .

ويبدو ان القبة قد استخدمت في تشييد بعض المباني الاعتيادية في بلاد آشور كما يستدل على ذلك من خلال احدى المنحوتات الجدارية المكتشفة في تل قوينجق في نينوى (١) (الشكل ١) حيث تمثل المنحوتة التي كشف عنها في قصر سنحاريب قرية شيدت بيوتها بنوعين من القباب ، النوع الأول قباب نصف كروية والنوع الاخر قبابا مخروطية وتستند هذه القباب على قواعد مربعة ، ومما تجدر الاشارة اليه ان مثل هذا النوع من القباب لازال يشيد باللبن في بعض القرى الواقعة جنوبي كركوك وقرى أخرى قرب حلب (٢) واستناداً إلى ذلك يرى بعض مؤرخي الفن ان القبة كانت مستخدمة لدى الآشوريين على مساحات ضيقة (٣).

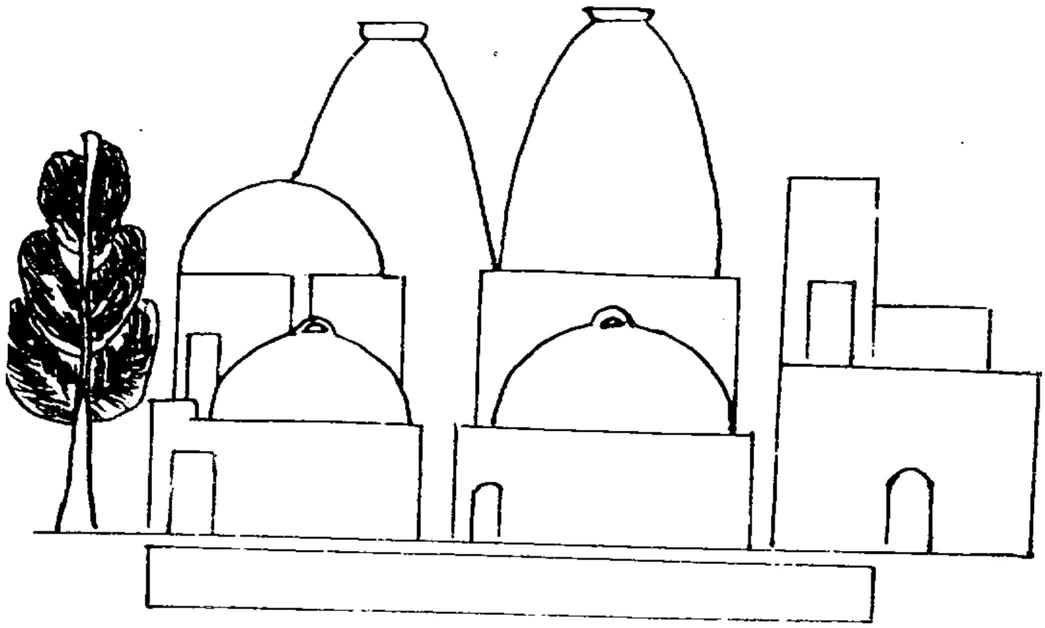
أما في الحضر التي تؤرخ معظم مبانيها ذات الأهمية بين القرنين الأول قبل الميلاد والثاني الميلادي فيلاحظ أن القبو كان العنصر الأساسي للتسقيف إلا أنه كشف عن نماذج صغيرة يمثل كل منها مبنى ، ربما كان معبداً مغطى بقبة مخروطية الشكل (الشكل ٢). ثم تظهر بعد هذا التاريخ القباب الساسانية المذكورة أعلاه كما تردنا روايات، عن قباب أقيمت في الجزيرة العربية قبل الإسلام ربما كانت معاصرة للقباب الساسانية إذ يذكر الأزرقي قبة في كنيسة القليس أنشأها أبرهة الحبشي قبل مولد الرسول (ص) بقليل ليجعل منها كعبة للعرب وكانت هذه الكنيسة تضم إيواناً طوله أربعون ذراعاً ثم يدخل من الايوان إلى قبة ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً (٤) ويذكرنا تخطيط هذه الكنيسة بتخطيط قبة باب الذهب التي شيدها المنصور في بغداد .

(١) A.H. Layard, "*Discoveries in the Ruins of Nineveh and Babylon*" (London, 1853) p. 112.

(٢) A,N. Abbu, " The Ayyubid Domed Buildings of Syria" (ph. D Thesis, Edinburgh, 1973) p. 275.

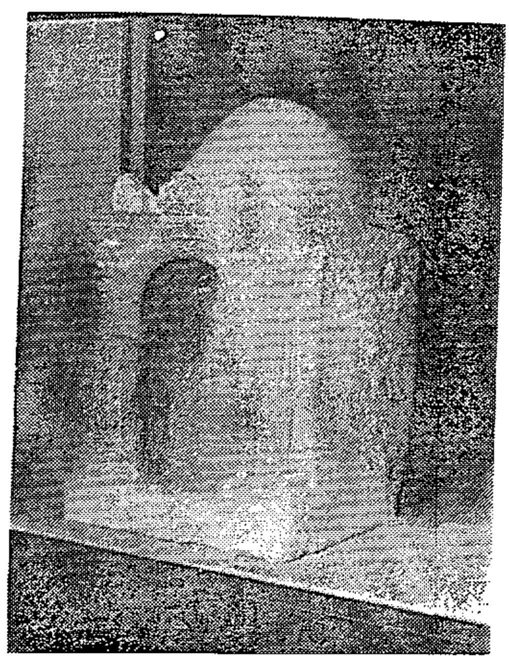
(٣) توفيق احمد عبد الجواد ، « تاريخ العمارة والفنون في العصور الاولى » (ط٢) ١٩٧٠ جـ ١ ص ١٩٤ .

(٤) الازرقي ، ابو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، « اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار » (القاهرة ١٣٠٧ هـ) ط ، ص ٨٤ — ٨٥ .



الشكل (١)

منحوتة اشورية تمثل قرية يظهر فيها استخدام القباب عن ليرد



الشكل (٢)

نموذج لمعبد من الحضر استخدمت فيها القبة

وتشير روايات بعض المؤرخين إلى استخدام القبة في العمائر في العراق قبل الفتح الإسلامي إذ يذكر الشابشتي أن بعض الديارات القديمة قرب الحيرة كانت تحتوي على قباب منها قبة الشتيق فقال عنها «وهي من الأبنية القديمة في الحيرة على طريق الحاج وبازائها قباب يقال لها الشكورة جميعها للنصارى» (١)، كما لم يأت الاهتمام ببناء القباب في العراق وسوريا خلال القرن الأول الهجري اعتباطاً إذ لابد وأنه كان استمراراً لتقاليد معمارية سائدة في المنطقة فشيدت خضراء معاوية وخضراء واسط وقبة الصخرة وقبة دار الامارة في الكوفة (٢) في حين لم يكن القصر الملكي في طيسفون محتوياً على قبة ، ولا مجال هنا لذكر تطور القباب خلال فترة الحكم العربي الإسلامي وتنوعها ذلك التطور الذي أصبحت بموجبه القبه عنصراً من العناصر المميزة للعمارة العربية والذي بلغت خلاله مرحلة من التطور يدل بشكل مؤكد أن العنصر الفني لايمكن أن ينضج ويتطور إلا ضمن الظروف التي نشأ فيها..

القبوات والعقود:

لم يستخدم الاخمينيون القبوات في مبانيهم بل اتبعوا اساوب السقوف المسطحة المستندة على الأعمدة وهو من المؤثرات المصرية ، ويظهر القبو كعنصر مميز للعمارة الفرثية في القرن الثاني قبل الميلاد إذ استخدم على نطاق واسع في العراق بشكل خاص واصبح في نظر البعض من أهم خصائص العمارة الفرثية (٣) اذ ظهر في جميع مباني الحضر تقريبا وكذلك في العصر الفرثي في آشور ومبان فرثية اخرى في العراق ولم يكن القبو بمثل هذا الانتشار في المدن المعاصرة للحضر في سوريا، اما في العصر الساساني ذلك العصر الذي

(١) الشابشتي ، ابو الحسن علي بن محمد ، «الديارات» (تحقيق كوركيس عواد بغداد ١٩٦٦ الطبعة الثانية) ص ٢٤١ .

(٢) عن هذه القباب راجع عادل نجم عبو ، «القباب العباسية في العراق» (رسالة ماجستير غير منشورة بغداد ١٩٦٧) ص ٨ – ١٢ .

(٣) Jean – Louis Huot , " *Peria*" T.p 173.

اخذ الكثير من عناصره المعمارية من العمارة العربية في العراق او من العمارة الاخمينية في ايران والتي استمدت بدورها كما ذكرنا معظم عناصرها من العراق فيظهر القبو بشكل لا يختلف عن استخدامه في العمارة الفرثية في العراق، خاصة اذا علمنا ان طيسفون التي اصبحت عاصمة الدولة الساسانية كانت بالاصل مدينة فرثية وشيدت وفق التراث المعماري الذي كان سائداً المنطقة فالقصر الملكي في طيسفون «طاق كسرى» بايوانه وزخارف واجهته كان يمثل شبها قويا بالقصر الفرثي في آشور (١).

لم تكن القبوات المكتشفة في الحضر وآشور والمدن العراقية الاخرى اقدم القبوات العربية بل تمثل تتويجا لتطور هذا العنصر منذ عصر السومريين الذين عرفوه في منتصف الالف الثالث ق. م (٢).ويبدو ان القبوات قد استخدمت في المباني العراقية منذ ذلك التاريخ الا انها لم تكن العنصر البارز في العمارة اذ استخدمت من قبل الاشوريين في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد حيث كشف عن بقايا قبوة مشيدة باللبن في تل رماح قرب الموصل واعتبرت اقدم القبوات القائمة من نوعها فوق سطح الارض (٣) ولما كان اللبن هو المادة الاساسية للبناء في العراق القديم فقد جرت محاولات ناجحة لتشيد القبوات به ثم كانت هناك محاولات لتشيده بالآجر اذ نرى في اواخر العصر الاشوري قبوات تشيد بآجر يعد بالأساس لتشيد قبو بل ويعمل بالقياسات التي تتناسب مع الفتحة التي يغطيها القبو كما هو واضح في بوابة ادد في نينوى اذ شيد القبو المغطي لقاعة الحرس بآجر شبه منحرف ليتلاءم مع انحنائه (٤) وان وجود

---

(١) Ghirshman , "*Iran parthians and Sassanians*" p. 136–7

(٢) L.Woolley,"Mesopotamia ansd the Middle East(London, 1961), p. 46.

(٣) David Oates, "The Excavation at Tell Rimah,"1964 IRAQ, XXvII, (1965). p. 77 pl.. xx,b.

(٤) عن المزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع : عادل نجم عبو . « الصيانة واساليب التسقيف في بوابة ادد الاشورية » سومر ، العدد ٣١ (١٩٧٥) ص ١٥٧ – ١٦٣ .

هذا الاسلوب من التسقيف في بوابة عشتار من العهد البابلي الحديث يعطي الدليل على مدى تطوره في العراق، وكان التغيير الوحيد في تطور بناء القبو في الحضر هو تشيده بالحجارة وربما كان ذلك ناتج عن تأثير الامتزاج بالفن الاغريقي الا اننا نلاحظ عودة إلى استخدام المواد البنائية المحلية كالآجر في القصر الملكي في طيسفون البعيدة عن مصادر الحجارة والذي استخدم فيه الاسلوب الاشورى في تشيد القبوات اى الشكل الاهليلجي او البيضوى رغم ان القبو كان قد وصل آنذاك مرحلة متقدمة في تطوره.

والعقود التي كانت حيث الفتح العربي ذات اشكال نصف دائرية عموما والتي وصلت أوج تطورها وتعدد أشكالها والدقة في بنائها الهندسي خلال القرون الثلاثة الاولى للهجرة لم تسلم هي الاخرى من التشويه ومن الغريب ان ينسب بعض مؤرخي الفن العرب العقد المدبب إلى الايرانين اذ يقول زكي محمد حسن: «وسرعان ما عم استعمال العقد المدبب في كل العمائر الايرانية وصار ينسب إلى ايران» (١)دون ايراد دراسة ولو بسيطة لاصوله او مناطق انتشاره للحكم على ذلك، فمن المعروف ان اقدم نماذج العقد المدبب ظهرت في سوريا في قصر ابن وردان (٥٦١ ــ ٥٦٤ م) (٢)، كما تحتفظ المنطقة العربية باكثر نماذج هذا الطراز بمختلف اشكاله.

فن النحت :

تظهر العناصر العربية بشكل واضح وجلي في مجال فن النحت الفارسي ويؤكد مؤرخو الفن على مدى تأثر فن النحت الاخميني بالفنون العربية في آشور وبابل (٣).

تعتبر الثيران المجنحة ميزة من ميزات فن النحت الاشورى وكان لتلك الثيران مدلولات دينية فقد وضعت على مداخل المدن والقصور الملكية كآلهه

(١) زكي محمد حسن، «الفنون الايرانية في العصر الاسلامي» (القاهرة ١٩٤٦) ص ٥٣.

(٢) A.N. Abbu, " The Ayyubid Domed Buldings" ...p. 354.

(٣) اندريه يارو، «آشور» ص ٢١١.

حارسة باسم «لماسو» وصيغت بحيث تجمع بين ذكاء الانسان وقوة الثور وخفة الطير وتغطي أجسام بعض هذه الثيران الحراشف تعبيراً عن قدرة الأسماك في حياتها تحت المياه . أخذ الاخمينيون هذه العناصر بمعزل عن مدلولاتها الدينية واستخدموها للزخرفة الصرفة دون أي تغيير أو تحوير فالأخمينيون اعتنقوا الديانة المزدية التي تمنع حتى اقامة المعابد (١) بل أن الثور في معتقدهم يشير إلى الشر في حين يشير الأسد إلى الخير (٢) مع ذلك فقد وضعت الثيران على أبواب قصورهم ومدنهم .

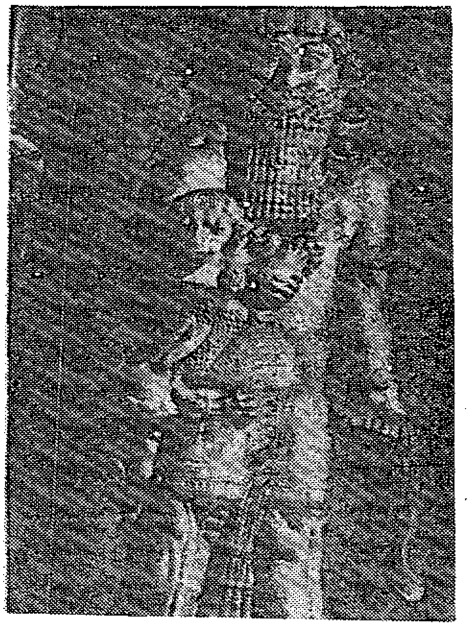
واقتبس الأخمينيون الكثير من موضوعات النحت الآشوري واستخدموها في تزيين قصورهم حيث زينت تلك القصور بافاريز رخامية أو حجرية تدور حول القسم السفلي من الجدران على غرار القصور الآشورية . يتحدث أندريه بارو في هذا المجال فيقول : «ان استعارة موضوعات هذا النحت الزخرفي من النحت الآشوري وفن بلاد الرافدين أمر لايمكن انكاره مثال ذلك ان التماثيل التي تسند العرش مستعارة من بلاد آشور في حين أن نقشة الملك البطل الذي يحتضن أسداً بذراعه الأيمن تذكير واضح بصورة كلكامش وهو يحمل شبل أسد في خرساباد (الشكل ٣) وعلى غرار ذلك تماماً يتبع مركب حملة الجزية بصفة مباشرة من المواكب الآشورية المصورة في قصر سرجون» (٣) (الشكل ٤)، ويتحدث عن النحت الأخميني أيضاً فيقول : «يتألف النحت في أغلب الأحيان من عنصر يتكرر المرّة تلو المرّة وهو يظهر تركيباً منظرياً واسعاً يتألف من مجاميع من ألواح حجرية مهندمة مرصوفة أحدها جنب الآخر وهذا النظام يتعقب بنظام الزينة الآشوري بكل وضوح إلا أن الفرس نقلوه إلى نقطة يبدو فيها التأثير الكلي رتيباً ولا نقول مملا» (٤) .

(١) Jean-Louis Huot, "*Persia*" I,p. 174f.

(٢) نفس المصدر ص ١٥٩ .

(٣) اندريه يارو ، «آشور» ص ٢١٢ .

(٤) نفس المصدر ص ٢١١ .



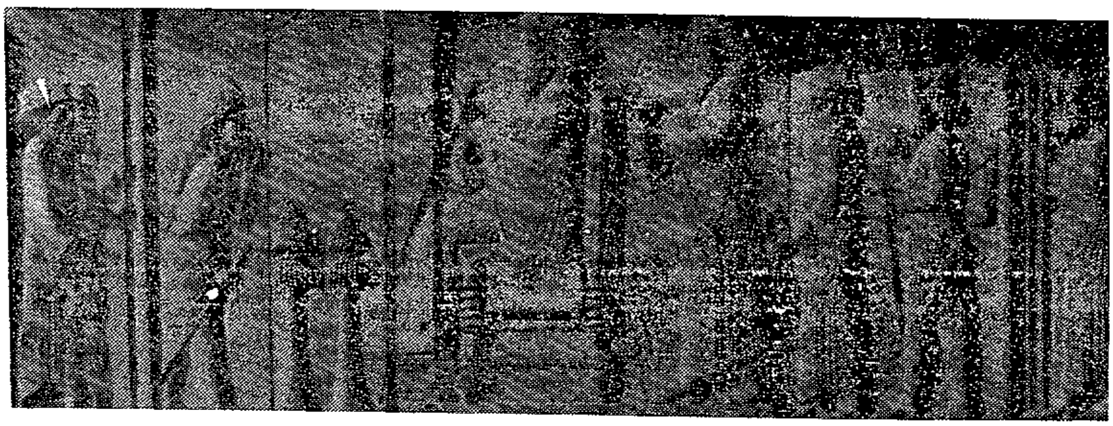
الشكل (٣آ)

منحوتة آشورية من خرساباد (عن اندريه يارو)

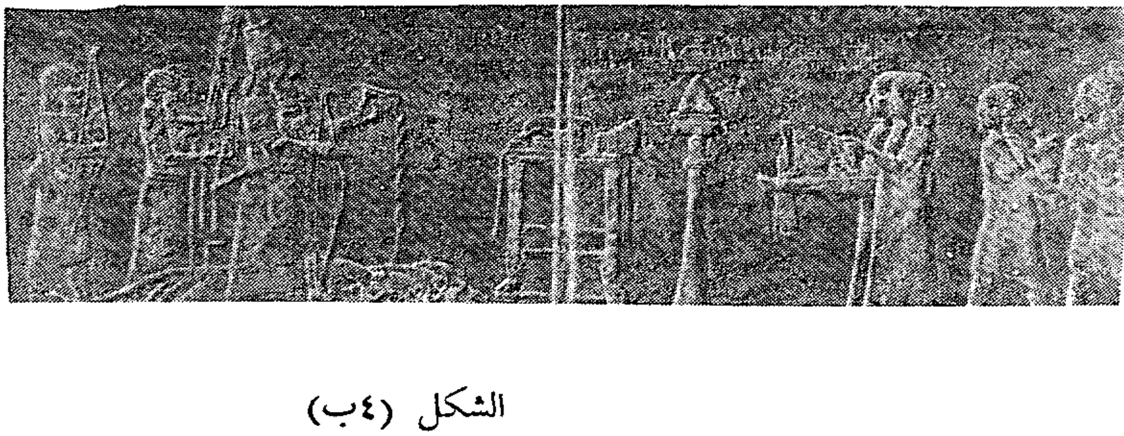


الشكل (٣ب)

منحوتة أخمينية من سوسه عن اندريه يارو



الشكل (٤)
منحوتة أخمينية تمثل مشهداً لتقديم الجزية (عن سيتون لويد)



الشكل (٤ب)
منحوتة آشورية تمثل مشهداً لتقديم الجزية (عن مورتكارت)

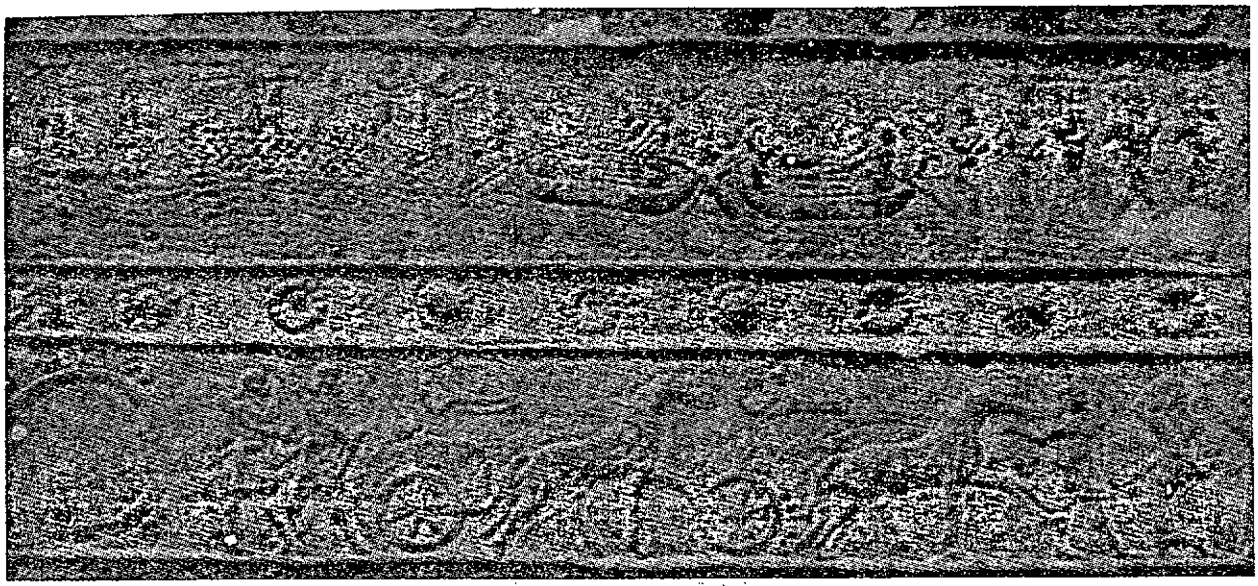
ولم يقتصر اقتباس الفرس على فكرة وأسلوب النحت الآشوري فحسب بل نلاحظ استخدامهم لنفس الموضوعات التي عالجتها المنحوتات الآشورية مثل مشاهد الصيد ومشاهد الاسرى تقدم الهدايا للملك والمخلوقات المجنحة ومشاهد الحرب ، ونقل الأخمينيون عنصر زهرة الربيع التي تظهر بشكل متكرر لتؤطر بعض المنحوتات ثم صورت وفقدت التفاصيل فبدت في العصر الساساني بشكل دوائر أو نقاط كما تبدو في المسكوكات وعرّفها مؤرخو الفن بحبات اللؤلؤ الساسانية في حين أن تطورها من الأصل الآشوري واضح جداً ولا علاقة بين هذا العنصر واللؤلؤ (الشكل ٥) ولعل من أوضح النماذج المشيرة إلى مدى تأثر الفن الفارسي بالفنون العربية هي اللوحة (٦) التي تمثل زخارف من أزهار سداسية رتبت بشكل هندسي ضمن إطار زهرات الربيع وجدت في خرساباد إذا ماقارناها بغيرها من المنحوتات الساسانية والفرثية التي صيغت بنفس الاسلوب (١) ، بل ويبدو أن الأخمينيين قد عجزوا حتى عن إبتكار رمز لالههم اهورا مزدا فاقتبسوا بشكل حرفي الرمز المجنح للإله آشور رغم الإختلاف في طبيعة الالهين والديانتين (الشكل ٧).

على العموم يمكن القول من خلال تفحص المنحوتات الفارسية سواء كانت أخمينية أو ساسانية ومقارنتها بالمنحوتات الجدارية الآشورية والبابلية انه لم يجر أي تطوير على فن النحت الذي استلمه الفرس من العرب خلال الف عام بل على العكس نلاحظ فيه تروياً وتدهوراً ، وان التطوير الذي نلاحظه أحياناً في المنحوتات الفارسية والأختلاف بينها وبين المنحوتات الآشورية لم يكن من المنجزات الفنية للفرس بل كان نقلاً عن مصادر أخرى مثل الأغريقية والميدية والمصرية والفينيقية . فالتفاصيل في الملابس والدقة في إظهار طياتها ميزة من مزايا فن النحت الأغريقي (٢) وان هناك الكثير من التفاصيل الدقيقة في فن

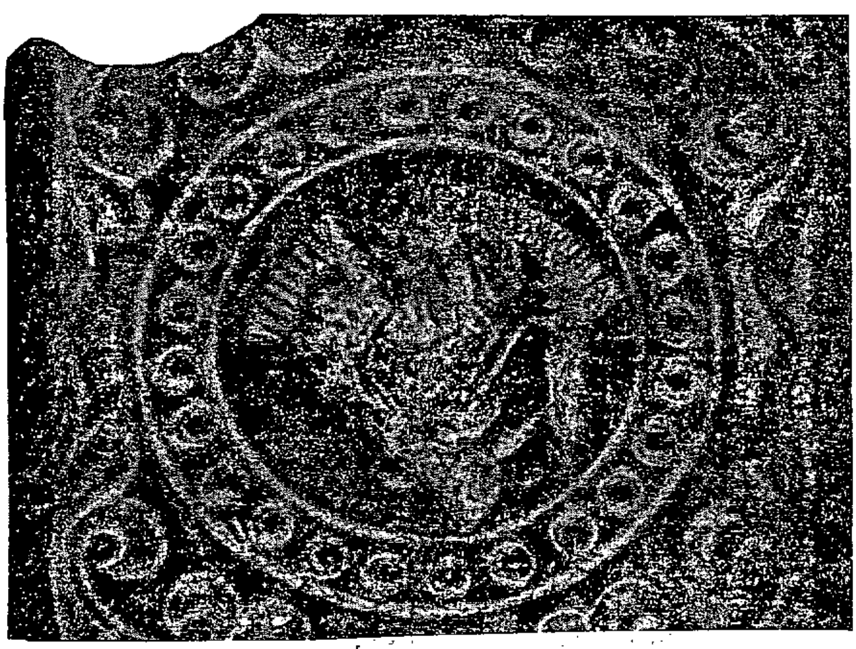
(١) Jurgis Baltrusaitits, Sassanian Stucco, A, Ornamertal In Pope, "*Asurvey of Persian Art*" (London and New York, 1967), II p.620.

(٢) Jean-Louis Huot, "Persia" I, p. 175.

ويراجع كذلك اندرية يارو ، « بلاد آشور » ص ٢١٣ .



الشكل (٥أ)
منحوتة أشورية تظهر فيها زهرة الربيع (عن سينون لريد

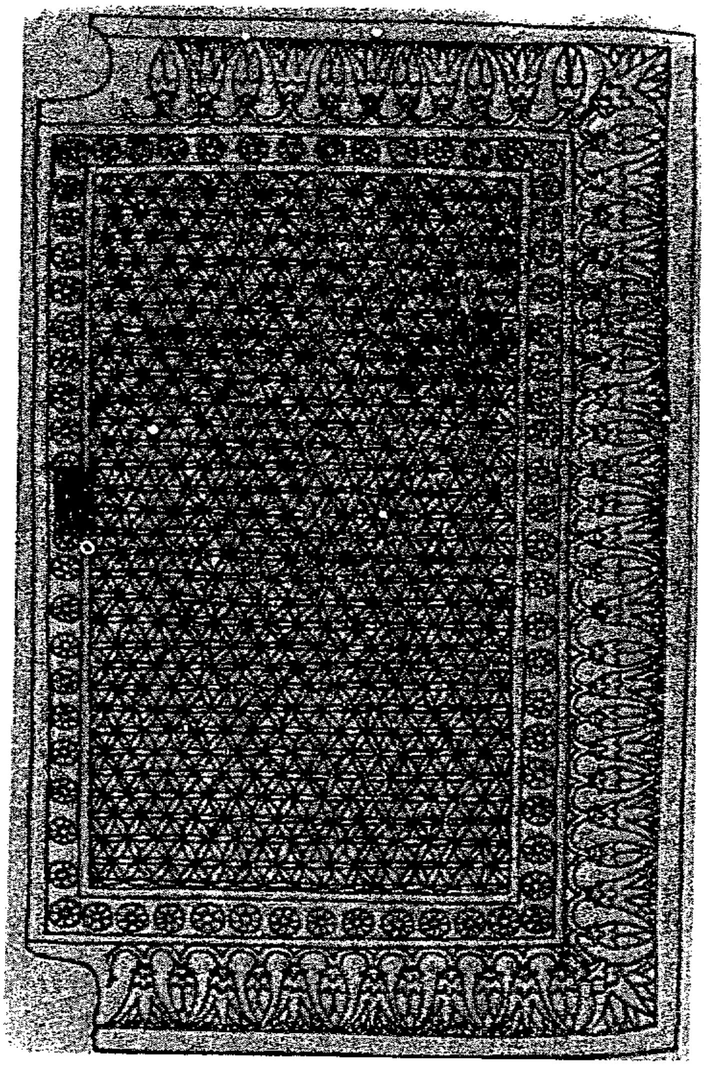


الشكل (٥ب)
منحوتة آخمينية تظهر فيها زهرة الربيع بشكل دوائر (عن كرشمان)

النحت ترجع إلى أصولها الفينيقية والمصرية والتي تمثل جزءاً من التراث العربي أيضاً .

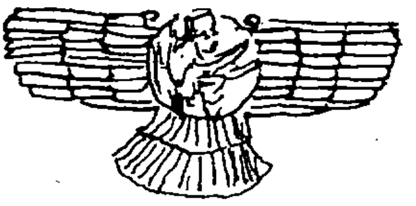
التزجيج :

وصل التزجيج قمة تطوره في نهاية العصرين الآشوري والبابلي الحديث فزين شارع الموكب وبوابة عشتار بلوحات جدارية نفذت على الآجر بشكل بارز ومزجج بألوان متعددة ، إذ تتكرر أشكال أسود وثيران وتنيـــــــن

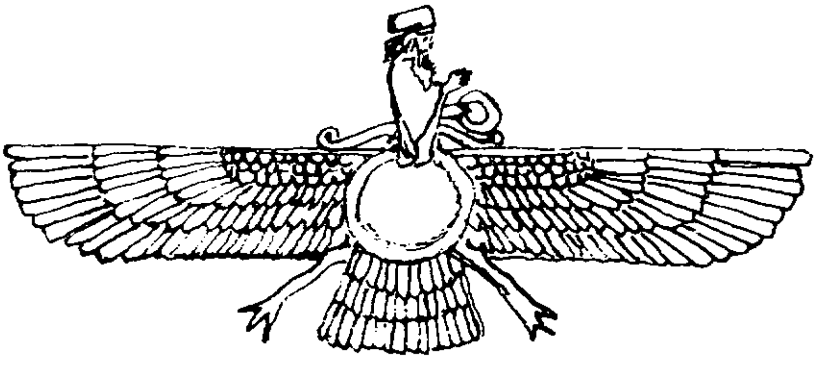


الشكل (٦)

منحوتة آشورية اعتمدت فيها الزهرات السداسية اساساً للزخرفة (عن سينون لويد)



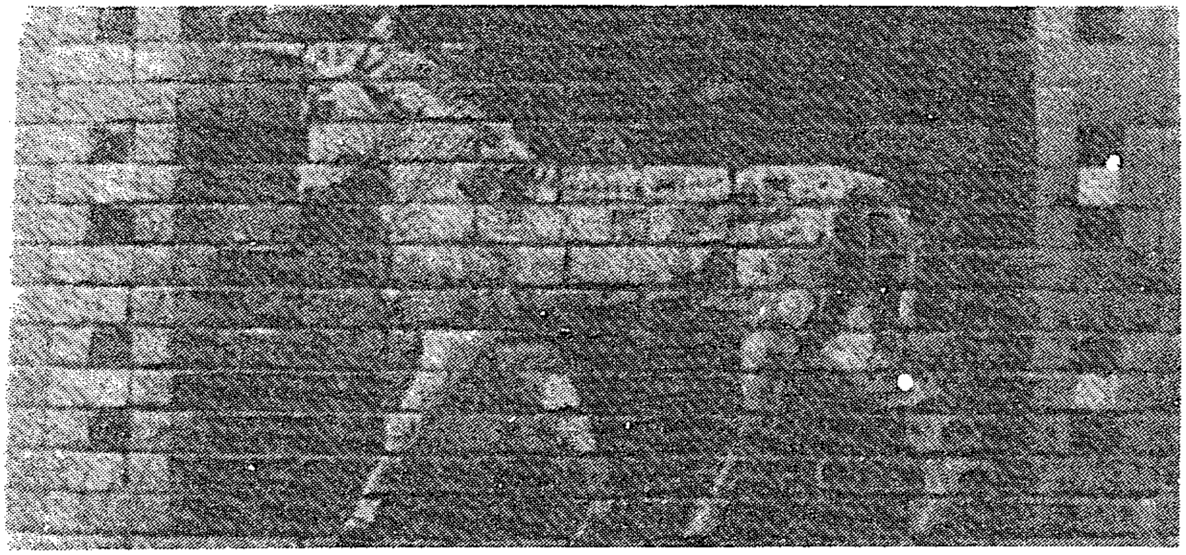
الشكل (٧أ)
رمز الاله اشور



الشكل (٧ب)
رمز الاله اهورامزدا (عن كرشمان)

في تناوب منتظم واحيانا تمثل بالتزجيج غير البارز وبأخرى في النحت البارز المزجج (١) نقل هذا العنصر بطريقة صناعته وباسلوبه الفني من قبل الاخمينين في سوسه وبرسيبوليس (الشكل ٨)، يذكر احد مؤرخي الفن (٢) أن المنحوتات الفارسية المنفذة على الآجر أخذت عن البابليين فالاسلوب الفني جاء بشكل

(١) سيتون لويد، «آثار بلاد الرافدين» (ترجمة سامي سعيد الاحمد، بغداد ١٩٨٠) ص ٢٦٧.
(٢) Stanley Casson, "Achaemend Sculpture" in pope, "A Survey of persian Art", II, p. 351.



الشكل (٨آ)
الحيوانات المزينة لبوابة عشتار منفذة على الآجر المزجج (عن سيتون لويد)



الشل (٨ب)
احد الحيوانات الخرافية المزينة لقصر برسيبوليس منفذه على الأجر المزجج (عن كرشمان)

مباشر من بابل اضافة إلى ان الكثير من العناصر الزخرفية فيه مثل أوراق اللوتس فوق افريز الاسود في سوسه كان عنصراً مصريا كما تبدو التأثيرات الاشورية وتفاصيل عضلات الارجل ، وقد نقل هذا الاسلوب الفني فيما بعد إلى الساسانيين . وحتى الالوان كانت بابلية إلى حد كبير والتي كانت مزيجا من الاصفر والاخضر والبني » .

أما نقل التزجيج على الفخار فيبدو ان الفرس لم يستطيعوا انجازه بالدقة التي كان عليها التزجيج على الاجر ، فالفخار المزيج لم يكن معروفا في الفن الاخميني وبدأ استخدام التزجيج على بعض القطع الفخارية في العصر الفرثي وكان ذا لون واحد واستمر كذلك دون أي تطوير في العصر الساساني فكانت الاواني الفخارية المزججة اما ذات لون ازرق او اخضر وهي النماذج التي سادت في القرن الاول الهجري ثم بدأ العرب بتطوير هذه الصناعة وايصالها إلى أبعد مراحلها حتى « كان من العسير ان ينسب على وجه التحديد اسلوبا خاصا او زخرفة بعينها إلى قطر من الاقطار نظرا لتشابه ما عثر عليه من انواع تلك المادة في كثير من اقطار الدولة الاسلامية » (١) وهذا يشير الى وجود اسس لوحدة هذا الفن أبعد بكثير من تأثيرات الفرس ان وجدت أو تأثيرات البيزنطين والهنود وغيرهم .

تلك بعض العناصر العربية التي ظهرت في الفنون الفارسية وهي ليست كل العناصر فهناك ايضا فكرة تشيد القصور على مساطب والشرفات الميزتان اللتين تميزان العمارة الاشورية اضافة إلى الكثير من التفاصيل المماثلة ، اما الفنون الزخرفية والتصوير فان لها حديث آخر تضيق به هذه الصفحات .

---

(١) ديماند ، « الفنون الاسلامية » ص ١١٤ .

مصادر البحث :

١ ـ اندريه بارو ، «بلاد أشور» (ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي) ، (بغداد ١٩٨٠)

٢ ـ اندرية بارو « سومر فنونها وحضارتها» (ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي) ، (بغداد١٣٠٠ه١).

٣ ـ الازرقي ، « ابو الوليد محمد بن عبدالله بن احمد » «اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار» . (القاهرة) .

٤ ـ توفيق احمد عبد الجواد ، «تاريخ العمارة والفنون في العصور الاولى » (ط٢ ، ١٩٧٠) .

٥ ـ حسن زكي محمد ، « الفنون الايرانية في العصر الاسلامي » (القاهرة ١٩٤٦) .

٦ ـ ديماند « الفنون الاسلامية».

٧ ـ سيتون لويد ، « آثار بلاد الرافدين » (ترجمة سامي سعيد الاحمد) (بغداد ١٩٨٠).

٨ ـ الشابشتي ، ابو الحسن علي بن محمد « الديارات» (تحقيق كوركيس عواد) ، (بغداد ١٩٦٦)

٩ ـ عبو ، عادل نجم « القباب العباسية في العراق» (رسالة ماجستير غير منشورة) (بغداد ١٩٦٧)

١٠ ـ عبو ، عادل نجم « الصيانة واساليب التسقيف في بوابة ادد الآشورية» سومر ، ٣١ (١٩٧٥).

صفحات من تاريخ عربستان الحديث

عبد التواب أحمد سعيد
مدرس مساعد

عبد الرحيم ذو النون
مدرس مساعد

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

تكتسب عربستان اليوم اهمية بارزة في الكفاح العربي الرامي إلى الانعتاق التام من الهيمنة الاجنبية وصولا إلى وحدة الفكر والهدف والمصير.

واذا كانت عربستان قد عاشت فترة طويلة نسبيا وهي امارة مستقلة رغم الضغوط الاجنبية عليها ومحاولات القوى العديدة انتزاع استقلالها وضرب سيادتها فانها شهدت صراع تلك القوى من اجل الاستحواذ على خيراتها وخيرات الخليج العربي بشكل عام، وهكذا فان مستقبل الامارة اصبح في بدء القرن العشرين بيد الدولة الاستعمارية الاولى انذاك وهي بريطانيا التي سعت إلى تقوية نفوذها والوقوف إلى جانب الفرس ضمانا لذلك النفوذ، فكان لزاما انتزاع استقلال عربستان بالحيلة والقوة وضم عربستان إلى بلاد فارس رغم ان الاختلاف بين عربستان وايران اختلاف في الجذور من كل ناحية .

واليوم فإن نضال شعب عربستان وصل إلى نقطة هامة جداً بفضل جند بطل التحرير القومي صدام حسين الذين يؤكدون عروبة الاقليم لابالقلم ولكن بالدم والبندقية، حيث يسمعون العالم كله بالرصاص صوت عربستان العربية .

اعتمد البحث على اهم المصادر المتوفرة، ولو توفرت الوثائق الخاصة بالموضوع لجاء البحث بصورة افضل، لذا يكون من المناسب تهيئة الوثائق الخاصة بتاريخنا العربي الحديث والمعاصر خدمة للبحث العلمي وصولا إلى ادق الحقائق .

اكتسب الخليج العربي اهمية خاصة عبر التاريخ لكونه ممراً هاما شهد تطوراً على مر السنين في كل المجالات وخاصة المجال الاقتصادي، ويشكل اقليم عربستان جزءاً هاما من ذلك الخليج .

ونظرة إلى جغرافية الاقليم ترينا انه يقع إلى الجنوب الشرقي من العراق ولاتفصله عنه حدود طبيعية كما هو حاصل بين الاقليم وايران وتبلغ مساحته اكثر من ٢٥ألف كيلو متر وسكانه اكثر من مليوني عربي ويشكل امتداداً [illegible] الرسوبي العراقي ويحوي انهاراً وجداول عدة لذلك فان الزراعة فيه متقدمة وادمها زراعة النخيل والرز والحبوب وغيرها (١).

ومن الناحية التاريخية فان الاقليم خضع للحكم الاسلامي اثناء حروب التحرير عام ٦٣٧م ولم تكن بينه وبين بلاد المسلمين الاخرى اية حدود ولذلك شكل جزءاً من وحدة سياسية ودينية تحت حكم الخلفاء المسلمين(٢)، لكن تلك الوحدة والقوة العربية لم تستمر نتيجة الانقسامات التي ادت إلى التفتت وبالتالي إلى قيام المغول باجتياح العالم الاسلامي واسقاط عاصمة العرب والمسلمين بغداد سنة ١٢٥٨م ودخول المنطقة في فترة مظلمة وقيام دويلات هنا وهناك مثل دولة الخروف الاسود التي اعترفت باستقلال عربستان والبصره وواسط وبحاكمها محمد بن فلاح العربي الذي بدأ حكمه في الربع الاول من القرن الخامس عشر واتخذ الحويزة عاصمة لدولته (٣).

واثناء حكم المشعشعين (الذي ينتمي لهم محمد بن فلاح) برزت ظاهرتان كان لهما اثر واضح على سياسة الدولة وهما :

١ ـ قيام الدولة الصفوية بزعامة الشاه اسماعيل في مستهل القرن السادس عشر.

(١) علي نعمة الحلو : الاحواز «عربستان» ج ١ ،ص ١٧ ومابعدها .

(٢) عبد المجيد اسماعيل : «عربستان عبر التاريخ» مجلة آفاق عربية العدد ٣ ـ ٤ سنة ١٩٨٠ ؛ ص ١٨٩ .

(٣) نفس المصدر السابق.

٢ ـ التغلغل البرتغالي في الخليج العربي ومحاولة فرض السيطرة الاجنبية على المنطقة.

وبالنظر لظهور القوتين في آن واحد فان تحالفاً غريباً قام بينهما ضد القوى العربية بهدف تحطيمها في الخليج العربي (١) مما حفز الدولة العثمانية على تغيير نهجها واحدث انقلابا في مشاريعها العسكرية حيث اوقفت توغلها في اوربا وبدأت صراعا دمويا طويلاً مع الدولة الصفوية المعتدية (٢) بينما استغل حكام عربستان ذلك الصراع للافادة منه في ترسيخ استقلالهم عن الطرفين .

وازدادت اهمية عربستان في القرن الثامن عشر اعوامل داخلية متمثلة بسيطرة قبيلة كعب العربية على الاقليم بعد قضاءها على دولة المشعشعين عام ١٧٢٤(٣) والتي لعبت دوراً في ميدان السياسة والتجارة وعوامل خارجية تمثلها المقاومة العربية في الخليج للنفوذ الهولندي والانكليزي والفرنسي الذي حل محل النفوذ البرتغالي (٤) .

وحدث تواطؤ فارسي مع النفوذ بريطاني على حساب المصالح العربية التي اصبحت اكثر فعالية من السابق ، ولم يكن للفرس حتى بداية القرن الثامن عشر اي دور في الخليج العربي لسببين هما :

١.خوفهم من ركوب البحر .

٢.الصراعات الداخلية التي شغلت حكام فارس عن التفكير في منطقةالخليج.

والبداية كانت اثناء حكم نادرشاه الذي امتاز بالطموح والغيرة واستعماله

---

(١) بدر الدين الخصوصي : النشاط الروسي في الخليج العربي ١٨٨٧ـ ١٩٠٧ / مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد ٨ لسنة ١٩٧٩ / ص ١١٢ .

(٢) الحدود الشرقية للوطن العربي : بحث الدكتور علاء نورس الصراع العثماني الفارسي واثره في العراق حتى اواخر القرن الثامن عشر ص ٤٧ .

(٣) تم ذلك بقيادة الامير فرج الله بن عبد الله بن ناصر .

(٤) قضى عرب عمان على نفوذ البرتغال وسيطروا على قلاعهم وحصونهم وزال وجودهم عام ١٥٦٢ انظر هادي لعيبة : الخليج العربي في الستراتجيات الاستعمارية والبريطانية خاصة ص ١٥ .

شتى الاساليب للوصول إلى غايتـه وهي السيطرة على العراق، الا انالمقاومة العنيفة التي لقيها من العراقيين افشلت نادر شاه في تحقيق الاهداف من حملته عام ١٧٣٢ ــ ١٧٣٣، مما جعله يفكر في تغير جبهة القتال فبدلا من العبور إلى العراق عبر قصر شيرين خانقين اخذ يهاجم البصرة عن طريق شطالعرب عام ١٧٣٥ والتي نتج عنها الفشل في تحقيق اهداف الفرس التوسعية في العراق (١).

على اي حال لم يكن لدولة فارس في عهد نادر شاه وزن كبير في الخليج العربي ، رغم الخدمات الي ابداها الانكليز له من خبرات واسلحة لكي يخلقوا منه قوة تنافس العربفي المنطقة ،واستغل هو والانكليز التطاحن الموجود بين الشيوخ العرب الساكنين على سواحل الخليج الشرقية والغربية، وبفضل ذلك استطاع نادر شاه احتلال البحرين عام ١٧٣٦ (٢).

وبعد مقتل نادر شاه عام ١٧٤٧ سادت الفوض بلاد فارس ومن خلالها توصل إلى الحكم كريم خان عام ١٧٥٧ الذي اعتمد علىعرب السواحل في فترة صراعه على السلطة ولايعني هذا تعاون العرب مع كريم خان بل العكس فقد اثاروا الكثير من المتاعب في وجهه من اجل الحفاظ على السيادة والكرامة العربية . وهناك ثلاث قوى عربية احتلت مكانها على الساحل الشرقي للخليج العربي هي.

١.عرب بو شهر ٢.عرب يندرق، شمال بو شهر ٣ . عرب بنوكعبسكان الدورق (٣).

واثناء حكمه طالب كريم خان من سكان عربستان دفع الضرائب،ولما رفضوا هاجمهم عام ١٧٥٧ لكنه اضطر الى الانسحاب بعد هزيمته،

(١) للمزيد انظر ، علاء نورس : نفس المصدر ص.ن ٥٥ — ٧١
(٢) احمد مصطفى ابو حاكه : تاريخ شرقي الجزيرة العربية . نشأة وتطور الكويت والبحرين ترجمة محمد عبدالله ص ١٢٠ .
(٣) أحمد مصطفى ابو حاكة : نفس المصدر السابق ص ١١١

والنتيجة الوحيدة التي اسفر عنها الهجوم هي انه اصبح اكثر تعطشا للبطش والعدوان (١).

ولم يكن الايرانيون وحدهم الذين طالبوا الدولة الكعبية بدفع الضريبة، فقد طالبت بها الدولة العثمانية ،الا ان الشيخ سلمان رفض دفع الضرائب، مما دفع الفرس والعثمانيين إلى التحالف لمحاربة بني كعب هذا ماحدث عام ١٧٦٥ اضافة إلى المساعدات التي قدمتها شركة الهند الشرقية إلى العدوين، واستمرت العمليات العسكرية إلى عام ١٧٦٦ استطاع رجال كعب صد المهاجمين، كما نجح الشيخ سلمان بدبلماسيته من تشتيت قوة الحلفاء. فتحالف مع كريم خان الذي ارسل إلى والي البصرة طالبا منه ايقاف العمليات الحربية، كانت هذه فرصة جيدة لوالي البصرة بالانسحاب من جراء الخسائر التي منيت بها قواته. ولم يبق سوى الانكليز الذين حاصروا كعب، واستمر الحصار سنتين دون ان يحقق الانكليز اي مكسب ، كانت خسائرهم تفوق فوائدهم ومنافعهم التجارية في المنطقة .(٢)

كانت هذه المعارك دليلا على قوة الكعبيين في عربستان مما اغاظ كلا من الانكليز والفرس اللذين اتبعا سياسة متشابهة في تعميق الخلاف بين القبائل العربية وبين المدن العربية (٣) وتقديم المساعدة لطرف ضد الاخر، وهذا ماحدث عندما ازدادت اهمية البصرة كمركز تجاري في الخليج ونقل الانكليز لنشاطهم التجاري من سواحل عربستان إلى البصرة، مما دفع بنو كعب إلى مقاومة تلك العملية، والتي استغلها كريم لتنفيذ خططه التوسعية بالاستيلاء على البصرة، وهذا ماحدث عام ١٧٧٥، ولن يعطي الاتفاق مع كريم خان دليلا على انه موقف سياسي خياني من جانب الكعبيين ،بل انه دليل على المنافسة التجارية من اجل الحفاظ على المصالح الاقتصادية لاقليم

---

(١) أحمد مصطفى أبو حاكة : نفس المصدر ص ١١٢ .

(٢) عبد الامير محمد امين : القوى البحرية في الخليج العربي ص ٤٣ —

(٣) عبد العزيز عبدالغني : بريطانيا و امارات الساحل العماني ص ١١٩ .

(٤) أحمد مصطفى أبو حاكة : نفس المصدر ص ١٢٢ — ١٢٨

عربستان. واعطت حرب ١٧٧٥ فرصة ذهبية لدولة العتوب في الكويت بجمع المزيد من الثروة باعتبار مناطقهم تجارية امينة، وهذا ماأثار بني كعب وأدى إلى نشوب حرب بين العثوب وبني كعب (١).

وعلى اثر الحرب الاهلية التي نشبت في بلاد فارس وصلت الاسرةالقاجارية إلى السلطة عام ١٧٩٥، ومارست أسلوب الذين سبقوها فيما يخص عربستان — محاولة السيطرة وجباية الضرائب — وكما فشل نادر شاه وكريم خان فشل محمود خان القاجاري وفتح علي ،وحلت الهزيمة بجيوش علي عام ١٨١٢و ١٨١٨على يد العربستانين (٢).

وفي اواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر اخذت فرنسا بالظهور كقوة جديدة منافسة لانكلترا في الخليج العربي، واحس شاهايران فتح على ان لفرنسا السيادة على اوربا بعد الثورة الفرنسية ،ليس هذا فحسب فالحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ كانت خطوة اولى للوصول إلى الخليج ومنه إلى الهند. لاجل هذا تخلى فتح على عن انكلترا وبدأ بمراسلة الفرنسيين، واعتبر نابليون بونابرت هذه خطوة البداية في تحقيق طموحه بتحطيمانكلترا في الشرق ،فاوفد وكيلين هما اميدى جوبير والكسندر رومير في بعثةإلى فارس، وبعد لقاءات تم التوقيع على معاهدة تحالف بين الطرفين في ٤مايس ١٨٠٧(٣). ورغم الاتفاق لم تحصل فرنسا بموجبه على امتيازات في إقليم عربستان ،لانه يحكم من امراء عرب مستقلين عن السيادة الايرانية (٤).

الا ان التحالف الفرنسي — الفارسي لم يدم لعاملين هما :—

١.لم تحقق فرنسا تعهدها بصد الخطر الروسي عن بلاد فارس.

---

(١) أحمد مصطفى أبو حاكة : نفس المصدر ص ١٢٠

(٢) عبدالمجيد اسماعيل : نفس المصدر ص ١٢٩

(٣) للمزيد انظر د. صالح العايد : موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ - ١٨١٠ ص ١٥١ — ١٦١

(٤) مصطفى عبدالقادر : التاريخ السياسي لامارة عربستان ص ١٢٤

٢.اتباع الانكليز سياسة الاغراء مع الشاه فتح علي ،لان حكام فارس يميلون للطرف الذي يدفع اكثر ،فارتبطوا معه باتفاق مقابل ١٧٠,٠٠٠ تومان لقاء بعض الامتيازات ،وفي عام ١٨٠٩ زادت الرشوة إلى ٢٠٠,٠٠٠ تومان مقابل الغاء جميع المعاهدات المضرة بالمصالح البريطانية والمعقودة مع دول أخرى(١).

ورغم هذا الصراع الاجنبي فعربستان بقيت محافظة على استقلالها وصدت كل محاولات النيل من سيادتها، واستمر امراؤها يسيطرون على مناطق نفوذهم وازدادت اهميتها اكثر بعد تشييد مدينة المحمرة عام ١٨١٢ والتي اصبحت منافسة لمدينة البصرة،مما دفع الدولة العثمانية إلى مهاجمة المحمرة عام ١٨٣٧ بقيادة علي رضا والي بغداد ، ونجح في حملته لانه استغل ضعف الكعبيين لانقسامهم في امارتين —امارة المحمرة بزعامة الحاج جابر بن مرداو وامارة الفلاحية بزعامة ثامر بن غضبان— وعلى اثر الحملة قصد الحاج جابر الكويت بعدها قدم ولاءه للدولة العثمانية فعاد إلى امارته في المحمرة. (٢) وفي خلال القرن التاسع عشر ازدادت تدخلات القوى الكبرى في منطقة الخليج العربي سعيا وراء النفوذ والاستحواذ على خيراته وادى صراعها من اجل السيادة الى تغير وتبدل الاوضاع التي كانت قائمة وبدأت سلسلة من التحالفات والاتفاقيات بين القوى المحلية وبعض الدول الكبرى الساعية لبسط نفوذها وهيمنتها ، ومن ذلك مثلا ازدياد علاقات بريطانية مع امراء ساحل الخليج العربي واخذت تعمل على السيطرة عليه بحجة منع القرصنة وضمان حماية التجارة المشروعة، اتصفت علاقات بريطانية بتلك الامارات بالتطور السريع(٣) .

من جانب آخر وعلى مقربة من الخليج قامت روسيا بالاستيلاء على اجزاء من فارس في وقت عملت فيه بريطانية على الدفاع عن الدولة العثمانية ضد روسيا وتوسعها ومن ذلك الدفاع عن العراق احد اقطار الخليج العربي(٤).

---

(١) د. مصطفى عبدالقادر : التاريخ السياسي لامارة عربستان ص ١٧٤ —١٧٥ .

(٢) علي نعمة الحلو : المحمرة مدينة وامارة عربية، وزارة الاعلام سلسلة اعرف وطنك ص ٥١ — ٥٢ .

(٣) جمال زكريا : الخليج العربي ص ١٢٦ .

(٤) جرانت وتمبرلي : اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين . ج ٢/ص ١٧ — ٣٠ .

وبينما كانت روسيا تنتهج سياسة توسعية في اوربا فانها وجدت من حكام الفرس تقبلا لسياستها التي استهدفت تشجيع الفرس على التوسع الاقليمي على حساب الدولة العثمانية العدو اللدود للروس والفرس ولكي تبعد الفرس عن التفكير باستعادة الممتلكات والاراضي التي اقتطعتها روسيا منهم وهي اجزاء واسعة من الاراضي الفارسية في الشمال فقد الفرس اي امل في اعادتها(١) .

وهكذا بدأ الفرس يستعدون للعدوان على العراق وقصدهم احتلاله غير انهم لم يتمكنوا من تحقيق غايتهم ومالبثوا ان عقدوا معاهدة مع الدولة العثمانية هي معاهدة ارضروم الاولى لعام ١٨٢٣ والتي لم تستطع حل المشاكل المعقدة بين الطرفين (٢).

وكانت هناك من الاسباب والعوامل مايدفع الفرس والعثمانيين إلى الصدام ومن ذلك استمرار الصراع على النفوذ بين روسيا التي تدعم الفرس وانكلترا التي تؤيد العثمانيين وترغب في مد نفوذها إلى كل منطقة الخليج ومنها عربستان، فقد قامت بريطانية بمد خطوط بخارية بحرية عبر الشرق العربي وإلى الخليج العربي فتوضحت اهمية المحمرة وشط العرب لمثل تلك المشاريع واصبحت المحمرة احدى ابرز واخطر المشاكل التي تثير الجانبين الفارسي والعثماني حيث قام الفرس باحتلالها عام ١٨٤٢ مما حفز الجانب العثماني على دخول الحرب ضد الفرس ومن ثم قيام روسيا وانكلترا بالضغط على الطرفين للوصول إلى تسوية سلمية تضمن مصالح الدولتين الكبيرتين ومن اجل ذلك تمت الدعوة لمؤتمر يعقد في ارضروم لمناقشة المشاكل القائمة بين الفرس والعثمانيين وبخاصة موضوع المحمرة وعشائر كعب وولائها.(٣)

ورغم وجود عوامل عديدة لتاجيج الصراع وتجديده باستمرار فان العامل الاقتصادي كان الاكثر تاثيرا فمثلا قدم المندوب الفارسي إلى المؤتمر الاخير

---

(١) عبدالعزيز نوار : العلاقات العراقية الايرانية ص٢٦ .

(٢) نوار : نفس المصدر وفيه نصوص المعاهدة ص ٢٦ — ٢٨ .

(٣) نوار : نفس المصدر ص ٢٩ — ٣٠.

مطالب بلاده وهي مطالب تتعلق بالتجارة وترويج المنتوجات الفارسية في الدولة العثمانية بحرية في وقت كانت فيه المصنوعات الاوربية قد سيطرت على السوق في الشرق مما تسبب في فقدان اقطار المشرق الكثير من الاموال اضافة الى سد السوق امام المنتجات الوطنية وهو ماحفز الفرس على العمل من اجل السيطرة على السوق التجاري في العراق ووضع اليد على الموانيء الهامة في رأس الخليج مثل المحمرة والسيطرة على عربستان لحماية مثل ذلك الميناء المهم (١) لها .

وفي المؤتمر الذي بدأ اعماله عام ١٨٤٣ وقف المندوب الروسي موقفا يتسم بالنفاق في تأييده للفرس ووقف المندوب الانكليزي موقفا يتسم بالدهاء حين طالب بعدم بحث الموضوع الاقتصادي ذلك ان مصالح بلاده الاقتصادية في المنطقة كانت على افضل وجه ومشاريعها التوسعية ماضية بشكل حثيث او كما عبر عن ذلك وزير خارجية بريطانية عام ١٨٣٨ حينما قال:

«ان مهمتنا في الخليج هي وضعه تحت سيطرتنا بعيدا عن نفوذ اية دولة اخرى تستطيع منازعتها هذه السيطرة» (٢).

وبعد مناقشات طويلة ومطالب عديدة من الاطراف المشاركة في المؤتمر مارست بريطانية ضغطا على الفرس والعثمانيين وتم عقد معاهدة ارضروم الثانية عام ١٨٤٧ والتي جعلت المحمرة ضمن النفوذ الفارسي ومعها جزيرة عبادان والاراضي الواقعة شرقي شط العرب (٣).

وعلى اثر عقد المعاهدة بدأت لجنة تمثل الدول الاربع اعمالها في المحمرة عام ١٨٥٠ وطالب العثمانيون من البداية برحيل الفرس عن المدينة الا ان المناقشات والخلافات استمرت (٤).

---

(١) للمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى كتاب الدكتور نوار نفس المصدر ص ١٠٧ —١١٣ .

(٢) جمال زكريا : نفس المصدر ص ١٢٨

(٣) نوار : نفس المصدر ص ١٢٠ — ١٣١ وفيه تفصيل كل البنود المعاهدة المذكورة .

(٤) الحدودالشرقية للوطن العربي / بحث للدكتور ياسين عبدالكريم بعنوان : اتفاقيات الحدود . الشرقية إلى نهاية القرن التاسع عشر . ص ٢٢٠ .

وخلال السنوات التالية حدثت تطورات كبيرة في اوربا واسيا اثرت على المنطقة العربية وخاصة في الخليج العربي ومنه عربستان فحدثت حرب القرم ١٨٥٣/ ١٨٥٤ والتي وقفت فيها انكلترا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا (١) التي اندحرت في الحرب ثم اصطدمت مصالحها مع مصالح بريطانية في الخليج حيث كانت روسيا تأمل في مد نفوذها اليه مستندة إلى التعاون الفارسي معها.

وفي عام ١٨٦٩ عقدت معاهدة جديدة تقرر بموجبها الحفاظ على الوضع الراهن على الحدود لكن النزاع على المحمرة استمر وظل العثمانيون يأملون في اعادة سيطرتهم ونفوذهم عليها واخذوا يعملون على تحصين المواقع قرب الفاو وقرب شط العرب بينما قام الفرس بتحصين المواقع في الجانب الشرقي منه بتشجيع من بريطانية (٢).

ولعل من المفيد الاشارة إلى أن تغيير السياسة البريطانية نحو بلاد فارس او الدولة العثمانية لم يكن نابعا الا من مصالح بريطانية تلك المصالح التي كانت توجه السياسة البريطانية في كل مكان من العالم حيث لم يكن لتلك البلاد اعداء دائمون واصدقاء دائمون تبعا لما هو معروف من انه « قلما تسلك السياسة الخارجية خطا مستقيما » (٣).

لقد استوجبت حسابات بريطانية الدقيقة لمصالحها الستراتيجية وعلاقاتها الاوربية المتشعبة تغيير مواقفها مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فالمانيا نمت باطراد بعد وحدتها عام ١٨٧١ واخذت تبحث عن مجال حيوي لها واماكن تستعمرها وتركيا في قلق سياسي كبير نجم عنه انقلاب عام ١٩٠٨ الذي جاء بضباط يميلون للنزعة الالمانية ويأملون في مساعدة المانية لهم حيث وجدت الاخيرة في الدولة العثمانية والعراق خير مجال لها لمنافسة البريطانيين فعملت على

---

(١) فشر / تاريخ اوربا الحديث ص ٢٢١ ومابعدها.

(٢) ياسين عبدالكريم : نفس المصدر ص ٢٢٢.

(٣) تايلر : الصراع على السيادة في اوربا ص ٥٤٥.

مد خط سكة حديد من برلين إلى بغداد مما أدى إلى تعاون فرنسا مع البريطانيين ضد المانيا في نفس الوقت الذي كانت فيه انكلترا تعمل على الحد من النفوذ الروسي وتوسعه نحو العراق والخليج العربي (١) .

وبعد انقلاب ١٩٠٨ وجدت تركيا نفسها في ظروف بالغة الدقة ومنها الحرب في البلقان والتوسع الايطالي الاستعماري في ليبيا لذلك حبذ رجالها تسوية مشاكلهم مع بريطانيا سلميا والتنازل عن امتيازات محسوسة لها وخاصة في الخليج العربي رغم تحمس ولاة بغداد الاتراك لتدعيم السيطرة العثمانية في الخليج لا التنازل ورغم ممانعة المانية في مثل ذلك التنازل وهكذا جاءت اتفاقيات القسطنطينية لعام١٩١٣بمثابة تسليم مطلق من الدولة العثمانية بمصالح بريطانية في المنطقة(٢).

وكان من جملة ما فعلته بريطانية انها اتجهت نحو تأييد شيخ المحمرة ضد السيطرة العثمانية وثبتت سلطتها الاستعمارية في امارات الخليج العربي ووقفت ضد العثمانيين نظراً لما لمسته من امكانية قيام تعاون وثيق بين العثمانيين وبين الالمان بما يهدد اغلب مصالحها في المنطقة خاصة وان النفط كان قد ظهر فيها وشكل عصب الحياة الاقتصادية لانه اصبح المصدر الهام للطاقة وتشغيل آلة الصناعة سلما وحربا .

وقبل التعرف إلى فعل الانكليز في المنطقة خلال الحرب لابد من التنويه إلى حقيقة هامة وهي ان الحركة العربية في العراق وعربستانو الخليج العربي شهدت تطوراً هاما خلال تلك الفترة فسارت بقوة ونشاط وعجز الاتحاديون الاتراك عن مقاومتها ومقاومة تأثيرها في نفوس العرب حيث وجدت دعما من شيوخهم في المحمرة والكويت وشخصيات سياسية وقد قرر هؤلاء الاتفاق على التحالف وتنسيق سياساتهم الا أن الاتفاق لم يود إلى نضج فكرة قيام امارة عربية في راس الخليج كانت ستصبح اغنى قطر عربي (٣) .

---

(١) نوار : اوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العلمية الثانية ص ٣٥٢ — ٣٥٩ .

(٢) جمال زكريا نفس المصدر ص ٣٣١ — ٣٤٠ وقد وافقت بريطانية في نفس العام على السيادة الاسمية للعثمانين على شط العرب .

(٣) مصطفى النجار . التاريخ السياسي لامارة عربستان من ص ١٤٠ — ١٤١ .

على أي حال فأن قيام الحرب ادى إلى ظهور معطيات جديدة فقد قررت بريطانية غزو العراق بعد ان وقف الاتراك مع الالمان ضد الانكليز في الحرب وفي سبيل تحقيق اهدافها عمدت بريطانية إلى استمالة شيوخ الامارات المحلية إلى جانبها لتأمين طرق مواصلاتها إلى الهند عبر الخليج وخشيت من قيام الاتراك العثمانيين بعمل حربي في عربستان يحرم الانكليز من النفط ويهدد نفوذهم لذلك أصبح الدفاع عن النفط بابارة ومنشآته في عربستان عامة وعبادان خاصة اصبح امراً في غاية الأهمية لذلك هيأت السبل الكفيلة لحماية مصالحها النفطية هناك وخططت لعملية عسكرية واسعة ودقيقة استهدفت تحقيق ذلك الغرض وهو حماية النفط ومنشآته (١)، وارسلت سفنا حربية إلى المحمرة وعبادان لتحقيق الهدف ثم توجهت قوة بحرية كبيرة بقيادة الجنرال ديلامين إلى جزيرة عبادان لحماية مصافيها واحواضها الكبيرة وانابيب النفط ولطمأنة العرب بان بريطانية ستقف معهم ضد الوجود العثماني مما حدوث تأثير معنوي لدى العرب وقيام عشائرهم القاطنة على ضفتي الشط (شط العرب) بتقديم المساعدة للانكليز (٢).

وكان شيخ المحمرة احد ابرز الشيوخ الذين ساهموا وبشكل واضح في تقديم العون للانكليز في جميع مراحل الاحتلال فوضع ممتلكاته واتباعه في امرة جيوش الاحتلال وقام بذلك املا في الوعود التي اعطتها له بريطانية (كما فعلت مع الحسين في الحجاز) بمنحه مناطق يضمها الى امارته ومده بالمساعدة اللازمة اذا تجاوزت الحكومة الفارسية على حدود اختصاصه او على امواله (٣).

وليس مستغربا ان تنقض بريطانية وعودها للشيخ خزعل فهي ايدته عندما وجدت فيه خير ضامن لمصالحها الا انها لم تكن تشعر بالخجل عندما تتخلص

---

(١) كانت مصافي عبادان كبيرة جدا و قبل الحرب العراقية الايرانية في العام الماضي كانت تعتبر من مصافي النفط العملاقة في العالم حيث كان انتاجها يزيد على ٦٠٠ الف برميل يوميا .

(٢) ولسن : بلاد مابين النهرين بين ولائين ج ١/ص ٢٩ وما بعدها . انظر ايضا الفصل الخاص بالاحتلال البريطاني للعراق في كتاب : Longrigg: Iraq 1900: 1950
وكذلك ماورد في كتاب : Iran and Iraq. Astudy inpolitical Development

من اتفاقياتها وعهودها ووعودها كما فعلت مع الحسين بن علي ومع العرب عامة ولذلك نراها تؤيد فيما بعد الشاه في ضربه للشيخ خزعل وضرب استقلال امارة عربستان في عام ١٩٢٥ .

على أي حال فان العرب القاطنين في المنطقة لم يكونوا جميعا مؤيدين للانكليز كما فعل الشيخ خزعل اذ ان عدداً غير يسير منهم وقف ضدهم وأيد العثمانيين المسلحين واستطاع فريق من الثوار العرب نسف انابيب النفط في مسجد سليمان مما اوقف ضخ النفط في عبادان واستوجب اتخاذ تدابير واسعة لصيانة الانابيب وحمايتها (١) .

وبعد ان نجحت بريطانية ي مسعاها العسكري استمرت في تقدمها باتجاه العراق الجنوبي وصولا إلى بغداد ولكن عربستان ظلت مصدراً هاما من مصادر القلق بالنسبة للعرب والفرس والانكليز وهنا لابد من ملاحظة ان الكتاب الانكليز خاصة لايستخدمون الا الاسماء العربية لمدن وعشائر عربستان وفي ذلك دليل قوي على عروبة المنطقة التي يدافع عنها اليوم ابناء العراق من القوات المسلحة فعلى سبيل المثال يستخدم ارنولدويلسن وكيل الحاكم البريطاني العام في العراق بعد الاحتلال اسماء المحمرة والحويزة والفلاحية والخفاجية والبسيتين (٢)، ولم تتحول المحمرة إلى خرمشهر والخفاجية إلى سوزنكرد إلا بعد ماقام الفرس بعملهم الغادر حينما احتلوا عربستان وضموا الأقليم إلى بلادهم بالقوة الغاشمة ثم عملوا على طمس المعالم العربية باستخدام أساليب شتى لتحقيق هدفهم ومن ذلك تغيير الأسماء العربية وبقاء العرب أميين وتشغيلهم في العمل الرديء وإهانتهم وإخضاعهم وفرض سياسة الأمر الواقع عليهم لكن ذلك كله لم يمنع العرب من الحنين إلى أمجادهم وإستقلالهم ووحدتهم مع أشقائهم فثاروا ضد الفرس وكانت أولى ثوراتهم هي ثورة الغلمان عام ١٩٢٥ والتي قادها (شلش) و (سلطان) واجبرت عدداً من

(١) النجار : نفس المصدر ص ١٤٩ — ١٥٠ .

(٢) ويلسن : نفس المصدر ص ٢٩ وما بعدها.

القوات الفارسية على ترك المحمرة هرباً وعلى أثر ذلك تدخل المقيم السياسي البريطاني المعتمد في الخليج لمنع الثوار من اللجوء إلى الكويت كما أرسلت بريطانية قوة بحرية من البصرة لقصف المحمرة وهكذا أخمدت الثورة (١).

وفي عام ١٩٢٨ قاد الشيخ محي الدين الزئبق ثورة في الحويزة سميت ثورة نزع السلاح نظراً إلى أن الفرس كانوا قد طلبوا من أهالي عربستان نزع سلاحهم واستبدال الزي العربي بالزي الفارسي إلا أن الثورة أخمدت بعدما جابهت القسوة الفارسية (٢) .

وكان للأنكليز دور واضح في إفشال الثورتين من خلال ما قدموه إلى الفرس من مساعدة ومشورة مع علمهم بوجود حالة من عدم الرضى لدى السكان العرب عبر عنها القنصل البريطاني في المحمرة في تقرير رفعه للسفير البريطاني في طهران عام ١٩٢٩ (٣).

وبعد ذلك بأعوام وبالتحديد في عام ١٩٤٠ ثارت قبيلة كعب الدبيس في المحمرة بقيادة الشيخ حيدر بن طلال وشاركت فيها معظم القبائل العربية ولم تتمكن القوات الفارسية من الثوار إلا بالخدعة ثم ألقت القبض على الشيخ حيدر وأنصاره وأعدمتهم (٤) .

وفي عام ١٩٤٣ تحركت بعض القبائل العربية بقيادة جاسب بن الشيخ خزعل إلا أنه تراجع بعدما خذلته القبائل واعقب ذلك ثورة أخرى أواخر الحرب الثانية فشلت أيضاً (٥).

وبعد الحرب بعام قامت ثورتان أخريتان في عربستان الأولى في منطقة الفيلة والثانية في عبادان لكنهما فشلتا أيضاً (٦) لتعقبها ثورة الشيخ العاصي

(١) علي نعمة الحلو : الاحواز ثوراتها وتنظيماتها ج ٥ ص ١٢ .
(٢) علي نعمة لحلو : المصدر السابق نفسه ص ١٤ .
(٣) ابراهم خلف : الاحواز ارض عربية سليبة ص ٦٥ .
(٤) ابرهيم خلف : المصدر السابق ص ٦٥ — ٦٦ .
(٥) الجبهة الشعبية لتحرير الاحواز : الاحواز قطر عربي سليب ص ٢٠ .
(٦) ابراهيم خلف : المصدر السابق ص ٦٦ — ٦٧ .

عام ١٩٤٩ في البسيتين والخفاجية حيث فشلت بسبب خيانة بعض العشائر بتعاونها مع الفرس . (١)

وإلى جانب الثورات مارس أبناء عربستان نشاطاً سياسياً كشفوا فيه واقع النظام الفارسي العنصري من خلال المذكرات الي قدموها للهيئات الدولية والمؤتمرات الشعبية الي عقدوها في أقليمهم لدراسة أوضاعهم (٢).

وكان من جملة الأنشطة العربية قيام ابن الشيخ خزعل بالسفر إلى أمريكا لعرض قضية بلاده على الأمم المتحدة خصوصاً بعدما توضحت أهمية بلاده السّتراتيجية خلال الحرب وتقديم الحلفاء وعوداً بتحقيق الإستقلال لعربستان إلا أنه أغتيل في لندن (٣) .

وخلال العمل السياسي لأبناء عربستان تم تشكيل حزب باسم حزب السعادة عام ١٩٤٦ من قبل الشباب المثقف هادفاً الى تحقيق الحكم الذاتي وظل نشاط الحزب قائماً حتى اعدم أمينه العام حسين فاطمي بعد فشل حركة مصدق (٤) .

لقد كان وراء الفشل الذي اصاب أبناء عربستان في ثوراتهم عوامل عديدة منها أن تلك الثورات كانت محلية ومحدودة علاوة على افتقارها للزعيم والتنظيم وخيانة بعض المشاركين فيها وعدم وجود دعم عربي مادي أو معنوي وما نجم عنه من تجاهل الجامعة العربية لقضية عربستان (٥) .

وفي عام ١٩٥٦ تبلور العمل الكفاحي لأبناء عربستان بمولد جبهة تحرير عربستان التي أكدت في مبادئها على ضرورة قيام ثورة شاملة لتحرير الأقليم وقيام تنظيم جماهيري واضح الأهداف يتقبله أبناء الأقليم إلى جانب العمل على مواجهة السلبيات الي اعاقت العمل الثوري (٦).

(١) علي نعمة الحلو : المصدر السابق ص ٤٦ — ٤٧ .
(٢) الحلو : المصدر السابق ايضا ص ٤٨ — ٥٠ .
(٣) الجبهة الشعبية : المصدر السابق ص ٢٣ .
(٤) ابراهيم خلف : المصدر السابق ص ٦٩ .
(٥) ابراهيم خلف : المصدر السابق ايضا ص ٦٩ — ٧٠ .
(٦) ابراهيم خلف : المصدر نفسه ص ٧٠ — ٧١.

وفي عام ١٩٥٩ تأسس تشكيل جديد بأسم اللجنة القومية العليا وأخذ النشاط السياسي للعرب يشتد بعد قيام ثورة شباط ١٩٦٣ بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي الذي ساند نضال شعب عربستان (١) .

لقد جاء الإسناد البعثي لأن مبادىء البعث تدعوا إلى تحرير وتوحيد كل الأجزاء العربية السليبة وغيرها تلك المبادىء التي يعمل اليوم جند البطل القومي صدام حسين على تجسيدها .

وعودة الى جبهة تحرير عربستان ترينا أنها نشطت سياسياً وعسكرياً من أجل إعادة عروبة الأقليم واستقلاله فتقدمت بمذكرة لمؤتمر اتحاد المعلمين العرب المنعقد في الاسكندرية سنة ١٩٦٠ تطلب فيها متابعة حركات التحرر في الوطن العربي وتدريسها للطلبة لما لقطاع التعليم من أهمية بارزة في نشر التوعية القومية (٢) .

وفي عام ١٩٦٧ قدمت مذكرة أخرى لاتحاد المحامين العرب طالبت فيها الأقطار العربية بالاعتراف بها ورعايتها وقبول الهويات الخاصة بأعضاء الجبهة والموافقة العربية على فتح مكاتب سياسية للجبهة وفتح المجال أمام الطلاب الدارسين من أبناء عربستان في الأقطار العربية وضم خارطة الأقليم إلى الوطن العربي ودعوة أقطار الخليج العربي إلى معاملة أبناء الأقليم معاملة خاصة وأخيراً دعوة حركات التحرر في الخليج العربي إلى التجمع في مكتب سياسي أعلى يأخذ على عاتقه وحدة التخطيط والتنفيذ لضمان وحدة الكفاح(٣).

وقد انتهى مؤتمر المحامين العرب إلى أتخاذ قرارات كان منها التأكيد على عروبة أقليم عربستان والمطالبة بقيام الأقطار العربية بتقديم الدعم اللازم لأبناء الأقليم واستنكر حملات الابادة الفارسية ضدهم وطالب المنظمات العربية كافة تبني قضيتهم كما ناشد إدارات التربية والتعليم ضم الأقليم إلى

---

(١) الجبهة الشعبية ، نفس المصدر ص ٢٤ .

(٢) علي نعمة الحلو ، نفس المصدر السابق ج ٥ ،ص ١٢٢ .

(٣) علي نعمة الحلو : المصدر السابق نفسه ج ٦ ،عمل الجماهير العربية ونضالها،ص ١٠ –١٨.

خارطة الوطن العربي ومضاعفة الجهود العربية والدولية من أجل قضية عربستان وغيرها من الأجزاء العربية السليبة (١) .

وعندما انعقد مؤتمر للأدباء العرب في بغداد عام ١٩٦٩ أرسلت الجبهة مذكرة إليه أشارت فيها إلى الوضع السيء للعرب في عربستان وسياسة الشاه العنصرية ضد أبناء الأقليم والدور الخطير الذي يلعبه الشاه مع أمريكا والكيان الصهيوني لتهديد أمن الخليج (٢) .

وفي عام ١٩٧٢ انعقد مؤتمر أتحاد الصحفيين العرب في بغداد فتقدمت الجبهة بعدة مقترحات تضمنت ضرورة دعم الثورة المسلحة في الخليج العربي وعربستان وطالبت الأقطار العربية القريبة من الأقليم بأن تبادر إلى فسح المجال أمام أعضاء الجبهة ليعملوا بحرية (٣) .

وأعقب ذلك مؤتمر آخر للمحامين العرب في بغداد انعقد عام ١٩٧٤ واستنكرت الجبهة اعتداءآت النظام الفارسي على العراق وأكدت على أن ضمان عروبة الخليج لايتم إلا بالقوة العسكرية التي تردع العدو وتحمي المنطقة من أي طامع (٤) .

وإذا كانت الجبهة قد قدمت أنشطتها تلك فإنه كان إلى جانبها قوى أخرى عملت من أجل تحرير الأقليم وكان لها دورها في الكفاح الوطني والقومي نذكر منها :

١ ـ الجبهة القومية لتحرير عربستان والخليج العربي وقد تشكلت في عام ١٩٦٠ في الخفاجية واكدت على ان عربستان جزء من العراق وطالبت بالمساعدة من الحكومة العراقية ١٩٦١ الا انها لم تتلق شيئا وغيرت اسمها إلى الجيش الشعبي العربستاني (٥) .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨ – ٢٠ .
(٢) ابراهيم خلف : الاحواز ارض عربية سليبة ص ٧٩ .
(٣) خلف : المصدر السابق ص ٧٩ – ٨٠ .
(٤) خلف : المصدر السابق ايضا ص ٨٠ .
(٥) ابراهيم خلف : المصدر السابق ص ٩٠ .

٢ — الجبهة القومية لتحرير عربستان وقد بدأ نشاطها عام ١٩٦٧ في المحمرة وكان لها مكاتب في الكويت والبصرة وطالبت في عدة بيانات لها بتوحيد القوى المناضلة الثائرة لان النضال القومي اصبح كما قالت قضية اساسية يفرضها المنطق الثوري لمواجهة التحديات التي تواجه الثورة العربية (١).

٣ — الحركة الثورية لتحرير عربستان وقد قامت عام ١٩٦٧ واصدرت ثلاثة اعداد في نشرتها اصداء الثورة دعت فيها إلى الكفاح في اسقاط حكم المستعمر (٢)

٤ — جبهة تحرير عربستان (نصر) وتشكلت اثر حرب حزيران ١٩٦٧ من قبل عناصر شابة من البصرة وعربستان وبعد اجتماعات عدة توصل الشباب الثوري إلى صيغة عمل تقوم على اساس تشكيل تنظيم ثوري يدعى جبهة تحرير عربستان تضع على عاتقها مهمة قيادة الجماهير من اجل التحرر والوحدة وتصدر نشرة تمثل وجهة نظر الجبهة مع ميثاق تناول مختلف الشؤون الداخلية والعربية والدولية (٣).

٥ — جبهة التحرير الاحوازية وقد تشكلت عام ١٩٦٨ وهي تؤمن بالوحدة العربية والنضال المسلح حتى النصر وقد اصدرت عدة بيانات اثناء افتعال ايران لازمة شط العرب مع العراق عام ١٩٦٩ وغيرت اسمها إلى الجبهة الشعبية لتحرير عربستان منذ حزيران ١٩٦٩ ذلك العام الذي شهد احداثا كبيرة في الاقليم حيث انتشرت فيه ثورة عارمة ضد نظام الشاه وايدت الثورة مواقف العراق وحكومته ورافق الثورة اعمال الارهاب والاعدام بحق مناضلي شعبنا في عربستان (٤).

ان ما استطاع ابناء عربستان فعله هو كشفهم لهوية النظام الفاسد في ايران وفضح اساليبه العنصرية في معاملة الشعب العربي الاعزل وسبقه للكيان الصهيوني

---

(١) علي نعمة الحلو : المصدر السابق ج ٦، ص ٢٨—٣٥.

(٢) الحلو : المصدر نفسه ص ٤٨— ٤٩ .

(٣) الحلو : المصدر السابق ج ٦، ص ٥٢ — ٥٦ .

(٤) الحلو : نفس المصدر ايضا ص ٦٠ .

في معاملاته السيئة للعرب مما يظهر وجود عناصر من الإتفاق بين النظامين المتمصريين في طهران وتل أبيب بهدف اضعاف الوجود العربي وضرب حركة الثورة العربية الناهضة ، وقد سار النظام الجديد في ايران على نهج النظام السابق في تعسفه مع العرب .

والعراق اليوم رائد الثورة العربية وبفضل قائده بطل التحرير القومي الرئيس صدام حسين قدم ويقدم مساعداته ومؤازرته لأبناء عربستان يعلمهم في المدارس ويشد من أزرهم مادياً وأدبياً لإيصالهم إلى نيل حقوقهم القومية حتى جاءت الحرب العدوانية التي شنها النظام الجاهل في ايران ضد العراق لتعزز الاهتمام العسكري والسياسي بالأقليم املاً في تحريره لاطمعاً في نفطه لأن الدم العربي المسفوح على أرضه أغلى من جميع المعادن مهما غلت .

وبدأ أمل كبير لشعب عربستان بالتحرر يلوح لهم واضحاً جلياً فراحوا يعلنون تأييدهم لخطوات العراق نحو التحرير بالحرب وقامت مظاهرات تؤيد قرار العراق بالغاء اتفاقية آذار كما أعلن ذلك السيد الرئيس صدام حسين يوم ١٧ أيلول ١٩٨٠ (١) .

وفي بيروت وزع بيان بعد صدور القرار التاريخي باسم ثوار عربستان يدعو لرفع راية التحرير لأن عهد الغرور الفارسي في عربستان قد انتهى (٢).

وأخيراً جاء قرار القائد بشأن عربستان حينما قال «على شعبنا العربي في عربستان أن يتهيأ لممارسة دوره الوطني والقومي وممارسة حقوقه الوطنية والقومية المشروعة لشعب له خصائصه المعروفة في التاريخ وفي التكوين القومي والوطني الحاضر » (٣) .

ولسوف تتحرر الأرض العربية السليبة في الأحواز والمحمرة وعبادان وديسبول لتعود عربية كما كانت عبر العصور .

---

(١) جريدة الجمهورية : العدد ٤٠٣٩ في ١٩٨٠/٩/٢٢

(٢) جريدة الجمهورية : العدد ٤٠٤١ في ١٩٨٠/٩/٢٤

(٣) جريدة الثورة : العدد ٣٩٤٤ في ١٩٨١/٣/١٥

« المصادر »

أولا : الكتب العربية

١ ـ الأحواز :أرض عربية سليبة
دكتور ابراهيم خلف / بغداد ١٩٨٠
٢ ـ الأحواز : ثوراتها وتنظيماتها ١٩١٤ ـ ١٩٦٦ / علي نعمة الحاو
الاجزاء ١ / ٥ / ٦ بغداد ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠
٣ ـ الأحواز : قطر عربي سليب
الجبهة الشعبية لتحرير الأحواز / مكتب النشر والاعلام ١٩٦٣
٤ ـ أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين
جرانت وتمبرلي / ترجمة محمد أبو درة ولويس أسكندر
ج ٢ / مؤسسة سجل العرب / القاهرة ١٩٦٧.
٥ ـ بريطانية وإمارات الساحل العماني
عبد العزيز عبد الغني / منشورات مركز دراسات الخليج العربي ١٩٧٨ .
٦ ـ بلاد مابين النهرين بين ولائين
آرنولد ولسن / ترجمة فؤاد جميل .
ج١ / ط١ / دار الجمهورية ـ بغداد / ١٩٦٩
٧ ـ تاريخ أوربا في العصر الحديث .
هربرت فشر / ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ط٧ / دار المعارف بمصر .
٨ ـ تاريخ شرقي الجزيرة العربية / نشأة وتطور الكويت والبحرين
أحمد مصطفى أبو حاكمة / ترجمة محمد أمين عبدالله
بيروت / د.ت.

٩ — التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ١٨٩٧ — ١٩٢٥
دكتور مصطفى النجار / دار المعارف بمصر .
١٠ — تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا دكتور عبد العزيز نوار / دار الكتب القاهرة ١٩٦٨ .
١١ — التاريخ المعاصر / أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية
دكتور عبد العزيز نوار ودكتور عبد المجيد نعنعي
بيروت ١٩٧
١٢ — الحدود الشرقية للوطن العربي / دراسة تاريخية
دكتور نزار الحديثي وآخرون / دار الحرية /
بغداد ١٩٨١
١٣ — الخليج العربي / دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ —
دكتور جمال زكريا قاسم / دار البحوث العلمية
الكويت ط٢ / ١٩٧٤
١٤ — الخليج العربي في الستراتيجيات الإستعمارية البريطانية خليل هادي طعمة / وزارة الاعلام / بغداد ١٩٧١
١٥ — الصراع على السيادة في أوربا
تايلر / ترجمة دكتور يوئيل يوسف ودكتور كاظم هاشم
مؤسسة دار الكتب / الموصل ١٩٨٠ .
١٦ — العلاقات العراقية الإيرانية / دراسة في دبلوماسية المؤتمرات مؤتمر أرضروم ١٨٤٣ — ١٨٤٤ /
دكتور عبد العزيز نوار / دار الفكر العربي بالقاهرة
١٩٧٤
١٧ — القوى البحرية في الخليج العربي في القرن ١٨
دكتور عبد الأمير محمد أمين / بغداد ١٩٦٦
١٨ — المحمرة : مدينة وامارة عربية
علي نعمة الحلو / وزارة الإعلام / بغداد ١٩٢٠.

١٩ — موقف بريطانية من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ — ١٨١٠
دكتور صالح العايد / بغداد ١٩٧٨

ثانيا : الكتب الاجنبية

Ireland: P.W: Iraq, Astudy in political Development, London 1937

Longrigg: S.H. Iraq 1900-1950 London 1953

ثالثا : المجلات والصحف

أ — آفاق عربية العددان ٣ — ٤ السنة السادسة ٪ ١٩٨٠

المقالات :

الأحواز — الأغتصاب — النضال — التحرير
دكتور محمد مظفر الأدهمي

عربستان عبر التاريخ
عبد المجيد اسماعيل

عربستان وسياسة التفريس
دكتور ابراهيم خلف .

ب — دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد ٨ السنة الخامسة ١٩٧٩

مقال :

النشاط الروسي في الخليج العربي ١٨٨٧ — ١٩٠٧
دكتور — بدر الدين الخصوصي .

جـ — جريدة الثورة — العدد ٣٩٤٤ في ١٥ / ٣ / ١٩٨١ .

جريدة الجمهورية الاعداد ٤٠٣٩ ، ٤٠٤١ في أيلول ١٩٨٠.

بلاد عيلام وعلاقتها بالعراق القديم

الدكتور عامر سليمان
استاذ

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

ان الحديث عن بلاد عيلام وعن السلالات التي تعاقبت على الحكم فيها هو جزء من ونموذج للحديث عن تاريخ ايران بصورة عامة وعلاقته بتاريخ العراق القديم . وقد امدتنا النصوص المسمارية الكثيرة المكتشفة في بلاد عيلام وفي مدن العراق القديمة بمعلومات وافية ومفصلة عن سير وتطور الاحداث التاريخية في المنطقة وعن اسبابها ونتائجها. وتشير هذه النصوص إلى المحاولات المتكررة التي قام بها حكام وملوك عيلام والدول والممالك الفارسية التي اعقبتها في السيطرة على ايران للسيطرة على العراق ولاسيما على قسمه الجنوبي والوسطي الذي كان يعرف حينئذ ببلاد سومر وأكد ومن ثم عرف ببلاد بابل .

ففي بلاد بابل نشأت ونمت وازدهرت احدى اعرق الحضارات الاصيلة المعروفة وذلك منذ الالف الخامس قبل الميلاد واستمرت تلك الحضارة المزدهرة بعطائها السخي ترفد الحضارات الانسانية ولاسيما حضارات البلدان والاقاليم المجاورة كحضارة بلاد عيلام. ومع ذلك ، كانت المراكز الحضارية التي ازدهرت في بلاد بابل بما لديها من ثروات طبيعية ومقومات حضارية ونشاط انساني متميز نحو التطور والتقدم قياسا مع الاقاليم والبلدان المجاورة ، مطمح انظار الدول والممالك التي قامت في تلك الاقاليم بما فيها المنطقة الجبلية .

وان استعراض سريع لتطور الاحداث التاريخية والسياسية والعسكرية منذ مطلع الالف الثالث قبل الميلاد فصاعدا يوضح بكل جلاء ان العراق ، وعلى الاخص قسمه الجنوبي والوسطي ، قد تعرض وعلى مر العصور إلى غزو واعتداءات ومحاولات التخريب التي قامت بها الدول والممالك المختلفة التي تعاقبت على الحكم في الاقاليم الواقعة إلى الشرق منه متى كانت الفرصة مواتية ومتى شعرت تلك الدول والممالك بأن بلاد بابل او آشور منشغلة عنها بالدفاع عن حدودها واراضيها في الجبهات الاخرى. ولاسيما الجبهة الغربية ، او ان الظروف السياسية والعسكرية في العراق تمكنها من التدخل في شؤونه الداخلية وتحريض العناصر المناوئة فيه للسلطة المركزية من خلال تقديم الدعم

المادي والعسكري لها لتمكينها من التمرد ضد السلطة وبالتالي السيطرة عليها وعلى الحكم في العراق.

ولقد تصدى العراق وبكل حزم لمثل هذه المحاولات المتكررة وكال الصاع صاعين مرات كثيرة وقضى على السلالة الحاكمة في عيلام نهائيا، ومع ذلك وقع العراق في فترات ضعفه واضطراب الاوضاع السياسية والعسكرية فيه ضحية الاعتداءات الاجنبية وبشكل خاص اعتداءات الاقوام الايرانية الفارسية .

وكانت اولى محاولات الغزو والاعتداء على العراق في عهد السلالات الحاكمة في بلاد عيلام منذ الالف الثالث قبل الميلاد والتي ستتطرق اليها في هذا البحث الموجز . وتتابع من بعد ذلك على غزو بلاد بابل كل من قبائل اللولوبو والاقوام الكوتية والاقوام الكاشية وهي من القبائل التي جاءت من الشرق واتخذت من المنطقة الجبلية المحاذية للعراق مستقرا لها، وكل منها تمكن من بلاد بابل او من جزء من حدودها لفترة معينة ثم مالبثوا ان اخرجوا منها وبالقوة ثم اعقب ذلك غزو الاقوام الفارسية الاخمينية والفرثية للعراق واخيراً كان دور الساسانيين الذين تم القضاء عليهم والتخلص من نفوذهم في معركة القادسية ابان التحرير العربي الاسلامي لارض العراق . ان هذه الحقائق التاريخية تشير بكل وضوح إلى ان العدوان الفارسي الجديد على ارض ومياه العراق الذي هو عدوان موجه ضد الامة العربية جمعاء ليس وليد سنة او بضع سنوات بل انه حلقة اخرى من حلقات الاعتداءات الفارسية على العراق الذي تمتد جذوره إلى ابعد العصور التاريخية المعروفة لدينا والتي سبقت التحرير العربي الاسلامي للمنطقة بمئات عديدة من السنين .

كما ان تصدى العراق الحازم والقوى لمثل هذه الاعتداءات ورده لها بالقوة والشجاعة التي اعترف بها حتى الاعداء مثل آخر من امثلة البطولة والشجاعة والدفاع عن كرامة وعروبة العراق التي تميز بها موقف العراق عبر تاريخه الطويل .

ولدراسة تاريخ بلاد عيلام (١) وعلاقته بتاريخ العراق القديم لابد للباحث من الاعتماد بالدرجة الاولى على النصوص المسمارية المدونة باللغة السومرية والاكدية والمكتشفة في مدينة سوسا عاصمة مملكة عيلام وغيرها من المدن العيلامية والعراقية الاخرى . اما النصوص المدونة باللغة العيلامية فعددها محدود وفائدتها قليلة نظراً لعدم اكتمال حل رموز الكتابة المسمارية العيلامية بعد.

لمحة عن جغرافية بلاد عيلام والتسميات التي اطلقت عليها :

تتمثل بلاد عيلام القديمة باقليم عربستان الحالي تقريباً فهي تقع في الجهة الجنوبية الغربية من ايران اى انها تحاذى بلاد سومر واكد من جهة الشرق. وكانت بلاد عيلام تضم في معظم فترات تاريخها القديم السهل الرسوبي الفسيح المعروف بسهل عربستان وبعض اجزاء الهضبة والمرتفعات الجبلية الواقعة إلى الشرق والشمال من السهل ويؤلف السهل من حيث التكوين الجيولوجي وطبيعة الارض والتضاريس امتداداً طبيعيا لسهل العراق الرسوبي ولايفصله عنه أي حاجز طبيعي يمنع اتصال سكان بلاد عيلام بسكان بلاد سومر وأكد ويخترق السهل نهرا الكارون والكلخة ، اللذان ينبعان من المرتفعات الشرقية،وروافدهما ، كما يتخلل السهل بعض الاهوار والمستنقعات الممتدة غربا حتى محاذاة نهر دجلة وبذلك يصبح الاتصال بين الاقليمين المتجاورين، عيلام وبابل ، ممكنا وسهلا ويمكن تحقيقه باستخدام ابسط وسائل النقل النهرية او البرية (٢).

وقد اطلق السومريون اسم نـم NIM الذي يعني في اللغة السومرية «النجد المرتفع» على الاقليم الواقع إلى الشرق من بلادهم ، ويشير معنى الاسم إلى ان

١) حول تاريخ بلاد عيلام والسلالات التي تعاقبت على الحكم فيها انظر :
Cambridge Ancient History, part 2, vol. I,pp. 644-661 ;part2, vol. II, pp. 379-399 .

(٢) حول جغرافية بلاد عيلام انظر : طه باقر ، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، بغداد ١٩٥٦ : الجزء الثاني ،صفحة ٣٧٥-٣٧٨

الاقليم كان يضم الهضبة والمرتفعات الجبلية في الشمال والشرق من السهل الرسوبي ، وهذا ماتؤيده الدراسات الحديثة عن تاريخ بلاد عيلام ، اما الاكديون فقد سموا الاقليم «ايلامتو» Elamtu (Ki) الذي ربما كان ترجمة لمعنى الاسم بالسومرية او تصحيف له (١) في حين اطلق العيلاميون انفسهم اسم خاتا متي Hatamti او خالتامتي Haltamti على بلادهم (٢) . ويعني الاسم بالعيلامية «ارض الرب او الاله» . وفي النصوص الفارسية المتأخرة عرف اقليم عيلام باسم اوفاجا Uvaja او خوفاجا Huvaja ومن هذه الصيغة اشتقت كما يظن البعض كلمة خوز وخوزى (٣) . اما الاغريق فقد اطلقوا على المنطقة اسم «سوسيانا» اى بلاد السوس نسبة إلى العاصمة سوسا وسماه العرب الاحواز الذي حوره الفرس إلى الاهواز (٤) . كما استخدم الايرانيون انفسهم «عربستان» للاشارة إلى اقليم الاحواز ، والذي يعني «بلاد العرب» مؤكدين بذلك عن غير قصد ، بأن سكان الاقليم هم من العرب.

---

(١) انظر طه باقر، المصدر السابق، صفحة ٣٨١ وهامش ١.

(٢) انظر CAH, Part2, vol. I, p. 644

(٣) طه باقر، المصدر السابق، صفحة ٣٨١

(٤) جاء في كتب المؤرخين العرب بأن اسم الاحواز ، وهو جمع كلمة حوز ، من الفعل حاز بمعنى الحيازة والتملك، وكان العرب يستعملون هذا اللفظ دلالة على تمليك الارض دون سواها، ويشيرون إلى الارض التي اتخذها فرد وبين حدودها فاستحقها دون منازع، ويذكر انه لما غزا الاسكندر المقدوني فارس وجزأها إلى امارات انفرد العرب بالمنطقة واطلقوا عليها اسم الاحواز نسبة إلى ملكيات قبائلهم لاقسامها (انظر مصطفى عبد القادر النجار ، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية، دار المعارف بمصر، ١٩٧١ صفحة ٣١ ملاحظة ٥ الذي يشير إلى ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ١ صفحة ٣٨٠) ويشير النجار إلى ان الاهواز جمع هوز واصله حوز فلما كثر استعمال الفرس لهذه الكلمة غيرتها حتى اذهبت اصلها جملة لانه ليس في كلام الفرس حاء مهملة واذا تكلموا بكلمة فيها حاء قلبوها هاء.

ويشير مصطفى النجار بعد ذلك إلى ان اسم الاقليم ايام الفرس كان خوزستان ومعناه بلاد القلاع والحصون حيث أن العرب بعد معركة القادسية بنوا فيها مواضع حربية كل موضع يسمى خوز بالفارسية (صفحة ٣٢ ملاحظة ١) .

العلاقات السياسية والعسكرية :

تحدثنا النصوص المسمارية المدونة باللغة السومرية أو الأكدية عن محاولات الملوك والحكام الذين تعاقبوا على حكم بلاد عيلام ومنذ فترة مبكرة جداً من تاريخها للسيطرة على بلاد سومر وأكد بالقوة وضمها إلى نفوذهم متى سنحت لهم الفرصة . ويأتي في مقدمة هذه النصوص من حيث تسلسل الأحداث التاريخية فيها مايعرف عادة بجداول أو إثبات الملوك السومريين ، وهي جداول دونها الكتبة العراقيون القدماء في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد وذكروا فيها أسماء السلالات التي تعاقبت على حكم بلاد سومر منذ أقدم الأزمنة العالقة في اذهانهم وحتى تاريخ تدوين الجداول وقد ذكرت أسماء الملوك والحكام وسني حكمهم وبعض الأحداث المهمة التي وقعت في حكمهم (١). وتعبر هذه الجداول عن انتقال السلطة السياسية والعسكرية من مدينة إلى أخرى بالقول أن المدينة الفلانية «ضربت بالسلاح» أي انها دحرت عسكرياً وانتقلت السلطة السياسية والعسكرية منها إلى المدينة الثانية . وتتحدث الجداول عن انتقال السلطة من بلاد سومر بالقوة أكثر من مرة وانتقلت إلى مدن أخرى في بلاد عيلام حيث تذكر بعد الحديث عن سلالة أور (الأولى) التي حكمت في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد مانصه :

---

(١) حول هذه الجداول وترجمتها انظر

The Jacobsen, The Sumerian King List, Chicago, 1939 (OIUC, AS, no. 11)

وحول ترجمتها إلى العربية انظر، طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة بغداد ، ١٩٧٣، الجزء الاول، صفحة ٢٨٨ — ٢٩٥.

ومن الجدير بالتنويه ان كتاب الجداول قد وضعوا حادثة الطوفان الشهيرة حداً فاصلا بين العهود القديمة والعهود الحديثة كما انهم غالوا كثيرا في تحديد سني حكم بعض الملوك لا سيما الاوائل منهم، واعتقدوا بأن السلالات الحاكمة كانت متعاقبة في حين ان البعض منها كان معاصرا للبعض الآخر. ومع هذه المآخذ على الجداول التي يمكن تفسيرها بانها نتيجة قدم الاحداث المذكورة السحيق بالنسبة لكتاب الجداول وعدم توفر المعلومات الدقيقة عنها واكتسابها صفة الاسطورية والبطولة الا انها تظل من مصادر معرفتنا المهمة عن تاريخ العراق في عصور فجر السلالات.

«المجموع أربعة ملوك حكموا ١٧٧ عاماً ، دحرت اور ونقلت ملوكيتها إلى أوان ، وفي أوان حكم ثلاثة ملوك ٣٥٦ عاماً . دحرت أوان ونقلت ملوكيتها إلى كيش . وفي كيش حكم ......

ويلي ذلك أسماء الملوك وعدد سني حكمهم ثم تذكر الجداول . بعد أسماء ملوك كيش :

«المجموع ثمانية ملوك حكموا ٣١٩٥ عاماً ، دحرت كيش ونقلت ملوكيتها إلى حمازي (أو خمازي) وحكم في حمازي هدانش . المجموع ملك واحد حكم ٣٦٠ عاماً . دحرت حمازي ونقلت ملوكيتها إلى اوروك ».

والثابت أن كلا من مدينة أوان ومدينة حمازي هما من المدن الواقعة في بلاد عيلام وإن ماجاء في جداول الملوك السومريين يتفق والمعلومات الآثارية المتوفرة لدينا من المصادر الأخرى حيث تفيد تلك المصادر أن بلاد سومر في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد كانت مفككة ومجزأة إلى عدد من دويلات المدن الصغيرة المتناحرة على السلطة فكانت السلطة تنتقل من مدينة إلى أخرى بسهولة ومتى قويت إحدى المدن على المدينة الأخرى كما تؤكد الجداول بأن نظرة كتاب الجداول إلى المدن العيلامية كانت كنظرتهم إلى المدن السومرية وان انتقال السلطة من مدينة أور إلى أوان هو انتقال السلطة إلى مدينة أخرى من المدن القائمة آنذاك حسب ولم يشر كتاب الجداول إلى أن السلطة انتقلت إلى بلاد أجنبية .

غير أن الأوضاع السياسية والعسكرية العامة في بلاد سومر وأكد تغيرت بقيام الدولة الأكدية في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد (حكمت الدولة الأكدية في الفترة بين ٢٣٧٠ وحتى ٢٢٢٠ ق.م) فقد تمكن الأكديون ، وهم من الأقوام العربية القديمة التي جاءت أصلا من شبه الجزيرة العربية ، من توحيد دويلات المدن التي كانت منتشرة في العراق شمالا وجنوبا تحت قيادة مركزية واحدة ومالبثت أن أقامت لها دولة مترامية الأطراف شملت

أجزاء من آسيا الصغرى ووصلت إلى سواحل البحر المتوسط شمالا وغربا في حين امتدت حدودها حتى سواحل الخليج العربي جنوباً وضمت بلاد عيلام شرقاً فوقعت المدن العيلامية المختلفة تحت حكم الأكديين . ويذكر أن سرجون الأكدي عين له ممثلا شخصياً في مدينة سوسا عاصمة عيلام كما تذكر لنا إحدى مسلات سرجون المكتشفة في مدينة سوسا أخبار انتصاراته على عيلام ودخوله سوسا. في أواخر عهد ترام رسن ، حفيد سرجون ، دب الضعف والتفكك الى أوصال الدولة الأكدية فاستغلت عيلام الفرصة وانسلخت عن نفوذ الأكديين وقام أحد حكامها بالتمرد ضد الأكديين كما استغلت هذه الفرصة بعض الأقوام الجبلية القاطنة إلى الشرق من بلاد أكد والتي عرفت بالأقوام الكوتية فهجمت على المدن الأكدية وأنهت حكم السلالة الأكدية وتحكمت في المدن الأكدية وبعض المدن السومرية لفترة تقرب من مائة عام حتى كانت حرب التحرير التي قادها أوتو حيكال حاكم مدينة الوركاء والتي تم في نهايتها طرد الأقوام الكوتية من البلاد (١). وفي أعقاب طرد الكوتيين من بلاد أكد قامت سلالة أور الثالثة التي حلت محل الدولة الأكدية في المنطقة فخضع لها حكام عيلام كما خضعوا لسرجون من قبل واتبعوا سياسة موالية إلى حكام وملوك امبراطورية أور الثالثة . ومع ذلك كان حكام المدن العيلامية يتحينون الفرص للانقضاض على سلالة اور واعلنوا تمردهم أكثر من مرة حتى كانت محاولتهم الأخيرة في عهد أبي — سن آخر حكام أور الذي وقع ضحية هجوم القوات العيلامية (٢) .

وفتحت مدينة اور وقتل ملكها على يد القوات العيلامية واقام العيلاميون لهم سلالة حاكمة في مدينة لارسا ومدوها بالقوة لتمكينها من السيطرة على بقية أجزاء البلاد . وقد صادف في هذه الفترة تدفق الأقوام الأمورية من الغرب ،

(١) حول حرب التحرير هذه انظر : د. فاضل عبد الواحد، اقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ، سومر ، ٣٠ (١٩٧٤)، صفحة، ٤٧ — ٥٧.

(٢) انظر

S.N. Kramer . The Sumerians , Chicago , 1963 , p.1 .

وهي فرع من الأقوام العربية القديمة القادمة من شبه الجزيرة العربية عن طريق نهر الفرات ، وانتشرت في مدن العراق المختلفة وأقامت لها سلالات محلية مستقلة كان منها سلالة أشنونا في منطقة ديالى وسلالة ايسن وسلالة بابل وسلالة آشور وغيرها . وقد حاولت سلالة لارسا التي كانت تسندها القوات العيلامية السيطرة على هذه السلالات وتمكنت فعلا من القضاء على سلالة ايسن المنافسة الرئيسة لها غير أن تعاظم شأن سلالة بابل الأمورية وتولي حمورابي الحكم فيها حال دون استمرار لارسا في تنفيذ خططها التوسعية فتمكن حمورابي أخيراً من القضاء عليها وضمها إلى نفوذه من بعد قضائه على السلالات المحلية الحاكمة في المدن الأخرى وامتد نفوذ حمورابي ليشمل المدن العيلامية أيضاً .

وبعد سقوط سلالة بابل الاولى ، سلالة حمورابي ، على أيدي الأقوام الكاشية الغازية ، استقلت عيلام عن نفوذ بلاد بابل وعادت تحاول القضاء على السلالة الكاشية نفسها . وفي القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، أي بعد سقوط سلالة حمورابي بأربعة قرون تقريباً ، تمكنت القوات العيلامية من دخول بلاد بابل والقضاء على السلالة الكاشية ودمرت مدينة بابل ونهبت قصورها ومعابدها وسلبت كنوزها . وكان من جملة الاسلاب التي حملتها القوات العيلامية إلى مدينة سوسا مسلة حمورابي التي تحمل قوانينه ومسلة نرام — سن وتمثال الإله مردوخ الإله القومي لبلاد بابل . غير أن نبوخذ نصر الأول تمكن في بداية الألف الأول قبل الميلاد من غزو بلاد عيلام ودخول العاصمة سوسا واستعادة تمثال الإله مردوخ البابلي في حين ظلت مسلة حمورابي في الاسر حتى تم اكتشافها في سوسا عام ١٩٠١ من قبل البعثة الفرنسية العاملة هناك وهي تعيش الآن اسرها الثاني في متحف اللوفر في باريس .

لقد كانت محاولات حكام عيلام واعتداءات القوات العيلامية حتى مطلع الألف الأول قبل الميلاد موجهة إلى بلاد سومر واكد التي عرفت فيما بعد ببلاد بابل . ولم تكن بلاد آشور في شمال العراق من القوة المركزية بحيث

تتمكن من احباط تلك المحاولات وصد الاعتداءات كما أن بلاد بابل نفسها لم تكن خاضعة أو متحالفة مع بلاد آشور . ومنذ أواخر القرن العاشر قبل الميلاد ، أي منذ بداية العهد الآشوري الحديث وحتى نهاية كيان الآشوريين السياسي والعسكري في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، تتغير الأوضاع في بلاد آشور ويصل الآشوريون إلى قوة مجدهم السياسي والعسكري وازدهار حضارتهم وامتداد نفوذهم وغدت الامبراطورية الآشورية الحديثة تضم معظم بلدان الشرق الأدنى القديم من مصر غرباً وحتى بلاد عيلام شرقاً ومن سواحل البحر المتوسط وحتى سواحل الخليج العربي . ولم يعد بامكان حكام المدن العيلامية مواجهة قوة الدولة الآشورية المتعاظمة فكانوا يتبعون الأسلوب نفسه الذي اتبعوه من قبل في التدخل في شؤون بلاد بابل الداخلية وتحريض المدن البابلية ضد الحكم الآشوري واستمالة بعض المدن والقبائل للقيام بالتمرد ونبذ السيطرة الآشورية . واستفاد حكام عيلام من حقيقة اتصالهم الوثيق مع بلاد بابل وعدم وجود حواجز أو موانع تقف امام تدخلهم في بلاد بابل ومن تعرفهم على طبيعة بلاد بابل وطبيعة سكانها ونجحوا في استمالة بعض القبائل والمدن البابلية لاسيما تلك الواقعة في المنطقة الحدودية فقدموا لها المساعدات المادية والعسكرية ووفرت لها الملجأ في حالة الفشل . وتمدنا حوليات الملوك الآشوريين بتفاصيل محاولات حكام عيلام بهذا الاتجاه وتفاصيل الحملات العسكرية التي قادها الآشوريون للقضاء على محاولات التمرد في بلاد بابل وعلى حكام عيلام الذين كانوا وراء تلك التمردات حتى كانت الضربة القاضية التي وجهها الملك الآشوري آشور بانيبال على السلالة الحاكمة في عيلام وذلك عام ٦٣٩ ق.م وانهى بها كيان عيلام السياسي .

وكمثال على أسلوب تدخل حكام عيلام في شؤون بلاد بابل وتحريضهم بعض القبائل البابلية ضد الحكم الآشوري هو تمرد قبيلة بيت – ياكيني الكلدانية المتكرر بالتحالف مع عيلام ومحاولاتها السيطرة على الحكم في بلاد بابل والانفصال عن الدولة الآشورية بتحريض ومساندة السلالة الحاكمة في

عيلام . ويحدثنا سنحاريب في حولياته عن هذه المحاولات وكيف تمكن من القضاء عليها وافشال خططها. فقبل تولي سنحاريب الحكم عام ٧٠٥ ق.م كان زعيم قبيلة بيت – ياكيني الكلداني قد هرب مع أفراد قبيلته أمام القوات الآشورية إلى بلاد عيلام واستقر في المنطقة الواقعة على الساحل الشرقي من الخليج العربي . وفي عام ٧٠٤ ق.م. قرر سنحاريب تجهيز حملة عسكرية قوية للقضاء على زعيم القبيلة المتمرد وعلى ملك عيلام الذي وفر له الملجأ وأمده بالمعونات المادية والعسكرية فاختار سنحاريب أسلوباً جديداً لقيادة وتقدم حملته هذه يفيد من وسائط النقل النهرية والبحرية ويعتمد خطة للهجوم من البحر عن طريق ساحل الخليج العربي ، وهو أسلوب لم تألفه أو تتوقعه عيلام ، واستعان سنحاريب بصناع السفن والملاحين السوريين الذين اشتهروا بذلك وهاجم عيلام بقواته البرية والبحرية إلى أن تمكن من القضاء على زعيم قبيلة بيت – ياكيني وفتح المدن الساحلية وأسر اعداداً كبيرة من أفراد القبيلة المتمردة ومن القوات العيلامية الحليفة عاد بها إلى بلاد آشور . وفيما يلي ترجمة حرفية لأجزاء منتخبة من حملة سنحاريب (السادسة) على بلاد عيلام :

« في حملتي السادسة ضد ناكيتو Nagitu (و) وناكيتو – دبينا Nagitu – di'bina (وهي) مدن تعود إلى ملك عيلام، والتي تقع على الجانب الآخر من البحر المر (أي الخليج العربي) حيث هرب أفراد قبيلة بيت – ياكيني أمام أسلحة الإله آشور القوية ، وتركوا مدنهم وعبروا البحر المر واستقروا هناك بسلام . الإله آشور اعطاني مزيداً من القوة ضدهم فأصدرت أوامري بالتوجه إلى ناكيتو . فجلبت الحيثيين (السوريين) الذين قهرتهم بالسلاح إلى نينوى ، فبنوا سفناً ضخمة (على غرار) سفن بلادهم . وامرت ملاحين من صور وصيدا وقبرص الذين كنت قد اسرتهم بأن (يبحروا بالسفن) على نهر دجلة وينزلوا اليابسة عند اوبس . ومن اوبس (حيث) سحبوا السفن إلى اليابسة وسحبوها على الأعمدة إلى قتال اراختو (؟) ووضعوها في قتال اراختو

وأنزلتها انتتال بيت—داكوري الكلدانية [.....] ووضعت حاملي أسلحتي المرعبة الذين لايعرفون الخوف ، وجنود المشاة المختارين ومقاتلي الشجعان الذين لايعرفون الراحة (؟) في السفن ، وجهزتهم بالمؤن للرحلة ... وأبحر مقاتلي في الفرات بينما بقيت انا على اليابسة ، وجعلتهم يتقدمون إلى باب — ساليمتي Bab - Salimeti ....

واقمت خيمتي في ذلك المكان .. وهاجت الامواج القوية من البحر ودخلت خيمتي وحاصرتني تماما وانا في خيمتي وجعلت رجالي يخيمون في سفنهم العظيمة كأنهم في اقفاص لمدة خمسة ايام بلياليها ووصلت سفن مقاتلي إلى المستنقعات عند فم النهر حيث يصب الفرات ماءه في البحر المخيف . وقابلتهم عند ساحل البحر المر . وقدمت إلى الاله ايا ، ملك الاعماق ، القرابين ..... وجعلت سفني تصل إلى ناكيتو بسرعة . وعلى ساحل البحر المخيف الذي لم يكن ملائما للنزول او لركوب الخيل او سير الجند ، وكان حقا صعبا جداً فرأى الكلدانيون الذين يعيشون في ناكيتو ، وناكيتو دبينا وسكان خلمو وبيلاتو وخوبابانا سفن مقاتلي وتجمعوا إلى بعضهم فوقف ضدهم رماة السهام والعربات والخيل والبغال ، اعداد لاحصر لها . وكانت الخطة ان نبدأ المعركة عند نهر اولاى Ulai الذي كان شاطئه ملائما . وبعد احتلال المكان الذي سينزل فيه جيشي ، بدأت المعركة ، وتمكن جندي من احتلال جانبي الحوض ونزل الجند من السفن إلى الساحل كالجراد وتمكنوا من دحر (الاعداء) . وفتحوا مدينة ناكيتو وناكيتو— دبيانا وخلمو وبلاتو وخوبابانا ، وهي مدن تعود إلى ملك عيلام . واسروا حامياتهم (العسكرية) والكلدانيين وجميع آلهة بيت — باكيني مع اموالهم والعيلاميين (واخذوا) العربات والبغال والحمير غنائم ووضعوهم في سفنهم وجلبوهم إلى باب — سالمتي بحضوري ودمروا تلك المدن وخربوها واضرموا فيها النيران ونشروا الرعب في بلاد عيلام كلها. وكان من جملة الغنائم .... (١)

---

(١) حول تفاصيل هذه الحملة والحملات الاخرى التي قام بها سنحاريب على بلاد علام انظر :
D.D. Luckenbill, The Annals of Sennacherib, Chicago, 1924, pp. 77 pff .

وهكذا تمكن سنحاريب من القضاء على قبيلة بيت – ياكيني الكلدانية وعلى حليفتها عيلام . وفي حملة اخرى يحدثنا عن استعادته عدداً من المدن الحدودية من عيلام وضمها إلى حدود الدولة الآشورية اضافة إلى اربع وثلاثين مدينة عيلامية اخرى في حين هرب الملك العيلامي كودور ناخوندو إلى المنطقة الجبلية البعيدة حيث قتل في خورة داخلية بعد بضعة اشهر .

وفي حملة اخرى يذكر سنحاريب كيف ان العيلاميين عادوا وساندوا ملك بلاد بابل ضد الحكم الآشوري فجهز عليهم حملة جديدة قضى على التمرد وعلى الحلفاء العيلاميين .

وفي اواخر عهد الدولة الاشورية ، في عهد الملك آشور بانيبال ، استغل العيلاميون الخلاف الموجود بين آشور بانيبال ملك بلاد آشور واخيه شمش – شم – اوكن ملك بلاد بابل فساهموا في اشعال نار الفتنة بين الاخوين وحرضوا شمش – شم – اوكن للثورة ضد اخيه والتمرد عليه وقدموا له العون العسكري فما كان من آشور بانيبال بعد ان قضى على التمرد في بلاد بابل إلاّ أن يتوجه إلى بلاد عيلام ويقضي على سلالتها الحاكمة قضاء مبرماً ويدخل العاصمة سوسا عام ٦٣٩ ق . م. فدمرها واحرق قصورها ومعابدها وقتل ملكها وقطع رأسه وحمله إلى بلاد آشور امعانا في الاذلال وبذلك كانت نهاية مملكة عيلام (١) .

وبعد مائة عام بالضبط من تاريخ نهاية مملكة عيلام ، وقعت كل من بلاد عيلام وبلاد بابل وبلاد آشور تحت حكم الفرس الاخمينيين ومن بعدهم تحت حكم السلوقيين فالفرثيين واخيراً الفرس الساسانيين إلى ان تم تحرير المنطقة على ايدي الجيوش العربية الاسلامية في معركة القادسية الاولى عام ٦٣٧ م .

---

(١) أنظر :
H. W. F. Saggs, The Greatness that was Babylon , London, 1962, pp. 131 - 134 .

التركيب السكاني والحضاري :

لم تتوصل الدراسات الحديثة بعد إلى تحديد اصل الاقوام التي استوطنت بلاد عيلام منذ الالف الثالث قبل الميلاد وموطنها الأول وقد قيلت بشأن ذلك آراء ونظريات عدة ربط بعضها العيلاميين بالاقوام الجبلية في الجبهة الشرقية والشمالية الشرقية من بلاد بابل كقبائل اللولوبو والاقوام الكوتية والاقوام الكاشية معتمدين في ذلك على بعض التشابه اللغوي بين اللغة العيلامية القديمة وبعض المفردات اللغوية المعروفة من لغة الكاشيين ، ولاسيما اسماء الاعلام (١) ، غير ان الادلة المقدمة لاسناد هذا الرأي ضعيفة ولا يمكن الاعتماد عليها . ومن الباحثين من حاول ايجاد صلة بين اللغة العيلامية واللغات الدرافيدية التي انتشرت في القسم الجنوبي من الهند وبالتالي يرى أن اصول العيلاميين ترتبط باصول الاقوام التي تكلمت اللغات الدرافيدية (٢) فيما يرى فريق آخر ان اللغة العيلامية هي لغة متفردة (٣) تختلف تماما عن اللغات المعروفة حتى الان شأنها في ذلك شأن اللغة السومرية .

ومهما كانت الآراء والنظريات التي قيلت بشأن أصل العيلاميين وموطنهم الأول ، فمما لاشك فيه أن عنصراً قوياً ومؤثراً من الأقوام العراقية القديمة

---

(١) انظر :

CAH , part I , vol . I , p . 155

(٢) انظر المصدر السابق .

(٣) كانت اول معرفتنا باللغة العيلامية القديمة في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي عندما بدأت محاولات العلماء دراسة وتحليل نصوص برسيبوليس ونقش بهستون، وهي نصوص ثلاثية الكتابة واللغة ضمت اللغة العيلامية القديمة والفارسية القديمة والبابلية ويرجع تاريخ تدوينها إلى القرن السادس قبل الميلاد. وكانت اللغة العيلامية تكتب بخط صوري شبيه بالخط السومري من حيث الفكرة وقد عرف بالكتابة العيلامية القديمة Proto-Elamite ويظن ان استخدام هذا الخط كان بتأثير من السومريين الذين سبقوهم في اختراع الكتابة . واعقب الكتابة العيلامية القديمة كتابة لا تتصل بسابقتها وتتألف من علامات مقطعية ورمزية (انظر : I. Gelb, Astudy of Writing, P. 121) وبعض العلامات الدالة وهي التي امكن حل رموز البعض منها من قبل العالم والترهينز وذلك عام ١٩٦١ ، وهي كتابة مشتقة من الكتابة المسمارية العراقية بعد تكييفها بما يتلاءم واللغة العيلامية (انظر طه باقر، المقدمة، ج ٢، صفحة ٣٨٣) .

دخل في تركيب سكان بلاد عيلام بدأ من مطالع الألف الثالث قبل الميلاد ، وازداد تأثير هذا العنصر تدريجاً وظهر أكثر وضوحاً في بعض الفترات التاريخية . فالارتباط الجغرافي الوثيق بين بلاد عيلام وبلاد بابل وعدم وجود أي حاجز طبيعي بين الأقليمين سمح لتنقل السكان بينهما في فترات السلم والحرب ، فاشتبكت المصالح وتأثر كل أقليم بما لدى الأقليم الآخر من مظاهر حضارية ، وكان للعراقيين القدماء فضل السبق في ابتكار العديد من العناصر الحضارية التي رفدت الحضارة العيلامية ، ويشير إلى هذا التشابك والاختلاط بين الاقليمين ان كتاب جداول الملوك السومرية في مطالع الألف الثالث قبل الميلاد تحدثوا عن انتقال الملكية ، أي السلطة ، إلى المدن العيلامية حديثهم عن انتقالها إلى أي مدينة سومرية كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وزادت التأثيرات الحضارية وزاد تأثير العنصر العراقي القديم في بلاد عيلام بقيام الدولة الأكدية ووقوع بلاد عيلام تحت الحكم الأكدي المباشر يشير إلى ذلك انتشار استخدام اللغة الأكدية بخطها المسماري في بلاد عيلام إلى درجة انها حلت في كثير من الأمور محل اللغة العيلامية القديمة . فلولا وجود عناصر مؤثرة بين سكان بلاد عيلام تعرف اللغة الأكدية وتقرأ الخط المسماري العراقي لما استخدمت اللغة الأكدية إلا في نطاق محدود جداً . إما أن تفسر هذه الظاهرة بأنها نتيجة لوقوع بلاد عيلام تحت الحكم الأكدي المباشر ، فإن الحالات المشابهة والمعاصرة لاتؤيد مثل هذا التفسير فقد سيطرت الأقوام الكوتية على بلاد أكد لما يقرب من مائة سنة ، وسيطرت الأقوام الكاشية على بلاد بابل لفترة جاوزت الأربعة قرون ، ومع ذلك لم تستخدم اللغة الكوتية أو الكاشية لا في المخاطبات والمكاتبات الرسمية ولا في غيرها بل أن السكان المحليين حافظوا على لغتهم وعلى كتابتهم وفرضوها على الفئة الأجنبية الحاكمة .

ومنذ بداية العهد البابلي القديم في العراق ، أي منذ مطالع الألف الثاني قبل الميلاد زاد التداخل والاختلاط يشير إلى ذلك أسماء الاعلام العيلامية ومنها أسماء بعض الملوك التي كانت تحمل صيغاً ومعاني أكدية وربما كان أصل

حامليها من الأقوام الأكدية . ومنذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد ، قدمت عيلام الملجأ للقبائل الكلدانية ، وهي من الأقوام العربية القديمة ، المناوئة للحكم الآشوري وكان في مقدمتها قبيلة بيت - ياكيني التي اشير اليها فيما سبق . وتذكر المصادر المسمارية إلى أن هذه القبيلة بالذات بقيت فترات ليست بالقصيرة في حدود مملكة عيلام أيام قوة الدولة الآشورية وسيطرتها الكاملة على المنطقة ومن الطبيعي أن ترسبت اعداد من الكلدانيين وآثرت البقاء في بلاد عيلام حتى بعد عودة بقية افراد القبيلة إلى بلاد بابل . وقد حمل كل ذلك كتاب التوراة في القرن السادس قبل الميلاد عند كتابتهم اسفار التوراة وهم في الاسر في بلاد بابل أن نسبوا العيلاميين إلى الأصل نفسه الذي ينتسب اليه الأكديون والبابليون والآشوريون وعدوا عيلام ، جد العيلاميين المفترض ، الابن البكر لسام بن نوح (١) .

ولم يقتصر تأثير بلاد وادي الرافدين على بلاد عيلام على التركيب السكاني ، بل كانت التأثيرات الحضارية العراقية القديمة أكثر وضوحاً وأسهل تتبعاً للباحث المعاصر ، وهو أمر طبيعي تمليه العلاقات السلمية والحربية بين الأقليمين ويحتمه الارتباط الجغرافي والسكاني الوثيق وتؤكده حقيقة ان بلاد سومر وأكد شهدت نشوء وازدهار حضارة أصيلة متطورة . فكان أن دخلت الحضارة العيلامية عناصر حضارية عراقية كثيرة كان في مقدمتها فكرة الكتابة المسمارية ومن ثم استخدامها لتدوين اللغة العيلامية واستخدام اللغة الأكدية بخطها المسماري العراقي . وفي مجال الفن ، اقتبس العيلاميون بعض الأساليب الفنية في صناعة الأختام الاسطوانية ونحت ونقش التماثيل والمسلات وبناء الزقورات في حين قدست بعض الالهة العراقية القديمة في بلاد عيلام واحتلت مكانة مرموقة ودخلت في تركيب أسماء الأشخاص. وامتدت التأثيرات الحضارية لتشمل الناحية الاقتصادية والنظم المتبعة لاسيما في مجال التجارة والتقويم .

(١) سفر التكوين، الاصحاح العاشر، فقرة ٢١.

قصص المعركة في الجبهة الشرقيّة

الدكتور عمر محمد الطالب
استاذ مساعد

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

المقدمة

ارتبط الأدب بالمعارك والحروب ارتباطاً قوياً في العصور العربية القديمة، ولعب الشعر العربي دورا بارزاً في الغزوات والفتوحات ومعارك الثغور. وربط ابن سلام في كتابه طبقات الشعراء بين انتشار الشعر في القبائل العربية وبين الحروب والمعارك ،فعزا ظهور الشعر في قبيلة ربيعة وازدهاره فيها إلى حرب البسوس . وبعد ان سكنت الحرب انتقل الشعر منها إلى القبائل الاخرى التي استعرت فيها الحروب. كما عزا ابن سلام قلة الشعر في مكة والطائف في عصر ما قبل الاسلام إلى عدم خوضها الحروب التي تؤجج المشاعر وتلهب النفوس وقد لعب الأدب ولاسيما الشعر دوراً مهماً في الحروب التي خاضتها الامة العربية ضد اعدائها فبرز شعر ابي تمام والمتنبي وابي فراس الحمداني وغيرهم. وجسد القصص الشعبي البطولات العربية كما في سير عنترة وسيف بن ذي يزن وابي زيد الهلالي واحاديث اسامة بن منقذ. ولعب الادب العربي الحديث دوراً مهماً في التحريض على التحرر من الاستعمار، وارتبطت المقاومة العربية الادبية بالدعوة إلى الوحدة العربية لتحقيق قوة المقاومة ضدالاستعمار الحديث. وقد ظهرت القصة في نهاية القرن الماضي كفن من الفنون الادبية العربية ،وهي تحمل في طياتها الروح القومية والوطنية والكفاح ضد الاستعمار الاجنبي للوطن العربي. وخير مثال على ذلك المقالات القصصية التي نشرها عبدالله نديم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .وبقيت القصة العربية وسيلة لتجسيد الآمال القومية والوطنية للشعب العربي ولعبت دوراً كبيراً في احتواءالثورات العربية كثورة عرابي وثورة ١٩١٩في مصر وثورة العشرين والانتفاضات السياسية الي حققت ثورة الرابع عشر من تموز وثورة الرابع عشر من رمضان وثورة السابع عشر من تموز وثورة ١٩٣٦ في سوريا ، والمعارك المصيرية للأمة العربية في الحرب العالمية الأولى واحتلال الاتراك للواء اسكندرون واحتلال الايرانيين للاحواز . والحرب العربية ضد الكيان الصهيوني في الاعوام،١٩٤٨ ١٩٥٦، ١٩٦٧ ،١٩٧٣ . وظهر اتجاه جديد في القصة العربية الحديثة سمي

بقصص المقاومة. اشترك فيه كتاب فلسطينيون من داخل الارض المحتلة وخارجها ومن كتاب القصة في الاقطار العربية الاخرى. فلا عجب ان تخصب الحرب العراقية الايرانية أدبا يدور حول هذه الحرب والأمور التي واكبتها. فاذا طغى الشعر على جميع الفنون الادبية الاخرى في التعبير عن انعكاسات هذه الحرب. فان القصة ولاسيما القصة القصيرة اخذت دورها البارز وامتدادها الطبيعي والموافق لها للتعبير عن اثر الحرب العراقية الايرانية في نفوس العراقيين وضمائرهم.

نشر في الصحف والمجلات العراقية عشرون ومائتا قصة تناولت موضوعات الحرب العراقية الإيرانية منذ الإعتداء الإيراني على العراق في الرابع من أيلول وحتى اليوم الأول من حزيران . وهي المدة الزمنية التي عقدت عليها دراستي هذه . أي في مدة زمنية قدرها تسعة أشهر .

وقد توزعت القصص كماً بالنسبة للأشهر التسعة على الشكل التالي :

نشر في شهر أيلول ثلاث قصص فقط .

ونشر في شهر تشرين الأول عشر قصص فقط .

ونشر في شهر تشرين الثاني ست وثلاثون قصة .

ونشر في شهر كانون الأول ثمان وثلاثون قصة .

ونشر في شهر كانون الثاني ثمان وعشرون قصة .

ونشر في شهر شباط ثمان وعشرون قصة .

ونشر في شهر آذار خمس وثلاثون قصة .

ونشر في شهر نيسان ثماني عشرة قصة .

ونشر في شهر أيار اثنتان وثلاثون قصة .

هذا بالإضافة إلى روايتي (الحقول الأخرى) لعادل كامل والتي نشر منها ستة فصول خلال عدة أشهر . ورواية (الرقص على أكتاف الموت) لعادل عبد الجبار والتي نشرت على شكل فصول في جريدة الثورة ابتداءاً من تاريخ ١٧ / ١١ / ١٩٨٠ وقد بلغ عدد الفصول المنشور منها تسعة وعشرين فصلاً حتى بداية شهر حزيران .

ويحفل شهر كانون الاول المكانة الاولى في كمية القصص المنشورة في موضوعة الحرب العراقية الإيرانية ويليه شهر تشرين الثاني فشهر آذار ثم شهر أيار ، فقد ربت القصص المنشورة في هذه الأشهر على ثلاثين قصة . بينما لم تنضج التجارب الشعورية نضجاً فنياً متكاملاً بعد في شهري أيلول وتشرين الأول ، لأن الحرب كانت ماتزال في بدايتها . ثم تناقصت كمية

القصص المنشورة في شهري كانون الثاني وشباط عمّا كانت عليه في شهري كانون الأول وتشرين الثاني ولعل ذلك يعود إلى توالي الإنتصارات التي حققها الجيش العراقي المظفر . بحيث أصبحت أخبار الإنتصارات والبطولات – التي استمد منها القاصون مادتهم القصصية – ذات وقع طبيعي في نفوسهم، ولم تشحذ تجاربهم الشعورية بفيض من القصص كما كان الأمر في الشهرين الثالث والرابع من بدء الاعتداء الإيراني على العراق . ثم ازداد عدد القصص المنشورة في شهري آذار وأيار نتيجة لمشاركة القصصين في الحرب وتواجدهم في ساحات المعارك مما أكسبهم خبرات جديدة وموضوعات جديدة وأذكى مشاعرهم وأنضج تجاربهم الشعورية .

وقد تميزت الصحف العراقية بنشر العدد الأوفر من قصص الحرب العراقية الإيرانية :

فقد نشرت جريدة الثورة وملحقها الأسبوعي احدى وتسعين قصة بالإضافة إلى تسعة وعشرين فصلاً من رواية الرقص على أكتاف الموت لعادل عبد الجبار.

ونشرت جريدة الجمهورية وملحقها الأسبوعي أربعاً وأربعين فصة .

ونشرت جريدة الحدباء النصف شهرية احدى عشرة قصة اذا مااستثنينا صفحة اقلام شابة لأن ماينشر فيها من أدب لايتعدى التجارب الأولى لكتابها في فن القصة .

أما جريدة الراصد الأسبوعية فلم تنشر غير ثلاث قصص فقط عن موضوعة الحرب العراقية الإيرانية . واكتفيت بأخذ نماذج من القصص المنشورة في جريدة العراق لأنها بالإضافة إلى قلتها نشرت قصصاً لكتاب يخطون خطواتهم الأولى في كتابة القصة . واكتفيت بأخذ نماذج من القصص المنشورة في جريدة القادسية خلال شهر آذار فقط ، لأنها نشرت قصصاً لكتاب مازالوا يكتبون تجاربهم الأولى في هذا الفن الصعب .

وقد احتلت مجلة الف باء الأسبوعية مركز الصدارة بين المجلات العراقية في عدد القصص التي نشرتها على صفحاتها والتي تدور حول موضوعة الحرب

العراقية الإيرانية فقد بلغت ثلاثاً وعشرين قصة وتناقص عدد القصص المنشورة في شهر آذار عمّا كان عليه الحال في الأشهر السابقة حتى انعدم نشر القصص الدائرة حول الحرب العراقية الإيرانية في هذه المجلة خلال شهري نيسان وأيار .

ونشرت مجلة فنون الاسبوعية اثنتي عشرة قصة .

وتقف مجلة الطليعة الأدبية موقف الصدارة في عدد القصص المنشورة فيها حول موضوعة الحرب العراقية الإيرانية . بالنسبة للمجلات الشهرية الصادرة في العراق . فقد نشرت إحدى عشرة قصة حول المعركة وتليها مجلة الجامعة التي نشرت ثماني قصص عن المعركة فمجلة حراس الوطن التي نشرت ست قصص عن المعركة ثم مجلة المرأة التي نشرت ثلاث قصص فقط . وقد نشرت كل من مجلة الاقلام ومجلة الثقافة ومجلة الأجيال قصة واحدة فقط .

ولم أعثر على أية قصة عربية تدور حول موضوعة الحرب العراقية الإيرانية في الصحف والمجلات العربية ، بحسب ماتوفر لدي منها .

* * * *

وإذا ماانتقلنا من الصحف والمجلات الى كتاب القصة فإننا نجد القاص عبد الستار ناصر يحتل المكانة الأولى في هذا المضمار فقد نشر ثماني وعشرين قصة عن الحرب العراقية الإيرانية . وقد بدأ بنشر قصصه منذ أواخر الستينات في الصحف والمجلات العراقية والعربية ، وأصدر خمس مجموعات قصصية ورواية واحدة . ويقول جواباً عن سؤال وجه اليه عن قصص المعركة : « ان القصة التي نكتبها اليوم عن المعركة لابد لها من وجه آخر نتعامل به مع القراء ، بمعنى آخر قصة الحرب تحتاج الى الوضوح والبساطة كيما تصل الى أكبر عدد ممكن من القراء على اختلاف أفكارهم ومستوياتهم ، ذلك أن الجندي في الجبهة بحاجة إلى أن يقرأ ، كذلك العامل والموظف والفلاح وربة البيت معاً . كل هؤلاء لهم الحق عليك إبان الحرب وكذلك بعدها ، هم يريدون الوصول

أيضاً إلى معنى الحرب وما يجري فيها . ومن المهم هنا أن يتسامح الكاتب مع (عبقريته) ويرحم الناس من الرموز والغموض والتشابكات اللغوية ، على الكاتب أن يكون مع الناس دون تفريط بموهبته ومكانته الفكرية ، والبساطة لاتعني أبداً نزول الكاتب من درجة إلى درجة أسفل » (١). ولا يعني قول عبد الستار ناصر — كما يتبادر إلى ذهن القاريء لأول وهلة — إنه يميل إلى السرعة والتساهل الفني في كتابة القصة . لاننا نلمس في قصصه قدراً من التنية الجدية والنضج . ونشر عادل كامل — وهو من كتاب القصة في السبعينات وقد ظهرت له مجموعة قصصية واحدة — ثلاثاً وعشرين قصة . ونشر سامي مهدي — وهو من شعراء الستينات — ثماني قصص قصيرة جداً ، وهي القصص الأولى التي يمارس فيها هذا الفن . وقد شكل سامي مهدي ظاهرة انتقال الشعراء إلى كتابة القصة ، بالإضافة إلى نظم الشعر ، ونشر عمر محمد الطالب سبع قصص عن موضوعة الحرب وسبق أن صدرت له مجموعتان قصصيتان ورواية واحدة . ونشر علي خيون عشر قصص عن المعركة — وهو من كتاب القصة الشباب — وقد صدرت له مجموعتان قصصيتان . ونشر عادل عبد الجبار خمس قصص عن الحرب بالإضافة إلى روايته آنفة الذكر وهو من قصصي الستينات وسبق أن نشرت له روايتان ، ومثله عباس عبد جاسم وهو من كتاب القصة الشباب . وقد نشر خضير عبد الأمير عشر قصص عن المعركة — وهو من قصاص الستينات وقد ظهرت له ست مجموعات قصصية وروايتان — . ونشر عبد الخالق الركابي أربع قصص عن الحرب — وهو من شعراء الستينات وقد نشرت له رواية واحدة — ونشر لطيف ناصر حسين ثلاث قصص عن المعركة وسبق ان صدرت له مجموعة قصصية منذ منتصف السبعينات . وكذلك أنور عبد العزيز الذي سبق أن صدرت له مجموعة قصصية واحدة . وقد نشر كل من غازي العبادي وعبد عون الروضان قصتين حول موضوعة الحرب وقد سبق للأول ان اصدر

(١) عبد الستار ناصر وحديث عن القصة في زمن الحرب. الجمهورية في ١٩٨١/٢/٢٥ .

خمس مجموعات قصصية واصدر الثاني مجموعتين قصصيتين فقط . وقد نشر القصصيون الشباب قصصاً عن المعركة مثل عدنان أحمد الربيعي ونصر محمد راغب وحامد الهيتي ومحمد مزيد وغيرهم من الكتاب الشباب . وقد نشرت خمس قصص لكاتبات عراقيات ابرزهن في مجال هذا الفن الهام عبد الكريم وايمان أحمد . وقد نشرت كل منهن قصة واحدة (١).
والظاهرة البارزة في كتابة قصص المعركة ان عدداً من الشعراء مارسوا كتابة القصة لأول مرة فقد كتب كل من مرشد الزبيدي وهاني ابراهيم قصة واحدة بالإضافة إلى القصص التي كتبها سامي مهدي وعبد الخالق الركابي. وخالد علي مصطفى كما نشر يوسف العاني قصة واحدة عن المعركة وهو كاتب مسرحي معروف . ولم أجد غير بضعة قصص عن المعركة لكتاب عرب نشروها في صحف عراقية فقد نشر محمد علي وهبة وهو كاتب مصري شاب ، ست قصص ونشر فرج مكسيم قصتين ونشر يوسف بن أحمد وهو كاتب تونسي شاب ، قصة واحدة .
واذا ماستقرأنا الارقام نخرج بالنتائج الآتية :
اولا : ان احداً من كتاب القصة الأوائل لم يشارك في كتابة قصة عن المعركة .
ثانيا : اذا لجأنا إلى التقسيم التاريخي للقصة العراقية لانجد احداً من كتاب القصة قبل الحرب العالمية الثانية قد شارك في كتابة قصص المعركة ومثلهم كتاب القصة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية وحتى قيام ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨.
ثالثا : شارك كل من يوسف يعقوب حداد وعمر محمد الطالب من جيل الخمسينات في كتابة قصص عن الحرب العراقية الايرانية . حيث نشر الأول قصة واحدة والثاني سبع قصص .
رابعا : برزت مساهمات كتاب القصة الذين ظهروا مابين ثورتي تموز ، الرابع عشر عام ١٩٥٨ والسابع عشر عام ١٩٦٨ في قصص خضير عبد الامير وغازي

(١) ينظر بيلوغرافيا القصة العراقية. عمر الطالب. مجلة المورد .العدد ٤، ١٩٧٩

العبادي وانور عبد العزيز وعادل عبد الجبار وعبد الستار ناصر في قصص الشعراء سامي مهدي وعبد الخالق الركابي وخالد علي مصطفى .

خامسا : ساهم في كتابة قصص الحرب بعض كتاب القصة الشباب من القصصين المعروفين مثل : علي خيون ولطيف ناصر حسين وعادل كامل وعبد عون الرمضان وعباس عبد جاسم ونصر محمد راغب ونجمان ياسين وفاتح عبد السلام وعدنان احمد الربيعي وحمد مخلف والهام عبد الكريم وايمان احمد .

سادسا : بلغ مانشره الشباب ممن كتبوا قصصا عن المعركة من غير المعروفين في ممارستها نسبة ٥٠٪ من مجموع القصص المنشورة خلال تسعة اشهر من استمرار المعارك . وهي نسبة عالية وتبرز نتيجة مهمة كظاهرة ادبية في الحرب العراقية الايرانية .

سابعا : شارك المقاتلون في الجبهة ممن لم يجربوا كتابة القصة من قبل في كتابة قصص ناجحة ، وهي ظاهرة أدبية تبرز مدى حماس المقاتلين ويقينهم بان القلم كفوهة البندقية له تأثير كبير في تحقيق الانتصار وتجسيده .

ثامنا : لم تشارك كاتبات القصة في العراق الا بنسبة ضئيلة (٣٪) في قصص المعركة على الرغم من كثرة عدد كاتبات القصة في العراق بالنسبة لكاتبات القصة العربية في الوطن العربي .

تاسعا : مارس بعض الشعراء الكتابة في قصص المعركة مثل سامي مهدي وعبد الخالق الركابي وخالد علي مصطفى ومرشد الزبيدي وهاني ابراهيم . كما مارسها كاتب مسرحي ، هو يوسف العاني ، مما يدلل على عمق تأثير الحرب فيهم وحماسهم الشديد لها بحيث لم يكتفوا بالفن الادبي الذي يمارسونه بل اضافوا اليه فنا جديداً هو الفن القصصي .

عاشرا : اكثر كتاب القصة حماسا لكتابة قصص المعركة هم اولئك الذين يعملون في الصحافة بشكل او بآخر مثل عادل عبد الجبار مسؤول الصفحة الثقافية في الثورة وعادل كامل مسؤول الصفحة الثقافية في مجلة الف باء وخضير

عبد الامير سكرتير مجلة الطليعة الادبية . وغازي العبادي وعلي خيون وعباس عبد جاسم .

احدى عشرة : طغيان القصة القصيرة على الرواية ، فقد نشرت احدى ومائتا قصة قصيرة وعشر قصص قصيرة جداً وروايتان في فصول وقصتان من نوع القصة الطويلة القصيرة . ويعود السبب في ذلك إلى ان القصة القصيرة اقدر على احتواء ضرام الحرب العراقية الايرانية في الفترة الراهنة بينما تحتاج الرواية إلى وقت طويل لانجزاها . اما القصة القصيرة جداً فهي نفثات انفعال سريع تضرب من واقعية الخبر وتحمل نفحات المشاعر والافكار تجاه مايحدث لذا لا نتمكن من احتواء جو المعركة احتواء كاملا . هذا بالاضافة إلى ان عدد القصص التي كتبت عن الحرب العراقية الايرانية خلال تسعة اشهر من بدء المعارك جيد اذا ما حاولنا ان نقارن بين صفوف الكتابة القصصية وسهولة الانطلاق الشعري ، وهذا يدلل على ان كتاب القصة في العراق لاسيما الشباب منهم شاركوا مشاركة فعالة في المعركة كما شارك فيها الشعراء وكتاب المقالة والدراسات . ولم يتمكن كتاب المسرحية من مجاراتهم لانها الفن الادبي الأكثر تعقيداً والتي تحتاج الى المزيد من الوقت والكثير من التأمل والتأني. وهكذا أثبتت الحرب العراقية الايرانية انها ليست نشاطا عسكريا وسياسيا واجتماعياً فحسب بل هي نشاط ادبي وثقافي ايضا . فان انشطة الحياة مجتمعة تتفاعل من اجل الوصول إلى الانتصار . ومن هنا بدأت العلاقة الحميمية بين المعركة والأدب ، فهما وجهان للعملة مادام الاديب ضمير الأمة وما دامت المعركة تمثل روح الانتصار : « ان الادب والمعركة هما وجهان اساسيان لنضال الأمة وعنصران مؤثران في تحقيق انتصاراتها لان الادب اداة ثقافية واعلامية وانسانية من ادوات المعركة العسكرية والسياسية والاقتصادية وهولهذا يعكس اهداف الأمة في معركة التحرير »(١) . فالعمل الادبي هوفعل حضاري ثوري لأنه يجسد انتصارات الأمة في معاركها العادلة لاستعادة حقوقها المستلبة ويربط الادب وهو يقوم بدوره في المعركة بين حاضر الأمة رجوعا إلى ماضيها

(١) ادب قادسية صدام ودوره في المحافظة على روح الانتصار العسكري ، عبد الوهاب محمد الجبوري ،الثورة ،شباط،١٩٨١ .

وامتداداً إلى مستقبلها المشرق المنتظر . ومن هنا تتجسد في الادب من خلال معارك الأمة الروح القومية للتخلص من السيطرة الاجنبية واسترداد الحقوق المغتصبة والتصدي لأية محاولة اجنبية تسعى للابادة القومية والتخريب الثقافي(١) . لانهما يرتبطان بوشائج قوية. فكثيراً ماتسعى السيطرةالاجنبية للابادة القومية عن طريق التخريب الثقافي وهذا مافعله الايرانيون في الاحواز العربية.

خصائص قصص المعركة :

يلمسُ الممعنُ النظر في القصص التي نشرت عن الحرب العراقية الايرانية بروز ظواهر السرد والمباشرة والتعليمية والفوتوغرافية فهي تلتقط صورَ البطولة والفداء بشكل أقربَ إلى التسجيلية الوثائقية أو تلتقطُ صوراً من الحياةِ اليومية أو صوراً من ميدانِ المعركة مثلَ قصة (المقاتل) لجاسم هاشم العبادي والتي تتناول عملاً بطولياً قام به أحدُ فلاحي ميسان حيث أسقط طائرة معاديةً بغدارته ، وقد نشر هذا الخبر في احدى الصحف فسجله جاسمُ هاشم في قصته . وقصةِ (المقتحمونَ الثلاثة) لعادل كامل والتي تتحدث عن عملية اقتحامية في ميدان المعركة طالما سمعنا بها وبأمثالها من العمليات البطولية التي يقومُ بها جنودُنا البواسل. ولا نتجنى إذا ما اكدنا بأن معظمَ قصصِ الحربِ العراقية الايرانية تفتقد إلى التقنية القصصية على الرغم من أنها تمثلُ في الاغلب الأعمِ تجاربَ انسانيةً حقيقية. ولكن الثقافةَ والتقنيةَ والتمرسَ لها الدورُ الكبيرُ في الفن القصصي .وهناك فرق كبيرٌ بين سرد الحدث او الخبر وبين البناء الفني القصصي ،فالأول عمليةٌ تأريخيةٌ خالية من الخلق والابداع لأنها عمل سطحي لاعمق فيه ولاأبعادَ ولارؤية بل هو النقل المباشر لما هو كائن . والقصة عمل ابداعي يتعمق الابعادَ ويرصدُ الاحتمالاتِ ولاينقلُ الواقعَ انما يختارُ الزاويةَ الفنيةَ التي لاتجسدُ الواقعَ بل تبحثُ عن الحقيقةِ وتسعى لاكتشافها ،فالفنانُ الاصيلُ مناضلٌ أصيل ،لأنهما معاً يكشفان زيفَ الواقع

(١) آدب قادسية صدام ودوره في المحافظة على روح الانتصار العسكري،عبد الوهاب محمد الجبوري ، الثورة ، شباط ، ١٩٨١ .

ويسعيان للوصول إلى الحقيقة وتثبيتها وابرازها للملأ لتغير ماهو كائن إلى مايجب ان يكون: «ان الفن في جوهره عملية نضالية من نوع خاص في حقل الابداع والخلق والابتكار والتجديد، بينما تتحدد هوية النضال بأنها العملية ذات التحرك النوعي الابداعي في ميادين المعارك والملاحم البطولية وساحات الحرب. ومن هذا المنطلق في تحديد الأصالة الفنية المرتبطة بالأصالة الكفاحية. لايمكن للفنان غير الأصيل ان يتعامل بعمق واع عبر نتاجه أو يخلد معركة أصيلة يتضاءل فيها جهده الفوري المباشر مع كثافة القدرة القتالية العالية لدى الجندي في ساحة الوغى، وقد يكون الأمر مقبولا إلى حد حالة من حالات التسجيل الآني في ظروف احتدام المعركة القومية وحدة التأزم الداخلي في وجدان الفنان عموما، أو عدم القدرة الفعلية المواتية على التلاحم التوام معها، أن تكون التجارب فوتغرافية جاهزة تفتقر إلى عمق صورة الوعي او اللاوعي، ولكنها تبقى وفق الرؤية النقدية التقريرية عاجزة تماماً عن بلوغ أصالتها الحقيقية منشطرة عن الكينونة الملتحمةفي مطاوي اغوارها العميقة. ومن الجائز ان يدفع عنصر تجاوز النضال المصيري الأصيل للتجربة الفنية الاصيلة، إلى تعطيل أوتأخير افرازاتها إلى مابعد فترة النضوج والاكتمال» (١). ولايعني ذلك ان القاص العربي الذي تناول في قصصه الحرب العراقية الايرانية ابتعد عن التقنية القصصية، فقد نشرت قصص فنية جيدة عن الحرب فقد ألقى علي خيون الضوء على الدوافع التي تحرك بطل قصته (في الطريق إلى الجبهة).

وقد عني القصاص ببيان الاسباب التي دفعت العراق لخوض الحرب كما في قصة (يوم الصواريخ) لعادل عبد الجبار. وفي قصة (القمر العربي) لصلاح رؤوف الانصاري. كما اجادوا في تصوير العلاقات الجديدة بين افراد الشعب والعلاقة الحميمة بين الخاص وارتباطه بالمعركة حيث يربط خضير عبد الامير في قصة (وحدتي العسكرية حبيبتي) بين حبه ووحدته العسكرية.

(١) الفنان والمعركة القومية، علي الحلي، الثورة في ١٩٨٠/١١/٢١.

وتغيرُ الحربُ سلوك بطلِ قصة (الثقفي ..العبيدي في القادسية) من اللامبالاة إلى المسؤوليةِ والتضحية في سبيل الوطن، لعمر الطالب. ومثلُ هذا التغيير في سلوك الشخصية من السلبية إلى الايجابية نلمسه في قصة (قصة رجل حقيقي) لعبد الستار ناصر. ويربطُ بطلُ قصة (رجل لايهزم) لعمر الطالب بين الاسرةِ والوطن فهو يراهما معاً من خلال تأديته لواجبه العسكري .وتبرز قصص الحرب ماافرزته المعارك من تكريم الابطال وأسر الشهداء وتكريم الاسرى كما في قصص (للزمن ثلاثُ حالات) لعلي خيون والتي يجسد فيها تكريم الاسرى، و(الرمز) لعادل كامل التي تصور جولات السيد الرئيس صدام حسين لاسر الشهداء وللمستشفيات لمواساة الجرحى .و(الهدية) لخضير عبد الامير والتي تبرز الهدايا التي قدمت للقوات المسلحة في عيد الجيش .وتكثر قصص البطولة والفداء وما حققه الجيش العراقي الباسل من انتصارات في المعارك كما في قصته (الجسر) لحامد الهيتي وقصة (رسالة إلى الجندي ابراهيم) لمحمد مزيد (١). والعلاقات الجديدة التي تربط بين المقاتلين كما في قصة (المدى والقرب) لعمر الطالب والتي تروي مساعدةَ ضابط طيار لمساعده الذي اصيب اثناء عمليةٍ عسكرية في ارض العدو، ومسيرتَهما الشاقة إلى ان يصلا إلى مواقع القطعات الامامية لجيشنا الباسل. ومثلها في الحدث قصةُ (المهمة) لخضير عبد الامير. وتجسدُ قصص المعركة دورَ الكهول والشيوخ في الاندفاع إلى القتال كما في قصتي (كرسي الخيزران) لهاني ابراهيم (والاجداد وابناء الاحفاد) لعمر الطالب. و(حكايات الشموس العراقية) لرجاء البهيش التي تحكي موقفَ الجدة الوطني وهي توصل حفيدَها إلى حيث يذهب إلى ارض المعركة مذكرةً اياه ببطولات جده في ثورة العشرين (٢). كما تناولت قصص المعركة دورَ الشعب الايجابي ومساندته القوية لقيادته على نطاق الاسرة كما في قصتي (نور

---

(١) ينظر: عبد الجبار داود البصري «نظرة تفرعية لعطاء القصصي» جريدة الثورة في ١٩٨١/٢/٢٢.
(٢) ينظر: ممدوح ثابت «القصة في المعركة» الجمهورية في ١٩٨١/٢/٢٨.

الوطن، والثالث والعشرون من ايلول) لعمر الطالب وعلى مستوى جماهير الشعب كله كما في قصة (الخزان) لعمر الطالب ايضا.

وهكذا لم تدعْ القصةُ القصيرةُ في العراق جانباً من جوانب الحياة الا ووظفته للحرب العراقية الايرانية، ولكن الجانب الطاغي في التناول القصصي هو ذلك الجانب الذي تناولَ البطولاتِ العظيمةِ والفداءَ الكبيرَ الذي قدمه المقاتلُ العراقيُ في ساحات القتال

(٢)

لو استقرأنا قصص الحرب العراقية الايرانية لوجدنا ان البطل المقاتل يستحوذ على معظمِ هذه القصص، وتلعبُ البطولةُ والاقتحامُ والتضحيةُ الدور البارز فيها ،ويعود السبب في ذلك إلى ان القاصَ العراقيَ انتزعَ احداثَ قصصه من ارضِ الواقعِ وبطولاتِ المقاتلين التي أدهشتْ العالمَ كلَه واستردت كرامةَ العربِ واحباطاتِهم المتتاليةَ في فلسطين ، واستمدوا أبطالهم من ابناءِ الشعب العراقي الصامد المقاتل بايمانٍ وعزيمة لايقهران لاسترداد الارض والمياه العراقية ،المغتصبة من قبل المعتدين الايرانيين فبرزت البطولاتُ بشكلٍ عفوي وتلقائي بتزاوج الحقيقةِ التاريخية مع العملية الفنية الابداعية :«ان هذا اللقاءَ العفويَ المقترنَ بالصدفِ الضرورية. التي تبرزُ معالمَ الحدثِ الجوهريةِ بين الحقيقةِ التاريخية متمثلة بالشخصياتِ الشعبيةِ البسيطة (الانموذج) ومواقفها الصادقةِ وبين الحقيقة الفنيةِ متمثلةً بالبطولةِ الايجابيةِ الفنيةِ ،المعبرةِ عن الواقع النفسي والثوري للامة» (١) كان له الدورُ المؤثرُ والفاعلُ في ولادةِ القصص الثوري البطولي والذي سيفتح امام القصة العراقية آفاقاً ايجابيةً جديدة بعد ان غرقت في السلبياتِ والاحباطِ النفسي والقلقِ والضياعِ من جراءِ الانتكاساتِ التي اصابت الامةَ العربيةَ في تاريخها الحديث. فان البطولةَ الباهرةَ التي تجلتْ في مقاتلينا على ارضِ المعارك ، انتزعت من نفس كلِ عراقي بل كل عربي ماكان يحسه من قلق وهزيمةٍ على الساحة العربية . لقد اجتمعَ الواقعُ والمعركةُ والشعبُ لخلقِ الانموذجِ البطل الذي نقرأونسمع

(١) ينظر: باقر جواد «البطل النموذج والبطل الايجابي في قصص المعركة» الجمهورية ، كانون اول /١٩٨٠ .

ونشاهد ونعايش تضحياته الباهرة وفروسيته العالية على ارض المعركة . وقد تناول كتاب قصص المعركة الطيار المهاجم والمقاتل في ارض المعركة كما في قصص (التميمة) للطيف ناصر حسين، و(غارة سمينة) لعواد علي، و(هواء جديد) لسامي مهدي و(رفيف الطائر الابيض الجميل) لعادل عبد الجبار و(مكان رائع تحت الشمس) لعلي خيون و(المدى والقرب) لعمر الطالب . وقد تجلى العمل البطولي للابطال الطيارين حتى في حالة سقوط طائراتهم من قبل العدو. وتصميمهم في الوصول إلى مواقع الجيش العراقي الباسل. وقد تناقلت الاخبار العديد من هذه البطولات الباهرة والتضحيات العظيمة ،والصلابة التي لاتقهر .

وجسدت هذه القصص بطولات المقاتلين على ارض المعركة والمجابهة البطولية التي خاضها الجيش العراقي مع العدو الايراني ، كما في قصص (القمر العربي) لصلاح الانصاري و(لم اكن اعرف) لايمان احمد و (الطوابق الخمسة) لعواد علي و (المقاتلون الثلاثة) لعادل كامل و (عملية خاصة) لسامي مهدي و (جندي واحد) لعبد الستار ناصر وغيرها كثير . فأن قصصا اخرى جسدت مشاعر المقاتل في الصفوف الخلفية من الجبهة او هو ذاهب للاشتراك في معركة الحق. مثل قصص (المقاتل) لجاسم هاشم العبادي (١) و(يوم الصواريخ) لعادل عبد الجبار و(الطريق إلى الجبهة) لعلي خيون و(شمس كالقمر الشاحب) لغازي العبادي و(الناقلة) لخضير عبد الامير و(الحلم) لعادل كامل ، و(العشاق) لحامد الهيتي و(العريف) لعبد الستار ناصر و(النسر) لسامي الكنعاني و(اجنحة النسر) لعباس عبد جاسم وغيرها كثير. وقد تناولت قصص اخرى البطولات المذهلة لجنود البحرية العراقية وتصديهم العظيم لتحرشات واعتداء الاسطول الايراني كما في قصتي (المياه) لعلي خيون و(قمة جديدة لرجال البحر) لباسم عبد الحميد حمودي ، وهي تحكي قصة صمود

(١) ينظر : باسم عبد الحميد حمودي «قراءات في ادب المعركة، القصة القصيرة» الاقلام ٣، ١٩٨١.

رائع لضابط بحري وجندي ثلاثة ايام في البحر بعد تدمير زورقيهما وقدتناول عمر الطالب الحدث ذاته في قصة (النورس) .

ولاتقتصر القصص في تجسيدها لمواقف البطولة على ساحة المعركة فقط بل تتناول الطاقة البطولية الكامنة في نفوس الشعب العراقي واحساسهم الكبير بالمسؤولية الملقاة عليهم ضد الاعتداء الغاشم الذي وقع على العراق من قبل حكام ايران فاذا جسدت قصة (الاصابع المورقة) للطيف ناصر حسين مشاعر طفل اثناء غارة جوية فقد جسدت قصة (زوجة مقاتل) لعبد الستار ناصر مشاعر زوجة مقاتل تحولها المعركة من موقف سلبي إلى ايجابية مطلقة . وجسدت قصة (الثالث والعشرون من ايلول) لعمر الطالب مشاعر اسر عراقية اثناء شن اول غارة جوية معادية وتحمل كل فرد من افراد الاسرة لمسؤولياته على أفضل وجه،وماهذه الاسرة الا نموذج لجميع الاسر العراقية في ادراكها لمسؤولياتها في الحرب الدائرة، وقد تجسدت في قصة (الخزان) لعمر الطالب مشاعر الشعب كله تجاه احتراق خزان نفطي اثناء غارة معادية، وتأدية الجميع لواجبهم في اخماد الحريق ابتداءاً من الشيوخ وانتهاءاً بالاطفال. وقد انتزع كتاب القصة أبطالهم من واقع المعركة والحياة وهو مطابق للحقيقة لاللمثل الخيالية فهو اذن :«ليس مفهوما تجريديا بل متأصل في الحالة الفعلية للعالم ، وهو لايقف على الضد من الواقع . انه تركيب لخصائصه الرئيسية في ضوء التطور الآني والمستقبلي ... وللبطل جانبان مزدوجان فهو يجسد كل ماهو متقدم في الحياة .كل الانجازات الرفيعة التي تحمل بذرة المستقبل إلى جانب انه يربط الماضي والحاضر بروابط مثالية تدلل على الوسيلة والهدف لتحقيق آمال الشعب »(١).

وابطالنا الحقيقيون هم اكثر اصالة وعظمة من الابطال الخياليين الذين تخلقهم مخيلة الفنان بشكل تجريدي . وهم يمثلون المواقف الايجابية من الحياة مقابل الضياع والهزيمة ويمثلون الاقتحام ضد الاحباط : « ان مايجعل ابطال القصة العراقية

(٢) سامي محمد «البطل في الفن» الجمهورية ،١٩٨٠/١٢/٧

على درجة من التجاوز لواقعهم كونهم يسيرون في خط معاكس لهزيمة حزيران والحرب تشدهم لأن يتنفسوا بعمق عما يعتمل في دواخلهم من هموم لائبة بين هم الهزيمة ونشوة الانتصار ، انها شخصيات لاتعاني من الازدواجية المبهمة وهم ابطال متعددون في ملامحهم . الاّ انهم محددون في خصوصياتهم الشعبية والاجتماعية »(١) .

وكان من المفروض ان تبرز الشخصيات الجماعية والبطولة الجماعية في القصة بدلاً من الشخصية المحورية والبطولة الفردية ،إلاّ اننا لانجد الابطال الجماعيين الاّ في قصص قليلة محددة من فيض قصص الحرب مثل قصتي (الخزان، والثالث والعشرون من ايلول) لعمر الطالب .

اما اكثر قصص المعركة فقد اعتمدت البطل الفرد مما يقصر البطولة على افراد بعينهم بينما تلمس من خلال الواقع ان الشعب العراقي كله تميز بالبطولة و الاقدام اثناء الحرب سواء أكانوا مقاتلين في الجبهة ام عاملين بعيداً عن الجبهة في المدن وا لارياف العراقية. وتبرز سلبيات فنية اخرى في القصص التي تدور حول البطل الواحد : كأن تدور القصة حول هذا البطل مهملة الشخصيات الاخرى في القصة . مما يحدد الحدث من وجهة النظر الاحادية للبطل وينعدم الحوار الجدلي المتفاعل والبناء الناتج عن تصارع القوى وتلاحق الافكار . مما يضطر القاص إلى افتعال الاحداث احياناً والاسهاب في الوصف او تتابع الاحداث العاطفية والمؤثرة القريبة من المواقف الميلودرامية (٢).

وقد يعود السبب في ذلك إلى ان معظم كتاب قصص الحرب العراقية الايرانية ـ اذا استثنينا المقاتلين في الجبهة و هم قلة ،استمدوا احداث قصصهم من الاخبار والوقائع التي تنشرها الصحف وتذيعها المذائع وتعرضها شاشات التلفزيون ويرويها العائدون من الجبهة عن بطولة المقاتلين وشجاعتهم، وفدائهم العظيم، مما أثار القاص وبهره وزاد في انفعاله : « والواقع ان قصص المعركة

(١) عباس عبد جاسم «البطل الايجابي في قصص الحرب» مجلة الف باء، العدد ٦٣٤، ١٩٨٠ .
(٢) عبد الجبار داود البصري ،الشخصية المحورية في القصة، الثورة ١٥، /٢/ ١٩٨١ .

حاولت ان ترصد وتكشف القدرات الدفينة للانسان الجديد كما حاولت رد اعتبار إلى نماذج كانت ظروف الواقع الاجتماعي القاسي فرضت وضعها في موضع اجتماعي معين... وحاولت منح قيم معنوية جديدة لبعض الممارسات الاجتماعية السائدة كقيم الحب او ايجاد بديل لحلم فردي من خلال حالة تعويض تشكل بديلا موضوعيا لذلك الحلم كما في قصة (الرصاص) لعادل كامل»(١). وقصه (العريف) لعبد الستار ناصر الذي حولته الحرب والمشاركة البطولية فيها من انسان سلبي منزو إلى بطل ايجابي مقتحم.

وقد تمكن القاص العراقي في قصص الحرب عند تمحور قصصه حول بطل واحد من الجمع بين السرد والتداعي، ولعب المونولوج الداخلي دوراً مهماً للربط بين الحاضر والماضي والمستقبل عن طريق الحلم وتداعي الذكريات مما حقق للقصص مذاقا فنيا خاصاً مثل (الحلم) لعادل كامل و (رفيف الطائر الابيض الجميل) لعادل عبد الجبار و (العريف) لعبد الستار ناصر و (الرجل الذي لايهزم) لعمر الطالب وغيرها من القصص. كما حققت المحورية لهذه القصص التركيز وعدم تشتت الحدث(٢) وهي سمة أساسية من سمات القصة القصيرة الجيدة. كما ساعدت الشخصية المحورية القاص على الاستعانة بالرمز لاعطاء المعادل الموضوعي للحدث، ولعب الرمز دوراً هاماً في نجاح بعض القصص ولاسيما رمز الطيور كما في قصتي (رفيف الطائر الابيض الجميل) لعادل عبدالجبار و (العريف) لعبد الستار ناصر بينما فشل الرمز في اعطاء المعادل الموضوعي في قصص مثل (الفنيق) لعادل عبد الجبار و (السماوات) لحامد الهيتي (٣). وقد لعب رمز الطيور دوراً مهماً في قصص الحرب العراقية الايرانية كما في القصص الآتية (الثالث والعشرون من ايلول، والنورس) لعمر الطالب و (ليل الخنادق، ودروب الحرية) لعبد الستار ناصر و (حومة [illegible]

(١) حمزة مصطفى «النموذج الجديد قراءة اولية في قصص قادسية صدام» الثورة ٢٠/٢/١٩٨١.
(٢) الشخصية المحورية في القصة، م.س.
(٣) عبد الجبار داود البصري، طيور في فضاء القصة، الثورة ٣٠/٣/١٩٨١.

لفارس شلاش محمد و(الطفل والطائرة) لعبد الخالق الركابي : « ان شيوع الطيور في فضاء قصص المعركة تقترن دائما بمفهوم السلام وارادته يدل على رغبة الشعب العراقي الحقيقية في اشاعة السلام ورفض الحرب التي فرضتها عليه العنصرية والامبريالية متضامنتين »(١) .

واذا اتسمت القلة من القصص الدائر حول الحرب العراقية الايرانية بالفنية وتجاوزت السطح إلى التغلغل في الاعماق وإلى اضاءة وتحليل الابعاد في معطيات المعركة واطارها القومي والحضاري وفي السياق التاريخي للأمة العربية ومعاركها المصيرية فان اكثر هذه القصص جاء مباشراً وتعليميا ومسطحا احيانا هدفه استنفار المشاعر والاثارة . ولا اعتقد ان مشاعر الشعب العراقي بحاجة إلى مثل هذا التهيج فقد زجت بكل امكاناتها في المعركة وبنية صادقة وبتفاؤل محقق بالانتصار .فالقاص مدعو إلى دقة الصنعة الفنية والقاء ضوء كاف على جوانب الشخصية المختلفة ، إلى جانب حيوية في المعالجة والبناء والحبكة وابتعاد عن النمطية والشخصيات الجاهزة مما يفقد القصة صدقها وتأثيرها في الاقناع ويوقعها في مزالق الافتعال . والاهتمام بانعكاس الحرب في نفوس الشعب في البيت والشارع والمدرسة والمعمل والحقل وفي أرجاء الحياة العامة وتجسيد مواقف الشعب البطل في المدن والارياف كالاهتمام بتجسيد بطولات المقاتلين في ساحات المعارك (٢) وان يأتي هذا التجسيد عن تفاعل ومعايشة وليس مجرد نقل خبر مسموع او مقروء او مشاهد .

(٣)

النزعة الإنسانية :

ظهرت نزعة انسانية واضحة في قصص المعركة تعبر عن الأمل الذي يتألق من العواطف الإنسانية النبيلة وسط تأجج القذائف وانفلاقها والنيران المحرقة والإطلاقات المميتة . وخراب الموت والدمار والإنسحاق . وقد بدت النزعة

---

(١) م.س .

(٢) القصة في المعركة ،جريدة الراصد ١٩٨١/٣ .

الإنسانية في قصص المعركة معادلا موضوعياً للدمار والخراب ، ولنأخذ مثلاً على ذلك قصتي (شمس كالقمر الشاحب والطعنة المؤجلة) لغازي العبادي وقصتي (الطفل والطائرة وصافرة انذار) لعبد الخالق الركابي وقصص (الأصابع المورقة والتميمة والبارق) للطيف ناصر حسين . فهي تمثل هذا الاتجاه خير تمثيل في قصص المعركة . تدور قصة (الطعنة المؤجلة) حول مقاتل عراقي يكاد الجندي الإيراني أن يتمكن منه ويقتله لولا أن يتمكن في اللحظة الأخيرة من الجندي الإيراني ، وعندما يحاول طعنه تتراءى له صور اطفاله فيمتنع عن طعنه ويكتفي بأسره : «وتساءلت هل رأى هذا رعباً مماثلاً في عيني وهو يسدد طعنته الطائشة إلى صدري كما أرى أنا الآن في عينيه ؟ لقد لامست حربته المسمومة خاصرتي تصحبها رنة فرح وحشي كالذي ينطلق من صدر الوحش الكاسر وهو ينقض على فريسة غافلة يجرها جراً إلى ماوراء الأكمة لافتراسها ... ولو أفلح معي بالطعنة الأولى لعرف الله وحده عدد المرات التي سيطعنني بها بعد أن أسقط مضرجاً بدمائي . لكن لطف الله تداركني ، ولم أمت . تفجرت لحظة اليأس والخوف في نفسي إلى ينبوع أمل ومصدر قوة روحية هائلة لكي اجابه الخطر». بهذا التوق الصوفي يصف المقاتل لحظة الخطر التي جابهته عندما سدد الجندي الإيراني حربته إليه ليطعنه بها . وعندما تغير الموقف وتمكن المقاتل العراقي من الجندي الإيراني : « شعرت بأنني لن أكون ظالماً لو أعدت له الطعنة واحدة بواحدة وجاء دوري » . ولكن العواطف الإنسانية تحول دون المقاتل العراقي وطعنه للجندي الإيراني : «كان محمد واقفاً فوق صدره يذب عنه بحمية وكانت سمية وأشواق ممسكتين بيدي الأثنتين كل واحد بيد : ، لايابابا ، لايابابا ، خطية . أرمي البندقية من يدي واختطف الصغير محمداً وأضمه إلى صدري ». ان تصور أطفاله يدافعون عن الجندي الإيراني لامن أجله بل من أجل أولاده ، دفع المقاتل العراقي إلى التفكير في أمر هذا الجندي وهو يخرج صورة أولاده ويدفعها اليه وكأنه يطلب منه أن يبقي على حياته من أجل هؤلاء الأولاد : « والآن عرفت لماذا أغمض أبوهم

عيبيه عندما حاول طعني فهو لايريد رؤية سمية ومحمد وأشواق ، أما أنا عندما فتحت عيني باصرار وحملقت به فقد كنت أود رؤيتهم من خلال الخوف الذي تجسد في عينيه . وثانية استغل الفرصة المؤاتية وشهر الصورة في وجهي وكانت طعنة نجلاء لم أتوقعها ولكنني أحسست بها تغور بعيداً في قلبي الذي يعاني ضعفاً لاحدود له تجاه الصغار ... إلاّ أنه من المؤكد فهم الإشارة التي عملتها لينهض على قدميه واقفاً ويأخذ مكانه إلى جانب جماعته الأسرى». لقد استطاع غازي العبادي خلق التوازن بين لحظة الخوف ومجابهة الموت ، ولحظة العطف والإنطلاق إلى الحياة من خلال حديث المقاتل عن نفسه وهو يصور لحظته المأزومة تلك التي اعتمدت على أربع حركات . الحركة الأولى : مجابهته للموت بطعنة مدية من الجندي الإيراني إن تمكن منه . الحركة الثانية : تذكره لأطفاله (محمد وسميه وأشواق) في لحظة الخوف من تركهم يتامى . الحركة الثالثة : تمكنه من الجندي الفارسي في محاولة يائسة ، والإصرار على قتله ليجابهه بالمثل . الحركة الرابعة : تصور أطفاله يذودون عن الجندي الإيراني ويمنعون والدهم من قتله . لتأتي بعد هذه الحركات الأربع إلى الحركة الأخيرة حيث يشير المقاتل العراقي إلى الجندي الفارسي أن ينهض ويقف مع الأسرى ، لتنتهي القصة الجميلة المؤثرة ، بربطهم واقتيادهم إلى المعسكر العراقي وهم في طريق العودة اليه . وقد تمكن غازي العبادي بفنية عالية ان يوازن بين اللحظة المأزومة في الحاضر وبين الماضي مستعيناً بأبسط أساليب السرد القصصي . التذكر ، وهو يشرح انفعالاته عبر الحركات الأربع للقصة . من غير لجوء إلى أسلوب التداعي أو المونولوج الداخلي ، كما استطاع أن يوازن بين لحظات العنف التي تحتمها الحرب وبين العواطف الإنسانية النبيلة (عاطفة الأبوة) . لينتصر الإنسان في النهاية على البشر القاتل وإن كان القتل مشروعاً في حالة الدفاع عن النفس .

ويبقى التوازن بين رهبة الحرب والموت الكامن فيها مع العواطف الإنسانية النبيلة والحياة هما الأساس في قصة غازي العبادي الثانية (شمس كالقمر

الشاحب) ولكن الكاتب هنا لايستعين بالاستبطان لخلق هذا التوازن بل يلجأ إلى الرمز ، فالجندي العراقي بتضحيته وحبه لأرضه ووطنه امتداد لجند آشور والجندي الإيراني السفاح الذي يقتل الأطفال ويدع (ملهاة) الطفل على قارعة الطريق هو امتداد للجندي الفارسي المعتدي الذي علمه جند آشور درساً عظيماً في المعارك عندما حاول الفرس الإعتداء على أرض العراق . وبتوازن الموت والدمار بالحياة والإنطلاق والعواطف الإنسانية فملهاة الطفل ترتبط في ذهن بطل القصة وراويهاباابنه زيد ، وما قد يكون أصاب الطفل قد يصيب ولده (زيد) وهكذا تسمق العاطفة الإنسانية وتخلد كخلود نخيل العراق التي يرمز بها للحياة والبقاء ، فملهاة الطفل الملقاة على قارعة الطريق . والممثلة لهول الحرب ودمارها يقابلها سموق شجرة النخيل وبقاؤها حية متحدية لأهوال الحرب وموته : «أحسست بانقباض في موقف الباص هذه ملهاة ولدي الرضيع زيد وفي ذلك الموقف دمية ابنتي ضفاف وفي الموقف الآخر لعبة ولدي سهيل ، ولكن هذه الملهاة من أي فم بريء سقطت . ومتى بل ولماذا ؟ وهل نجت الأم برضيعها وصغارها ... كان صوت بكاء الرضيع المجهول يملأ رأسي ويختلط بصراخ زيد الذي مازال صداه يتردد في أذني عندما كنت أداعبه ... وقد مرت قذيفة أصمت أسماعنا وبددت السكون وأيقظتنا من اللحظات الأثيرية إلى الواقع الذي نحن فيه وكما يهرع الخلد إلى مخبئه هرعنا وعانقنا النخلتين ، كل واحد لاذ بنخلة . في تلك اللحظة شعرت باطمئنان غريب وأنا أحتضن جذع النخلة السامقة المتطاولة بشموخ يوازي شموخ الوطن ».

وتظهر هذه النزعة الإنسانية في أكثر القصص الدائر حول المعركة وتبرز عاطفة الأبوة بروزاً واضحاً في هذه القصص للتوازن مع القسوة والدمار . ففي قصة (الأصابع المورقة) للطيف ناصر تدفع عاطفة الأبوة النقيب محمد لإيقاف الإعتداء الإيراني على العراق مضحياً بحياته من أجل إبنته الصغير لتي فقدت أصابعها أثناء الإعتداء على الطلبة في حادث الجامعة المستنصرية :

«وبعد ذلك الرسغ . تستطيل الذراع دونما أصابع ، ياللعنة الأصابع الصغيرة التي كانت تمسك بالأقلام الملونة لترسم فوق الأوراق باقات من الورد وحيوانات صغيرة تقف لتشرب من نهير تظلله الأشجار والشمس تشرق من بينها هالة من خطوط ذهبية ترفع الورقة لتريها له .. أهي حلوة يابابا؟ . شرق محمد بدموعه وهو يرنو إلى الذراع الصغيرة الملفوفة ونهايتها المدورة التي فقدت أصابعها . كزّ على أسنانه وشدّ قبضتيه ، ودّ أن يحطم شيئاً أي شيء لكنه ارتد حين رآها قد أغفت .... قال بحرقة : لن تستطيع الرسم ثانية ». ونجد نفس التوازن بين الحياة المتمثل في الأطفال والموت المتمثل في خنادق الحرب ودمارها في قصة (البارق) للطيف ناصر حسين أيضاً ، فالبطل (فيصل) يقاوم ثلاثة أيام وهو جريح في خندقه من أجل أولاده والعودة اليهم ، ويختلط الأولاد بالوطن في هذه القصة ، فإذا قاتل فيصل وصمد ببطولة من أجل أولاده فإنما يفعل ذلك من أجل وطنه أيضاً حيث يتحد الإثنان الأولاد والوطن ولا يمكن الفصل بينهما : «عندما استوى ثانية متكئاً على الجدار أحس بالرطوبة تتسلل إلى كل خلية من خلاياه وكانت ملابسه قد تلطخت مدّيده إلى الزمزمية المركونة في الزاوية ، بلل شفتيه أولاً ثم أخرج منديلاً من أحد جيوبه ، كانت في المنديل رائحة زوجته ودفء بيته .... بابا لا تبكي يابابا .

— لايابني انه المطر فالرجال لايبكون ....

— اتركوني في موضع ، دعوني وقاتلوا الأعداء . لست بحاجة إلى شيء اتركوني .

وحين قال النائب الضابط سعد : — ولكن ياسيدي كيف نتركك بين الأعداء . صرخ بشدة : — انني آمرك بذلك . نظر إلى الساق الممدة فكر لو استطاع بترها لما توانى عن ذلك لحظة واحدة . إنه يسمع أصواتهم تمتزج مع أزيز الهواء ، أصوات الأعداء غير بعيدة عنه آه لو استطاع الحركة والوقوف على قدميه ، إذن لزغردت الكلاشنكوف بألف أهزوجة ». وفي هذه القصة أيضاً ينتصر الإنسان على الموت والهول والدمار الذي تخلقه الحرب . وينقد النقيب

فيصل من قبل جنوده بعد إنتصار ساحق على الأعداء . وقد مثل النقيب فيصل روح الصمود والإنتصار ، لينقل بعد ذلك إلى مستشفى الميدان .
وتنتصر النزعات الإنسانية المتمثلة في الدين والقومية على الموت واهوال الحرب فإذا ماسقطت طائرة الطيار (ثائر) في أرض العدو الإيراني ، فإنه يؤمن بأن التميمة — القرآن الذي يحمله في عنقه — سينقذه ، وسرعان مايتجسد الإنقاذ في هيئة جماعة من الثوار العرب في عربستان حيث يقودونه إلى ما وراء الخطوط العراقية في قصة (التميمة) للطيف ناصر حسين ايضا. وتأخذ النزعات الانسانية شكلا أكثر عمقاً في قصتي عبد الخالق الركابي (الطفل والطائر وصفارة انذار). فلعب الاطفال يمثّل براءة الحياة وعذوبتها حتى في حالة لعبهم لعبة الحرب، ويقابل هذه البراءة الدمار المتمثل في الطائرة الايرانية التي اسقطتها المقاومات الارضية العراقية، ويقف حائلا دون الموت. دون الوصول إلى الطائرة . الأم التي تمنع ولدها (جميل) من الخروج مساءاً للعب مع الاطفال ، وحارس الطائرة الذي يمنع كل من يقترب منها خشية ان تنفجر ، ويتمثل ذلك في قوله للطفل جميل وهو يحاول الاقتراب من الطائرة : « — لا يا ولدي ، لا فالجنود لم يصلوا بعد لرفع حطام الطائرة وقد تكون هناك قنابل ... اترضى ان تموت وانت لا تزال طفلا بعمر الورد؟ ! » ولكن الحياة المتمثلة بالطفل جميل تتعامل مع الموت المتمثل في قنبلة الطائرة ببراءة وبحب استطلاع لكشف كنه المجهول الذي خلفه الدمار والحرب . فيأخذ جميل القنبلة ويحـ ول تعديل نابضها فتنفجر وقبل ان يتمكن من الاستعانة بالحارس يكون قد انتهى ، وكأن الكاتب يريد الربط بين الوطن المتمثل بالأم، والحفاظ على الحياة المتمثل في الحارس .
— وهو يرمز إلى الجيش والقيادة — والبراءة المتمثلة في حياة الاطفال ولعبهم ، فإذا تغلبت البراءة على العقلانية وخرجت عن حدود الطاعة والالتزام بالتوجيهات والروابط التي يحتمها الوطن والقيادة ، حل الدمار بالبراءة

لأنها تنقلب عندئذ إلى رعونة، وانتصر الموت والدمار عليها . وقد جسّد الكاتب هذا الموقف بتقنية عالية مع تطور القصة وحتى نهايتها المفجعة : «لكنها لا تستقر على قاعدتها ، وعاد يتفحصها بنظرة مدققة فاصطدم بصره بتلك القطعة المعدنية اللعينة المقوسة . ضربة واحدة وتستوي القطعة فتستقر المزهرية باعتدال، على يساره لمح صخرة كبيرة ناتئة من الارض ، انها تفي بالغرض. قرفص قربها ورفع المزهرية عاليا ، في تلك اللحظة لاح لعينيه العم هاشم وقد اصبح بحجم أكبر ، انه في طريقه ليحرس حطام الطائرة في انتظار مقدم الجنود ، لا يهم لقد حصلت على بغيتي . وهوى بها نحو الصخرة . بووووم ! ! — عم ها... .» .

واذا كانت الحياة تشيع في الشارع الذي أقيمت المستشفى عليه في قصة (صفارة انذار) لعبد الخالق الركابي ايضا فان الموت والدمار يكمنان في سماء المدينة حيث الطائرات المعادية تفجر حممها وصواريخها وتمكث المستشفى بمرضاها المتراوحين بين الحياة والموت كما تتراوح المستشفى بينهما من أعلى وأسفل : «اسفل نافذتي هناك الحياة لا تكف عن الاعلان عن نفسها سواء بصرخة طفل او زعيق بوق سيارة ... وبقي الدويّ الفاجر يعلو ويهبط بالحاح». ويمضي الصراع بين الحياة والموت ، في المستشفى وبين ارضها وسمائها : «وتعاقب انفجاران آخران أضاء وهجهما الرواق المظلم فالتمعت زجاجتا نظارة طبيب لازم مريضه المتكوم في عربته، وبقيت يده تعمل بالضغط على الكيس المطاطي المتصل بانبوب يشق حلق المريض الذي كان يتنفس بصعوبة ، وترددت اصداء صليتين طويلتين انطلقتا على التعاقب، ومن ثم لعلع رشاش من موضع بعيد وسكن كل شيء ». وتنتهي القصة بانتصار الحياة على الموت وبالترقب الآمل لخروج المرضى معافين مشافين من المستشفى : «وفي الخارج كانت الحمائم قد عادت تطير ثانية وعند مقدمة الجسر تناهبت أقدام الاطفال الكرة من جديد وفوق رؤوسهم

شرعت السيارات تمرق بنشاط وأضيئت النوافذ فانعكس وهجها هذه المرة على سطح المياه» .

ونعتقد بأن الأمثلة التي عرضناها كافية للتدليل على النزعة الانسانية في قصص المعركة وانتصار الحياة على الموت والدمار الذي تخلفه المعارك والحروب .

— ٤ —

المفردات والتراكيب الجديدة

ان ما يميز قصص المعركة دخول مفردات حربية فيها او مفردات تحتمها موضوعة القصص واحداثها ،منها ما استعمل سابقا في السرد القصصي وانما بندرة، ومنها ما هو جديد لم يستخدم من قبل، كما ظهرت أوصاف جديدة لم تستعمل من قبل مطلقاً في القصة القصيرة في العراق، وقد ناسبت هذه الاوصاف طبيعة الحدث واجواءه بشكل عام او خاص . ولا يقتصر ذلك على كاتب بعينه أو قصة بعينها ، وانما هي ظاهرة عامة في قصص المعركة برمتها. ولنأخذ مثالاً على ذلك قصص لطيف ناصر حسين ولنبدأ بقصته (الاصابع المورقة) فنحن نجد الفاظاً كثيرة انتشرت في ساحة القصة منها الجديد الذي لم يستخدم في القصة القصيرة في العراق ومنها ما استخدم بندرة ضئيلة جداً «ادى النقيب محمد عامر من القوات الخاصة التحية » فاذا لمحت لفظة (النقيب) بندرة في القليل من القصص فان لفظة (القوات الخاصة) لفظة جديدة كل الجدة في الاستعمال القصصي. «خلع الملازم الأول عبد المسيح عبد الاحد البيرية تحيط به مجموعة الدفاع الجوي ». فاذا استعملت لفظة الملازم الأول بقلة، فان لفظتي (البيرية، والدفاع الجوي) جديدتان كل الجدة في الاستعمال . ويأتي اسلوب السرد جديداً ايضاً على القصة في العراق : «يتقدم مجموعة الدفاع الجوي نحو المرتفعات المحيطة بالجسر وحين اختفوا عن الانظار وراء صخور رمادية اللون، اندفع النقيب محمد عامر قائد المجموعة الاقتحامية تتبعه المجموعة باسلحتها المختلفة. عرف كل واحد منهم واجبه وما يترتب

عليه القيام به، فالتحموا جميعا بأسلحتهم، وامتدت بينهم وبينها الأواصر التي لا يعرفها الا المقاتلون، التحمت الاصابع بالزناد، زناد الكلاشنكوف والآربي‌كي. ومدفع الهاون والآربي جي... تقدمت مجموعة الاسناد نحو الجسر بعد التفافة طويلة. اشار الملازم طه عبد الغفور لافراد مجموعته بالانبطاح.

عند فوهة الجسر ثمة شاحنة ايرانية وجنود فرس، جلس بعضهم على مقدمة الشاحنة ورفوفها وهم يثرثرون ويدخنون ... تقدمت مجموعة الاسناد نحو الشاحنة، كانت صناديق الاسلحة وعلب العتاد مبعثرة في الجوار، وثمة جثث القتلى واحذية افراد العدو الفارين». وفي اسلوب السرد وتراكيبه ومفرداته واوصافه كل جديد على القصة في العراق منحته الطبيعة القصة وموضوعها واحداثها. وتكثر في القصة اسماء انواع الاسلحة والدبابات والطائرة السمتية. والدروع ومجموعة الاسناد، والبدلات العسكرية وغير ذلك من الالفاظ التي استجدت في قصص المعركة. حتى الفعل الحركي في الحدث بات جديداً ليناسب اجواء المعركة: «أومأ محمد عامر إلى مجموعته بحركة دائرية من ذراعيه فانتصبوا وتقدموا محاذرين، بينما علق بندقيته بكتفه وقفز متسلقاً اغصان شجرة قريبة وصار في قلبها. كان أول من فتح النار». واستمدت قصص المعركة اوصافا جديدة منها الجميلة العذبة الموحية التي تعطي للصورة كل ابعادها: «نصب القاذفة على كتفه وحدق في الافق بعد أن راح خده على انبوبها البارد فشعر بانه يحتضن حبيبته ويضع خده على خدها». او تضم اوصافاً فوتغرافية لا ايحاء فيها وانما تنقل الواقع كما هو: «وحين اندفعت القذيفة ازّت تشق الهواء متوهجة. وخلال وهلة صارت سمتية الاعداء اشلاءاً تتناثر في الجو». وقد لجأ القاص العراقي إلى ذكر الاماكن بعينها ليكون اكثر اقناعا وصدقا وقربا من الواقع فقد ذكر في هذه القصة «لاح جسر امام حسن» وذكر الكاتب نفسه في قصة (البارق): «كان الليل في سومار متشحا بصمت تمزقت غلالته بغتة». وذكر غازي العبادي في قصته (الطعنة المؤجلة) موقع كيلان، ويولع خضير عبد الأمير

بتحديد جغرافية المكان الذي يدور فيه الحدث في قصصه عن المعركة ومثله جميع القصاصين الشباب.

وقد اصطبغ الحوار بصبغة جديدة فيها الكثير من طعم المعركة ورائحتها وقد يصل الحوار إلى حد النقل المباشر عن الجنود والضباط وهم في ساحات المعارك كما في هذا الحوار الدائر بين النقيب محمد عامر والقائد في قصة (الاصابع المورقة) للطيف ناصر حسين :

«ادى النقيب محمد عامر من القوات الخاصة التحية وقال : — نعم سيدي

— تفضل بالجلوس. قالها القائد ذو الشعر الفضي وهو يتابع بنظراته خارطة احتلت سطح المنضدة امامه، كان يؤشر فوقها بقلمه ويدقق في تفاصيلها ثم اقترح على النقيب محمد الاقتراب منه وقال : — أترى هذه النقطة؟.

— نعم انها منطقة كيلان غرب يا سيدي.

— ثمة خطوط للعدو فيها وقد وقع الاختيار على مجموعتك للتوغل خلف خطوط العدو والسيطرة على جسر امام حسن في القرية التي تحمل الاسم نفسه :

— حاضر سيدي.

— ان الأمر في غاية الاهمية، ليس الجسر وحده وانما المرتفعات المحيطة به ايضا وعليك وعلى رفاقك تقع مسؤولية تأمين هذا الممر لقواتنا المدرعة.

— كل شيء واضح يا سيدي، بانتظار اوامركم بالتحرك.

— كونوا جاهزين بعد ساعة.

دوى صوت اصطفاق كعبي حذاء النقيب محمد عامر وهو يؤدي التحية مغادراً مقر القائد ، حث خطاه إلى مقر مجموعته وأصدر أمره بالتجمع » .

ان اختياري للألفاظ والتراكيب والأوصاف التي ظهرت في قصص المعركة ، من خلال قصة واحدة هي قصة (الأصابع المورقة) للطيف ناصر حسين لايتأتى من تميز هذه القصة عن سواها في هذه النواحي وإنما اخترتها اختياراً عشوائياً — غير مقصود — لأبرهن على ماذهبت اليه . وهي كثيرة في قصص المعركة .

ويكاد عبد الخالق الركابي أن يكون أقل القصصين العراقيين استعمالاً لمثل هذه الألفاظ والتراكيب والأوصاف في قصصه لأنها برمتها تدور بعيداً عن ساحات المعارك وهي أربعة قصص كتبها عن المعركة لحد الآن (صافرة الانذار ، الطفل والطائرة، عش الوقواق ، حائط البنادق) ، ومع ذلك فإذا حاولنا أن نأخذ قصة من قصصه نجد فيها مفردات كثيرة جديدة انتزعت من ظروف المعركة وواقعها . ولنأخذ مثالاً على ذلك قصته (حائط البنادق) والتي تعدّ من أبعد قصص المعركة عن أجواء ساحات القتال فهي تحكي قصة موظف قروي ترك له والده بنادق وأوصاه بالعناية بها ، ويوحي الكاتب بأن هذا الشاب سار على خط والده بعد نشوب القتال بين العراق وإيران وراح يستعد للمعركة . وقول والده يرن في أذنيه« — تأكد بأن هذه البنادق هي الارث الوحيد الذي سأخلفه لك بعد موتي ودونها لاتساوي حياتك فلساً أحمر » . وقد أورد عبد الخالق الركابي في قصته عدداً كبيراً من المفردات والتراكيب الجديدة ولنأخذ مثالاً على ذلك هذا المقطع الطويل من القصة :«ذلك ماكان يردده أبي علي سمعي وهو يلقنني مفرداته العسكرية البحتة المتعلقة بالبنادق وملحقاتها من قوانات الرصاص الجلدية وأصناف الطلقات الكرخانة والشدادة التي كان يحرص على تعليمي كيفية تعبئتها فيريني البوشة التي تتوسط الكبسونة ، ومن كيس الشمتة الذي كان لاينسى بأن ينوه بضرورة وضعه في مكان جاف وبعيد عن النار ، كان يملأها بالكمية اللازمة من البارود ومن ثم يردفها بالرصاصة . ومثلما كان المعلم يصدع رأسي في مدرسة المدينة بأسماء حروف الهجاء كان أبي يلقنني أبجديته الخاصة التي تبدأ بأجزاء البندقية من لولة وكنداغ وعين وفرشة وطرنبة ودبج وعقرب . وتنتهي بأسماء بنادقه البدائية — مصدر عذاب العائلة فيما بعد ومثار سخرية الأصدقاء — من أم وريدة وأم جنيح وأم قوطي وبشناوة تلك البندقية القصيرة بأصنافها الثلاثة القرد ذات الانبوبة الواحدة والطبنجة ذات الأنبوبتين المتجاورتين والمركوبة ذات الأنبوبتين اللتين تعلو احداهما الأخرى ، والمطموسة والدلعة والشريفة والمسلوبة

والماطلية والطكاكة رالبرنو والكسرية ... فقد حول البيت إلى ثكنة حقيقية لاينقصها سوى مدفع وحول وجبات الطعام إلى ساحة عرضات لم نكن نستغرب لو أعجبه أن يدعونا على صوت بوق ». والمتأمل للمفردات ولتركيب الجملة الأخيرة ، يجد إلى أي حدّ أثرت المعركة في المفردات والتراكيب اللفظية في القصة في العراق .

ويجد المستمر في القراءة عدة تراكيب وأوصافاً استمدت من أجواء المعارك في هذه القصة مثل : «وجدت نفسي اسير حجرته العابقة برائحة البارود والدخان ... كف عن تزييت وتنظيف تلك البنادق ... وينهمك بتنظيف وتزييت بنادقه العصملية ... شاحنات محملة بالدبابات وثمة نار موقدة تزاحم حولها الجنود ... اصيب بشظية من احدى القنابل التي ألقتها الطائرات على البناء الملحق بمحطة البانزين ... حيث الدبابات والشاحنات العسكرية التي تسحب المدافع تمر من هناك في طريقها إلى الجبهة » ولا أريد الإطالة بإيراد أمثلة أخرى من القصة ذاتها فهي كثيرة جداً . واكتفي بهذا المقدار من القصص الخاص بالمعركة في العراق خشية الإطالة .

— ٥ —

الفن القصصي :

سأتناول في دراستي للفن القصصي في قصص المعركة ثلاثة كتاب للقصة يمثلون فترة واحدة فهم من جيل الستينات : غازي العبادي وعبد الخالق الركابي وخضير عبد الأمير ، وجاء اختياري لهؤلاء القصصين الثلاثة عن قناعتي بأنهم يمثلون مستوى متقارب في كتابة القصة ولهم مساهمات جادة في الأدب العراقي الحديث . وقد كتب الأول قصتين عن المعركة وكتب الثاني أربع قصص عنها بينما كتب الثالث عشر قصص عن المعركة في الفترة التي تناولها بحثنا بالدراسة .

في قصة (شمس كالقمر الشاحب) لغازي العبادي يتناول مشاعر صحفي

يذهب إلى الجبهة لإجراء حوار مع القائد في الجبهة تمهيداً لكتابة (ريبورتاج) صحفي عن أرض المعركة مصطحباً معه مصور الصحيفة ، ولكنه يعود من دون اجراء الحوار مع القائد الذي كان مشغولاً بإدارة دفة معركة ضارية ولا ينسى القائد ان يطمن للصحفي والمصور سلامة العودة وقد تملكهما الهلع والخوف ولا سيما الصحفي بينما مضى القائد يحدثهما بابتسامته العذبة ورعايته الكاملة ، وبقدر ماكانا خائفين بدا الجنود الاشاوس غير مبالين بقذائف الأعداء . وتعطي القصة أثرها النهائي في طريق العودة حيث تتمثل وحشية الطيارين الإيرانيين من خلال لعب الأطفال وملاهيهم الملقاة في الشارع مقابل تجسيد انسانية الجندي العراقي وشهامته . وتعبر قصته الثانية (الطعنة المؤجلة) عن مشاعر جندي عراقي كاد أن يقتل بمدية جندي إيراني لولا ان يتمكن منه . ولكنه يمتنع عن قتله عندما يريه الجندي الإيراني صورة أطفاله فيرى الجندي العراقي فيهم صورة أطفاله هو ،فيضمه إلى الاسرى ويقوده إلى المعسكر العراقي . لقد استخدم غازي العبادي في قصتيه ضمير المتكلم في القصة الأولى على لسان الصحفي العراقي وفي القصة الثانية على لسان الجندي العراقي، وقد استخدم في كليهما البناء البسيط المعتمد على السرد القصصي التقليدي ولكنه طعّم هذا السرد بالذكريات في القصتين ببناء تلقائي مكين لاأثر فيه للتكلف أو الأقحام . فامتزج الحاضر بالماضي بتركيب فني جميل ولا سيما في القصة الثانية . وقد أبدع في الإنتقال من الحاضر إلى الماضي ومن الماضي إلى الحاضر من دون تكلف بتلقائية فنان مبدع من دون أن يشعر القاريء بذلك وإنما يلقيه في بؤرة الحدث وذروة المعاناة وكأنه الجندي العراقي في المعركة ، وقد تأتى ذلك من حسن الإنتقال وإجادة الكاتب فيه . وقد استخدم الكاتب أسلوب الرواية الحديثة في إعطاء أهمية كبيرة للمكان الذي يعكس الحدث ويعبر عن الفكرة المرادة هذا بالإضافة إلى إستخدام الرمز (كجند آشور ، ونخيل العراق) للدلالة على عراقة شجاعة المقاتلين العراقيين في الرمز الأول ، والدلالة على السموق والبقاء في الرمز الثاني من القصة الأولى . وقد

استعان في إبراز ذلك بالتصوير الجيد والحوار الرائع الأخاذ ، ولنأخذ حوار الراوي — الصحفي — في القصة الأولى مع المصور مثالاً على ذلك :

«وضعت شفتي فوق جرحها — النخلة — النازف وهي لما تزل بعد مثقلة بعذوقها الناضجة وأمتلىء بالغيظ والقهر والغضب :.. هل تموت ؟.

— من ؟!.

— النخلة الممزقة القلب .

— النخلة لاتخلي مكانها إلاّ لصغارها .

— حقاً ؟.

— ألا تلاحظ ؟.

فعلا كانت محاطة بالفسائل التي تطاولت حولها».

فجرح النخلة هو جرح العراق فهي رموزله ، وهي ممزقة القلب على الأطفال الأبرياء الذين حصدتهم قنابل الإيرانيين ، ولكن النخلة لن تدع أحداً يمر فأبناؤها — الفسائل — تنمو حولها وتمنع العدو من التقدم وترد العدوان والإحتلال . كما يرد مقاتلونا الأشاوس اعتداء الإيرانيين وقسوتهم في تدمير المناطق السكنية وقتل السكان الآمنين . ويجيد الكاتب إجادة مبدعة في إنهاء قصتيه ، ففي قصة (شمس كالقمر الشاحب) ينتزع الخوف من قلب الصحفي مايراه من شجاعة جنودنا الأبطال ، ويوازن بين تدفق الجنود ومدّ شجاعتهم ومطاولتهم ومدّ شط العرب . فكما تمتلىء شرايين الجنود بالدماء والحمية والاباء تمتلىء السواقي لتسقي الأشجار من مياه المدّ ، انه البقاء المتطاول والمتوارث والسامق متمثلاً بالجندي العراقي ومياه شط العرب والنخيل الاصيل إلى عنان السماء كما مجد العرب والعراقيين :«كانت مياه الشط قد ارتفعت بسبب المدّ وغمرت سواقي البساتين الصغيرة . بينما القصف المتبادل يشتد فوق رأسينا وكانت أقدامنا تخوض في مياه السواقي المترعة ولم نكن هذه المرة نركض كنا مجرد تمشي على مهل كما لو كنا في نزهة فقد أحسسنا بجيش لجب من جنود آشور العظام يحيط بنا ويحمينا». ومثل هذه النهاية الجميلة

الموحية نجدها في قصته الثانية (الطعنة المؤجلة). وقد أجاد الكاتب تصوير شخصياته ، فهي متوازنة وطبيعية ، وقد جدّ غازي العبادي في خلق التعادل الموضوعي بينها فشخصية القائد القوية الواثقةتقابلها شخصية الصحفي الخائف في ساحة القتال المرتعب من انفجار القذائف من حوله.وتقابل شخصية الجندي الذي لاتخيفه القنابل ويقف شامخاً وسط الانفلاقات غير آبه بالموت،شخصية المصور الذي يختبىء بين أشجار النخيل وهو يقطع البستان للوصول إلى السيارة. ولا يعني ذلك بأن الكاتب صور لنا شخصيات جاهزة غير نامية بل على العكس من ذلك تماماً إذ سرعان ماتنتقل عدوى الشجاعة والإقدام من القائد والجنود إلى الصحفي والمصور ويفارقهما الفرق ، ولكن هذا التطور في هاتين الشخصيتين لايأتي مرة واحدة بل ينمو مع نمو الحدث ولا نتلمسه كاملاً إلاّ في المقطع الأخير من القصة .

ومثل هذا التعادل نجده في شخصيتي الضابط العراقي والجندي الإيراني حيث يمثل الأول الرجولة والشجاعة والحب . ويمثل الثاني القسوة والتخاذل والكره. حيث لايفكر الجندي الإيراني إلاّ بالقتل والدمار فإذا ماتحول موقفه إلى الضد خار واستسلم بعكس الضابط العراقي الذي لايستكين في مواقف الشدة ويستقبل الموت كحدث عادي وإذا ماتمكن من عدوه عفا عنه وامتنع عن قتله من أجل أولاده ونسي حقده عليه وغدره به واكتفى بسوقه مع الأسرى الإيرانيين .

وعلى الرغم من جودة هاتين القصتين اللتين كتبهما غازي العبادي في اطار قصص المعركة إلا أننا نلمس فيهما أحياناً تقريرية ومباشرة كان في إمكان الكاتب إبعادهما ليبقي لقصتيه الفنية العالية في بنائهما وسردهما ولنأخذ مثالين على ذلك من قصة (شمس كالقمر الشاحب) فهو يسرد بتقريرية صماء لطف القائد في تعامله معهما – الصحفي والمصور – :«ان الرجل يحاول أن يبعدنا عن الخطر ، إنه وهو في هذا الظرف الدقيق حريص على سلامتنا وتأمين خروجنا وعودتنا إلى مقرنا حتّى انه أحضر لنا سيارة تبعدنا عن المكان

الذي هو لوحده يعرف خطورته» . وقد أثرت هذه التقريرية على أسلوب الكاتب في مثل هذا المقطع فبدا مرتبكاً وثقيلاً على العكس من أسلوبه الشاعري الموحي الذي يشيع في أسلوب القصة ذاتها .

وبقدر مايخلق غازي العبادي حواراً جميلاً وجذاباً وموحياً كما لاحظنا في مقطع سابق نجده عند المباشرة لايجيد إدارة الحوار ، ولنأخذ مثالاً على ذلك الحوار الدائر بين الصحفي والمصور وهما يتحدثان عن شجاعة الجندي العراقي : — «سأسبقك عيب الرجل في انتظارنا».

— الرجل ؟ أي رجل ؟

— الجندي السائق الذي سبقنا إلى السيارة ؟ فهو مازال بانتظارنا ؟

— كل هذا الوقت .

— أجل .

- لماذا ؟ إنهم ليسوا من طينتنا .

— كيف ؟ أليسوا من لحم ودم ؟.

— وأعصاب كذلك . ويحس بالظمأ ! ويحس بالظمأ والجوع والحر والبرد ويحب الحياة .

— ابداً انه مختلف عنا تماماً . وإلا كيف يقف كل هذا الوقت في العراء وتحت القصف العشوائي دون أن يحتمي !

— إذن هؤلاء الناس من طراز خاص » .

ونستدل مما سبق بأن قصص غازي العبادي في المعركة احتفظت بسماتها الفنية التي لمسناها في قصصه الأخرى ، وأضافت موضوعاً جديداً إلى موضوعاته التي تناولها في قصصه السابقة .

• • •

كتب عبد الخالق الركابي أربع قصص عن موضوعة الحرب العراقية الإيرانية. وتدور كلها خلف خطوط النار ، في قصته الأولى (صافرة انذار) يحكي حالة ذاتية مرت به وهو راقد في المستشفى أثناء غارة جوية ، بمنتهى الصدق

والحساسية ، وفي قصته الثانية (الطفل والطائرة) تصوير صادق لانعكاس الحرب في نفوس الأطفال وتمثيلهم للمعارك في لعبهم . وحب الاستطلاع الذي يدفعهم لتفحص طائرة إيرانية اسقطتها المقاومات الأرضية العراقية . والمصير القاتم الذي ينتهي اليه (جميل) الطفل بسبب فضوله وحب استطلاعه. أما القصة الثالثة (حائط البنادق) فتحكي الصراع بين جيلين ، الجيل القديم الذي بقي يقدس السلاح لأنه ذاق مرارة الهوان على يد الإستعمار المستغل . والجيل الجديد الذي يسخر من السلاح وأفكار الجيل القديم وأحاديثهم عن الثورات والحروب ، وما أن تقوم الحرب العراقية الإيرانية حتى يجد الجيل الجديد نفسه يسير في نفس طريق الآباء والأجداد خشية أن تذل كرامته وتغتصب أرضه . وتحكي القصة الرابعة (عش الوقواق) قصة (عذاب) الهارب من الجندية والذي سرعان مايعود إلى صفوفها بعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية .

وقد استخدم عبد الخالق الركابي ضمير المتكلم في ثلاثة قصص منها واستخدم ضمير الغائب في قصة (الطفل والطائرة) فقط . وقد أفاده ضمير المتكلم فائدة كبرى في سرد الجزيئات التي اغنت قصصه وأعطتها مذاقاً جميلاً خاصاً. وتعد قصص عبد الخالق الركابي هذه من أفضل القصص التي كتبت حول الحرب على الرغم من أنه مقل جداً في كتابة القصة القصيرة ولم يصدر له في كتاب غير رواية واحدة (نافذة بسعة الحلم) وهو شاعر معروف من شعراء السبعينات . ولا يستطيع الباحث أن يميز قصة عن أخرى من حيث الجودة، فهي جيدة برمتها فقد بنيت بناءاً فنياً بسيطاً من غير تكلف ولا حذلقة . فقد انسابت قصصه انسياباً عذباً بسرد شاعري جميل وتصوير بارع وايحاء متعدد الجوانب حتى يقودنا إلى النهاية المرجوة من سير الحدث في القصة. وقد استعان بالرمز لابراز الحالة المرادة ، واستخدم الحركة التي توحي بما سيحدث ، ففي قصة (الطفل والطائرة) لايحدثنا عن الغارة الجوية بل يستعيض عنها بتصوير حركة الطيور الخائفة المحلقة بشكل عشوائي وبدون هدف :

«مثل سحابة صاخبة انخطفت العصافير بغتة على ارتفاع خفيض متفجرة صمت الدغل المطبق بخفق اجنحتها ، بعدها طرطشت المياه مدومة حول سيقانهم وهم يعبرون النهر هناك في الطرف الآخر من دخل الطرفاء المغبر، وفاحت رائحة الطحالب المعطنة ، وفي الأعلى اعتور طيران النوارس شيء من الإضطراب» .

ويهيء الكاتب ذهن القاريء لما سيحدث ، فيجعل من لعب الأطفال نبوءة لما سيؤول اليه أمر جميل فجعله من القتلى في لعبة الحرب بين الأطفال ، ولم يكن جميل مستريحاً لهذا الدور لذا حاول أن يجتاز كل الصعوبات للوصول إلى هدفه (حطام الطائرة) فما أن يرفض رفاقه أخذه معهم مساءاً للعب بحطام الطائرة حتى يقرر الذهاب لوحده مبكراً قبل ذهاب رفاقه، ولتحقيق بغيته يحاول أن يتخلص من العقبة الأولى ، أمه . وهو في اختلاسه الهروب في غفلة من أمه يتلهى بسماع الراديو : «مستمداً من الأناشيد العسكرية الصادحة الحماس اللازم لانجاز مهمته دون تهيب ». فالأناشيد العسكرية هي الأخرى ايحاء بما سينتهي اليه جميل وكأنه جندي في ساحة المعركة . وبعد أن يجتاز العقبة الأولى يحاول أجتياز العقبة الثانية . العم هاشم حارس الطائرة . الذي يمنع أي فرد في الاقتراب منها . ولكنه تمكن من الاحتيال والمراوغة للوصول إلى الطائرة على الرغم من ردع العم هاشم له . وكانت أمامه العقبة الثالثة ، الطائرة نفسها ، ويعطي لنا الكاتب وصفاً مكانياً للأرض التي سقطت فوقها الطائرة توحي بأرض المعركة وبالدمار الذي تخلفه المعارك: «وواصل تقدمه عبر الأرض المحروقة، وهذه المرة تعثر بقطعة معدنية مستوية طويلة عليها كتابات منتظمة كأنها خطت بالمسطرة ». ترى هل يمكن أن تدلل هذه الكتابات على المقدر والمكتوب للطفل جميل ؟. فإذا ماعثر على ماظنه بسذاجته الطفلية مزهرية وحاول أن يعدل نابضها المعوج انفجرت القنبلة ولم يتم استنجاده بالعم هاشم حتى تناثر اشلاءاً مبعثرة» .

وإذا جاءت نهاية قصة (الطفل والطائرة) نهاية مأساوية لفعل التحدي لدى الطفل جميل فإن هذا التحدي ينتهي نهاية ساخرة ولطيفة بالنسبة (لعذاب) الجندي الفار من الخدمة العسكرية في قصة (عش الوقواق) فقد أتعب أخاه (عواد) منذ طفولته واستمر في عذابه له في شبابه، وهكذا استمد الكاتب اسم عذاب من تعذيبه لأخيه عواد راوي القصة، وخاصة بعد أن راح يسرق دجاج القرية وبيضها ليقتات بها في فراره الطويل من الجندية، مما يزيد في حنق عواد وسعيه وراء أخيه للقبض عليه وتسليمه للانضباط العسكري وتخليص أهل القرية من سرقاته، وتأتي النهاية ساخرة بقدر ماهي فاجعة بالنسبة لعواد: «اقتحمت الكوخ ببندقية مشرعة وكلي عزم على الامساك به ولو اقتضى الأمر قتل أحدنا، لكن، أنظروا، كان قد غادر كوخه منذ أيام تاركاً لي هذه الورقة المجعدة التي يقول فيها أنه قرر الالتحاق بوحدته مفضلاً قرقعة المدافع على سماع ثرثرتي التي ألاحقه بها باستمرار، طالباً مني أن أكف عن تشبيه بيتي بعش الوقواق لأن هذا الطائر ليس له عش، أتسمعون ياجماعة؟ ليس له عش. انه يسخر مني. لكن ذلك لم يؤلمني قدر ألمي لقوله عني بأنني ثرثار، هل حقاً أنا ثرثار». هكذا أنهى عواد حديثه الطويل المرتبك عن أخيه عذاب وما قاساه منهم طوال حياته وقد سرد الركابي قصته بأسلوب جميل فيه من تفكير (عواد) بطل القصة الشيء الكثير. وفيه من شاعرية الركابي الايماء والطلاوة والعذوبة.

• • •

اذا تميزت قصص غازي العبادي عن المعركة بتقنية عالية كما هو حاله في قصصه الاخرى، واذا تجاوز عبد الخالق الركابي في قصصه عن الحرب العراقية الايرانية ما كتبه من قصص، ونشر قصصا فنية عاليا من حيث ابتكار الموضوع المختار وشاعرية الاسلوب وبساطة البناء وشدة تأثيره، فماذا قدم خضير عبد الامير في قصص المعركة التي نشرها وهو صاحب

السجل الحافل بالعديد من القصص المنشورة والمجموعات القصصية والروايات التي اصدرها ؟.

لقد استجاب خضير عبد الامير للحرب العراقية الايرانية استجابة مباشرة ، ويأتي بالمركز الثالث في عدد القصص التي نشرت عن المعركة بعد عبد الستار ناصر وعادل كامل. وكان لاستجابته السريعة والتأثير المباشر بالاحداث الدائرة في ساحات المعارك وما وراءها ان وقف في قصصه هذه عند أبسط اشكال القصة ، ألا وهو نقل الخبر او الحدث باسلوب تقريري وسرد مباشر لخلق التأثير الآني والانفعال التلقائي ، فهو يؤكد في قصته (وحدتي العسكرية حبيبتي) انه ينقل الواقع المشاهد وما حدث فعلاً في احدى جبهات القتال حيث استلم جندي رسالة من حبيبته ولكن انشغاله في القتال والمعركة على اشدها شغله عن قراءتها وهو حدث طريف كان في امكان الكاتب ان يقدمه بشكل فني بدلاً من الاسلوب التقريري والبناء الخبري الذي عرضه بها : «ان هذه الفكرة مؤهلة جداً لعمل قصصي غير ان القاص في اصراره على استخدام الشخصية المحورية وحصرها في دائرة الحركة الخارجية فوت استغلال فكرته استغلالا جيداً، فهذه الشخصية تكاد تكون معزولة عن الابعاد الذاتية التي تحملها فكرة الرسالة والتواصل مع الحبيبة من مواقع البطولة والعطاء والتي هي ضرب من الحب غير المحدود عطاءاً وتلاحماً. والغريب ان القاص ركز على الجانب الأقل اهمية وهو غمزات رفاق الجندي ومداعباتهم له حول الرسالة على حساب الجانب الأهم، على الرغم من ان رمز عدم استطاعة الجندي قراءة الرسالة بسبب القصف له مدلولاته الهائلة، ولا أدري لماذا أصرّ القاص على الافراط في التعامل مع الحدث الخارجي»(١).

ولا تتعدى قصته (الناقلة) خبراً مروياً عن اصلاح العريف هادي لناقلة عسكرية واحضارها إلى المواقع العسكرية، وقد كتبها باسلوب اخباري تقريري بحت : «كانت ناقلة الجنود ذات سرفة حديدية متينة. هكذا

(١) ملاحظات اولية لقصص قادسية صدام ،مؤيد البحش. الثورة في ١٩٨١/٣/٢٧ .

بدت لي بعد ان لمستها وتحسست حديدها واماكن معينة فيها وانزلت حقيبة ادواتي ثم عبرت لداخلها وحاولت ان ادير محركها ولكني لم أفعل بل حددت طريقي جيداً مؤكداً على قيمة وصولها سالمة عبر طرق ملتوية استطيع أن أمر بها محتمياً بوجود سلسلة التلال المحيطة... ». فهل يخرج هذا الاسلوب عن اسلوب التقارير الشكلية والروتينية في الدوائر الحكومية؟ فكيف يمكن أن يبدع قصة ناجحة بهذا التصويري التقرير الخارجي؟. وبدت قصة (الهدية) اقرب إلى المقال القصصي وفيها يخبرنا الكاتب على لسان جندي — راوي القصة — استلامهم هدايا القيادة بمناسبة عيد الجيش في السادس من كانون الثاني. وفي قصة (وميض النار) حكايات يرويها الجنود عن اعمالهم وبطولاتهم في القتال وهم يرتشفون الشاي في ساعة راحة مع ضابطهم، وكان في امكان الكاتب ان يبدع قصة رائعة لهذا التلاحم القوي بين الضابط وجنوده في ساحات القتال لو ترك القصة تختمر في نفسه وتتجمع عناصرها ولكنه كان على عجل من أمره لسرد ما رأى أوسمع بشكل تقريري اقرب إلى الريبورتاج الصحفي. ولا تخلو القصة من افتعال الحدث والمبالغة فيه.

ولا تعدو قصة (ثلاثة مقاطع من ارض الواقع) ان تكون تصويراً انشائياً لليلة من ليالي الحرب وقد ساد التعتيم في الشوارع والدور والمحلات. وهي خالية من الحدث تماما وصائبة انسياب الوصف الانشائي.

واذا كان خضير عبد الامير قد بدأ قصته (المهمة) بداية جيدة : « كنا مع بعضنا نشكل حكاية جديدة في كل يوم ». فانه مرعان ما عاد في الجملة الثانية إلى التقريرية والأخبار : «وحكاية اليوم حينما يرويها احد جنودنا المعروفين بسرده المتأني فاننا نكون بطبيعتنا في وضع مريح حيث نخلع قمصلاتنا الفرو لنلقيها فوق ارجلنا أو قربنا ثم نشرع في التدخين والانصات. قال محدثنا وهو ينفث دخاناً من فمه وانفه : — قبل ايام سمعت بأن مجموعة من مقاتلينا ستتوجه إلى مكان ما في الجبهة لانقاذ جريح فطلبت من قائد

المجموعة ان اشاركهم رحلتهم هذه ...» وتمضي القصة في تقريريتها واسلوبها التعليمي والاحداث المتكلفة. والصفات المتتابعة والحوار المباشر : «اعقب آخر في محاولة منه لكي يسرد واقعة جديدة اخرى الأ اننا اوقفناه وقلنا له :
— علينا ان نستمع لقصة زميلنا التي بدأها ولا يجوز ان نتركه حائراً.
ضحكنا وقلنا : — نعم انه الآن طائر بين السماء والارض وعلينا انزاله فوراً.

تصاعدت الضحكات واستمر محدثنا متسائلا : — هل تريدون الاعادة أم أبدأ من حيث انتهيت؟

ارتفعت اصواتنا تطلب منه ان يكمل حديثه ، قال : — سمعت بان مجموعة من مقاتلينا.

قلنا ضاحكين : — هل تدون حديثك ام تحفظه؟ انك لم تنسَ البداية. ضحك محدثنا واستمر متابعاً » . وقد ترتبك الجمل وتثقل احياناً : « اخذت قناصته تشاغلنا لمنعنا من العودة إلى جسده الطاهر ». ولم يعمق القاص الحدث في القصة ولم يستطع تشويق القاريء وشده إلى القصة على الرغم من وجود الحدث الذي يمكنه استغلاله وخاصة تدمير القاعدة من قبل مجموعة اخرى كانت مكلفة بالعمل.

وقد تناول خضير عبد الأمير موضوعاً جميلا لقصته (اجازة جندي) واستعمل في سردها البسيط ضمير المتكلم على لسان جندي . وقلّت فيها التقريرية والمباشرة وكان بمكنها ان تكون من بين قصص المعركة الناجحة لولا انه جعل بطله الجندي الشجاع اليقظان النائم ، فبدت الاحداث متكلفة وغير منطقية. وقد حاول الكاتب استخدام الرمز في بعض قصصه كما في قصة (السحب الرمادية) للدلالة على معنى يريد ايحاءه إلى القاريء. مثل حركة الطيور واتجاهها إلى العراق هاربة من ايران، وكأنها تهرب من جحيم البطش والقسوة والكره . إلى حيث الحب والسلام والامان في العراق :

« وحاول الصمت ان يسود وحاولت مجموعة من العصافير المهاجرة ان تحط قريباً من قمم المرتفعات ولكنها لم تفعل، ابتعدت مسرعة تلاحقها الاصوات، طارت بعيداً في فضاءات مترامية الاطراف واختفت عبر الجبال متوجهة نحو أرض منبسطة فيحاء تحدها الأنهار وتخططها السواقي وتتوسطها بساتين النخيل» .

نحو أرض منبسطة فيحاء تحدها الأنهار وتخططها السواقي وتتوسطها بساتين النخيل » .

وقد حاول خضير عبد الأمير في قصته (ثلاثة أيام عربية) أن يبني قصته بناء حديثاً فأعتمد في مقاطعها الثلاثة أسماء الأيام فوضع للمقطع الأول أسم يوم المدّ . يقصد به الزحف العراقي على إيران ، وللمقطع الثاني أسم يوم اغواث وهو من أيام القادسية الأولى ، وللمقطع الثالث يوم الأربعاء وهو يوم من أيام المعركة . وحاول أن يجمع بين قادسية صدام وقادسية سعد في القصة ، ولكنه لم يوفق في خلق وحدة عفوية بين المقاطع الثلاثة بل بقيت منفصلة بعضها عن البعض الآخر ، ويشكل كل مقطع قصة قصيرة جداً لاعلاقة لها بالمقاطع الأخرى ، وهو أسلوب أتبعه في قصصه القديمة وحالفه التوفيق في بعضها في الوقت الذي جانبه التوفيق في هذه القصة . وقد جاءت بداية القصة جميلة الوصف والتصوير وسرعان ماسقطت في التقريرية والمباشرة كما في قصصه الأخرى عن المعركة .

وقد تتميز قصته (القرية) عن قصصه الأخرى ، فقد اتخذ من القرية البطل الحقيقي للقصة ، ففيها وصف دقيق للأرض التي تدور فوقها المعارك وللقرى الإيرانية وتعاطف أهلها العرب مع الجنود العراقيين . كما تبرز القصة المواقف الإنسانية لجنودنا البواسل وخاصة عندما يطلب من أهل القرية الجلاء عنها لمحاصرة الجنود الإيرانيين المنهزمين والغادرين معاً ، وقد أعطى الكاتب في وصفه للمكان توازناً مع التشكيلات البشرية ، الجنود العراقيين ، وفلول الإيرانيين المنهزمين وبينهما سكان القرية الآمنين :

« أخذ الفلاحون الساكنون هناك بنظر الاعتبار عمق الوادي المحاط بمجموعة مرتفعات متباعدة حينما اتفقوا فيما بينهم على بناء بيوتهم تحت سفوح تلك المرتفعات وفي منبسطاتها وقرروا أن تتلاصق تلك البيوت في أماكن وتبتعد في أماكن أخرى لكي تفسح طريقاً أو طرقاً ضيقة لمرورهم ودوابهم ... ان منظر القرية من واجهة أحد التلال لايثير شيئاً ، ولا يغير من لون الأرض والتراب إذ أن جميع تلك السطوح الصغيرة ذات لون واحد وان بدا بعضها منحدراً ومائلاً وظهر الآخر مستوياً نظيفاً جرفت تربته العالقة سيول الأمطار ودفقات الرياح ».

وهنا يجد الباحث نفسه متسائلاً ، لماذا لم يبدع كاتب مثل خضير عبد الأمير —وهو ذو المكانة المكينة في القصة العراقية— قصصاً جيداً عن المعركة ، وقصصه في مجموعته (الفرارة) ليست بعيدة النشر ، وله قصص كثير ناجح ؟! لعل السبب يكمن في سرعة الاستجابة للمعركة وشرف الإسهام فيها مادام للقلم والبندقية فوهة واحدة ، ولعل العمل الصحفي ومشاكل الحياة لهما دور في ذلك . ونأمل أن نقرأ قصصاً عن المعركة تليق بقلم خضير عبد الأمير كما كان الأمر في قصص عبد الخالق الركابي وغازي العبادي وغيرهما .

ثبت بالقصص الدائرة حول الحرب العراقية الايرانية حتى ١٩٨١/٦/١

١ ــ أحمد أمين	صولة الفارس	مجلة فنــون	العدد ١٠٨
٢ ــ أحمد أمين	شهادات عن الانتصار	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٥/١
٣ ــ أحمد خلف	رجال العالي	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٣/٢٦
٤ ــ أحمد خلف	رجال العالي	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٤/١٥
٥ ــ أحمد خلف	رجال العالي	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٤/٢٨
٦ ــ أحمد فخري	الجبهة	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٣/٣
٧ ــ أحمد محمد حسين	انتهت المهمة	ملحق جريدة الثورة	في ١٩٨١/٩/٢٧
٨ ــ ادهام محمد حنش	طقوس الرقص على اكتاف الموت	جريدة الحدباء	العدد٣٨
٩ ــ الهام عبدالكريم	انتظار	مجلة المرأة	العدد١٤١
١٠ ــ أنور عبدالعزيز	تلك الليلة	مجلة الجامعة	العدد الثاني / ١٩٨٠
أنور عبدالعزيز	تلك الليلة	جريدة الجمهورية	في ١٩٨١/١/٢٠
١١ ــ أنور عبدالعزيز	الحلم	مجلة فنون	العدد١٣٧
١٢ ــ أنور عبدالعزيز	فرح العمر	مجلة الجامعة	العدد الثامن/ ١٩٨١
١٣ ــ ايمان أحمد	لم أكن أعرف		
١٤ ــ باسم عبدالحميد	قمة جديدة لرجال البحر	جريدة الجمهورية	في ١٩٨١/٣/٤
١٥ ــ ثامر معيوف	صهيل الدم	مجلة حراس الوطن	العدد العاشر /١٩٨٠

١٦ — ثامر معيوف	الشمس تستيقظ من القلب	جريدة الحدباء	العدد٤٥
١٧ — ثامر معيوف	زمان الابتسامة	جريدة الحدباء	العدد٤٧
١٨ — جاسم محمد صالح	مهمة وراء الكارون	جريدة الراصد	في ١٩٨١/١/١٥
١٩ — جاسم هاشم العبادي	المقاتل	مجلة الف باء	العدد٦٣٢/١٩٨٠
٢٠ — جنان جاسم علاوي	جسر الغربان	مجلة فنون	العدد ١٣١
٢١ — حامد الهيتي	العشان	مجلة الف باء	العدد ٦٣٥/١٩٨٠
٢٢ — حامد الهيتي	الجسر	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٢/١١
٢٣ — حامد الهيتي	سماوات	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٢/٢٤
٢٤ — حامد الهيتي	عمورية حبيبتي	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٤/١٠
٢٥ — حامد الهيتي	الأحفاد	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٥/٢٧
٢٦ — حسين برهان	الرجوع إلى النقطة	جريدة الراصد	في ١٩٨٠/١١/١١
٢٧ — حمدي مخلف	اربع قصص قصيرة	جريدة الجمهورية	في ١٩٨٠/١١/١
٢٨ — حنون مجيد	العودة	جريدة الثورة	في ١٩٨٠/١٢/٢٠
٢٩ — خالد سلمان الدليمي	النهر	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٥/١٥
٣٠ — خالد علي مصطفى	الشعبية رقم ٥٧	جريدة الثورة	في ١٩٨١/ ٣/٤
٣١ — خضير عبد الامير	وحدتي العسكرية حبيبتي	جريدة الثورة	في ١٩٨٠/١٢/٥
٣٢ — خضير عبد الامير	الهدية	جريدة الثورة	في ١٩٨١/١/٢٨

٣٣ ـ خضير عبد الامير	الناقلة	جريدة الثورة	في ١٩٨١/١/٢٩
٣٤ ـ خضير عبد الامير	المهمة	جريدة الثورة	في ٤ /١٩٨١/٢
٣٥ ـ خضير عبد الامير	ثلاثة ايام عربية	مجلة فنون	العدد١١٤
٣٦ ـ خضير عبد الامير	ثلاثة مقاطع من أرض الواقع	مجلة ألف باء	العدد٦٢٩
٣٧ ـ خضير عبد الامير	السحب الرمادية	مجلة حراس الوطن	العددالرابع ١٩٨١
٣٨ ـ خضير عبد الامير	وميض النار	جريدة الثورة	في ٤ /٣/ ١٩٨١
٣٩ ـ خضير عبد الامير	القرية	جريدة الثورة	في ٥/ ١٩٨١/٥
٤٠ ـ خضير عبد الامير	اجازة جندي	جريدة الثورة	في ٢٠/ ٥ /١٩٨١
٤١ ـ دريد محمد شيت	يوم عادي في زمن الحرب	جريدة الحدباء	العدد٤٧
٤٢ ـ راضي الشحيل	الافق الجنوبي	مجلة الطليعة الأدبية	العدد الثاني ١٩٨١
٤٣ ـ رجاء البهيش	حكايات الشموس العراقية	جريدة العراق	في ٢/٢ /١٩٨١
٤٤ ـ رعد عبد القادر	الضوء	جريدة القادسية	في ٦ /٣/ ١٩٨١
٤٥ ـ زهير غانم	رسالة إلى وطن الربيع	مجلة الطليعة الادبية	العددالرابع ١٩٨١
٤٦ ـ سامي الكناني	النسر	مجلة ألف باء	العدد٦٢٦
٤٧ ـ سامي مهدي	الخطأ	مجلة ألف باء	العدد٦٣١
٤٨ ـ سامي مهدي	عملية خاصة	مجلة ألف باء	العدد٦٣٣
٤٩ ـ سامي مهدي	هواء جديد	مجلة ألف باء	العدد٦٣٣

٥٠ ـ سامي مهدي	وراء خط النار	مجلة ألف باء	العدد٦٣٤
٥١ ـ سامي مهدي	الجريح	مجلة ألف باء	العدد٦٣٥
٥٢ ـ سامي مهدي	خمس قصص قصيرة	مجلة ألف باء	العدد٦٣٦
٥٣ ـ سامي مهدي	الحلم	مجلة ألف باء	العدد٦٣٧
٥٤ ـ سامي مهدي	البلدوزر	مجلة ألف باء	العدد٦٣٨
٥٥ ـ سامي مهدي	المتسللون	مجلة ألف باء	العدد٦٣٩
٥٦ ـ سعيد عبد علي	الجسر	جريدة الثورة	في ١٧ /١٩٨١/٥
٥٧ ـ سمير اسماعيل	اوراق من دفتر مقاتل	جريدة الحدباء	العدد٣٩
٥٨ ـ سمير اسماعيل	مقاطع للصباح الجديد	جريدة الحدباء	العدد٤١
٥٩ ـ سيف الدين الجراح	سيدي إني آسف	مجلة ألف باء	العدد٦٤٢
٦٠ ـ صادق حمودي	ثلاث قصص قصيرة	مجلة الطليعة الأدبية	العددالثاني ١٩٨١
٦١ ـ صلاح الانصاري	القمر العربي	جريدة الثورة	في ١٩٨٠/١١/٢٨
٦٢ ـ طارق سليمان درويش	التألق	ملحق جريدة الثورة	في ١٩٨١/٢/١٤
٦٣ ـ طارق محمد الهيتي	تأملات على خط النار	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٤/٢٦
٦٤ ـ طارق محمد الهيتي	الزائر اليومي	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٥/٣
٦٥ ـ طه حسن	امرأة وطفل كوت الهواشم	جريدة الجمهورية	في١٩٨٠/١٢/١٢
٦٦ ـ طه حسن	الغابة الذهبية	مجلة ألف باء	العدد٦٤٠

٦٧ ـ عادل عبد الجبار	يوم الصواريخ	جريدة الثورة	في ٢٦ /١١/ ١٩٨٠
٦٨ ـ عادل عبد الجبار	رفيف الطائر الابيض الجميل	ملحق جريدة الثورة	في ٦ / ١ /١٩٨١
٦٩ ـ عادل عبد الجبار	الفنيق	ملحق جريدة الثورة	في ٨ /٢ /١٩٨١
٧٠ ـ عادل عبد الجبار	وطن اليعارب	ملحق جريدة الثورة	في ٧ /٤ /١٩٨١
٧١ ـ عادل عبد الجبار	الناعم	جريدة الثورة	في ٧ /٥ /١٩٨١
٧٢ ـ عادل عبد الجبار	صورة بابا	مجلة الاقلام	العددالخامس/٨١
٧٣ ـ عادل عبد الجبار	الرقص على اكتاف الموت (رواية)	جريدة الثورة ابتداءا من ١٩٨٠/١١/١٧ وانتهاء آب ٨ /٦ /١٩٨١ وتقع في ثلاثين فصلا	
٧٤ ـ عادل غضبان	هناك في الساحة	ملحق جريدة الجمهورية	في ١٩٨١/٣/٢٢
٧٥ ـ عادل كامل	التحدي	ملحق جريدة الثورة	في ١٩٨٠/١٠/١٢
٧٦ ـ عادل كامل	ابنة الخالة	ملحق جريدة الثورة	في ٩٨١٠/١١/٢
٧٧ ـ عادل كامل	الطريق	جريدة الجمهورية	في ١٩٨٠/١١/٣
٧٨ ـ عادل كامل	الافق	جريدة الجمهورية	في ١٩٨٠/١١/١١
٧٩ ـ عادل كامل	الرصاص	ملحق جريدة الجمهورية	في ١٩٨٠/١١/١٦
٨٠ ـ عادل كامل	في الشارع	ملحق جريدة الجمهورية	في ١٩٨١/١١/٣٠
٨١ ـ عادل كامل	العودة	مجلة حراس الوطن	العدد ١٢ / ١٩٨٠
٨٢ ـ عادل كامل	الدكتور احمد	ملحق جريدة الجمهورية	في ١٩٨٠/١٢/١٤

٨٣ ـ عادل كامل	جيلان	مجلة فنون	العدد١٠٧
٨٤ ـ عادل كامل	العلم	مجلة ألف باء	العدد٦٢٨
٨٥ ـ عادل كامل	المقتحمون الثلاثة	مجلة ألف باء	العدد٦٣١
٨٦ ـ عادل كامل	الحقول الاخرى (رواية)(١)	جريدة الثورة	في ١٩٨١/١/١
٨٧ ـ عادل كامل	الرمز	جريدة الجمهورية	في ١٩٨١/١/١٥
٨٨ ـ عادل كامل	الاصوات	مجلة فنون	العدد١١٥
٨٩ ـ عادل كامل	الشتاء الساخن	ملحق جريدة الجمهورية	في ١٠/ ١/ ١٩٨١
٩٠ ـ عادل كامل	الطائر الجريح	مجلة الطليعة الادبية	العددالثاني ١٩٨١
٩١ ـ عادل كامل	الشقيق	ملحق جريدة الجمهورية	في ١٥/ ٢/ ١٩٨١
٩٢ ـ عادل كامل	الضياء القريب	مجلة فنون	العدد ١٢٢
٩٣ ـ عادل كامل	البندقية	مجلة ألف باء	العدد ٦٣٧
٩٤ ـ عادل كامل	من يوميات مقاتل في الجيش الشعبي	ملحق جريدة الجمهورية	في ٨/ ٣/ ١٩٨١
٩٥ ـ عادل كامل	الهواء البارد	مجلة الثقافة	العددان٢، ١٩٨١٣
٩٦ ـ عادل كامل	الحلم	جريدة الجمهورية	في ٤/ ٢/ ١٩٨١
٩٧ ـ عادل كامل	عيد ميلاد آخر	مجلة ألف باء	العدد ٦٥٦
٩٨ ـ عباس حمود عبدالله	التوءام	ملحق جريدة الثورة	في ٧/ ٣/ ١٩٨١
٩٩ ـ عباس عبد جاسم	أجنحة النسر	ملحق جريدة الثورة	في ٧/ ١٢/ ١٩٨٠

١٠٠ —	عباس عبد جاسم	شعاع عند حافة الظلام	جريدة الثورة	في ٧/ ١٢/ ١٩٨٠
١٠١ —	عباس عبد جاسم	البؤرة والمدى	مجلة حراس الوطن	العدد ١٠ / ١٩٨٠
١٠٢ —	عباس عبد جاسم	الوتر والقوس والنشاب	ملحق جريدة الثورة	في ١٠/ ١/ ١٩٨١
١٠٣ —	عباس عبد جاسم	شارع البدء في العبور	جريدة القادسية	في ٢٨/ ٢/ ١٩٨١
١٠٤ —	عباس عبد جاسم	لغة أقوى من الانفجار	جريدة القادسية	في ٧/ ٣/ ١٩٨١
١٠٥ —	عبدالامير طارش	الافتخار	جريدة الثورة	في ٦/ ١٢/ ١٩٨٠
١٠٦ —	عبدالجبار جاسم محمد	مفتاح الجنة	جريدة الحدباء	العدد ٤٥
١٠٧ —	عبدالجبار الجوزي	خمس مقامات عن سالم بن جاسم	جريدة الثورة	في ٦/ ٥/ ١٩٨١
١٠٨ —	عبدالجبار ناصر	الشهيد	ملحق جريدة الثورة	في ٢١/ ٢/ ١٩٨١
١٠٩ —	عبدالجبار ناصر	العبور إلى الضفة الاخرى	مجلة الاجيال	العددان ٩٢، ٩٣/ ١٩٨١
١١٠ —	عبدالجبار ناصر	رسالة إلى وطن الربيع	مجلة الطليعة الادبية	العدد ٤ ١٩٨١
١١١ —	عبدالحميد عيسى	حادثة عند جسر الكارون	مجلة فنون	العدد ١٢٣
١١٢ —	عبدالخالق الركابي	صافرة الانذار	جريدة الثورة	في ٥/ ٢/ ١٩٨١
١١٣ —	عبدالخالق الركابي	الطفل والطائرة	جريدة الثورة	في ٢٥/ ٢/ ١٩٨١
١١٤ —	عبدالخالق الركابي	حائط البنادق	جريدة الثورة	في ١٧/ ٣/ ١٩٨١
١١٥ —	عبدالخالق الركابي	عش الوقواق	جريدة الثورة	في ٢١/ ٤/ ١٩٨١
١١٦ —	عبدالستار ابراهيم الاسير	لمحات من ذاكرة محارب	جريدة الثورة	في ٢١/ ٢/ ١٩٨١

١١٧ ــ	عبدالستار ناصر	الحدود	جريدة الثورة	في ١٠/ ١٩٨٠/١١
١١٨ ــ	عبدالستار ناصر	بطل من العراق	جريدة الجمهورية	في ١٢/ ١٩٨٠/١١
١١٩ ــ	عبدالستار ناصر	شهيد عراقي	ملحق جريدة الثورة	في ٢٣/ ١٩٨٠/١١
١٢٠ ــ	عبدالستار ناصر	جندي واحد	جريدة الثورة	في ٣٠ /١٩٨٠/١١
١٢١ ــ	عبدالستار ناصر	بندقية صيد	ملحق جريدة الثورة	في ٦ /١٩٨٠/١٢
١٢٢ ــ	عبدالستار ناصر	نخلة من العراق	جريدة الجمهورية	في ٧ /١٩٨٠/١٢
١٢٣ ــ	عبدالستار ناصر	الشهيد	جريدة الثورة	في ١٦ /١٩٨٠/١٢
١٢٤ ــ	عبدالستار ناصر	ليل الخنادق	جريدة الجمهورية	في ١٩٨٠/١٢/١٨
١٢٥ ــ	عبدالستار ناصر	العريف	ملحق جريدة الثورة	في ١٩٨٠/١٢/٢٠
١٢٦ ــ	عبدالستار ناصر	هدية محارب	جريدة الجمهورية	في ١٩٨٠/١٢/٢٢
١٢٧ ــ	عبدالستار ناصر	بداية رجل	جريدة الجمهورية	في ١٩٨٠/١٢/٢٣
١٢٨ ــ	عبدالستار ناصر	مزرعة النصر	جريدة الجمهورية	في ١٩٨٠/١٢/٢٥
١٢٩ ــ	عبدالستار ناصر	حكاية هذا الجندي	جريدة الثورة	في ١٩٨٠/١٢/٢٥
١٣٠ ــ	عبدالستار ناصر	قصة رجل عراقي	جريدة الجمهورية	في ١٩٨٠/١٢/٢٧
١٣١ ــ	عبدالستار ناصر	دروب الحرية	جريدة الثورة	في ١٩٨٠/١٢/٢٨
١٣٢ ــ	عبدالستار ناصر	هكذا بدأت الحكاية	جريدة الجمهورية	في ١٩٨١/١/١٢
١٣٣ ــ	عبدالستار ناصر	حكاية بسيطة	جريدة الثورة	في ١٩٨١/١/١٤

١٣٤ —	عبدالستار ناصر	حيث تبدأ الرجولة	ملحق جريدة الثورة	في	١/٢٤/ ١٩٨١
١٣٥ —	عبدالستار ناصر	ابو الشهيد	جريدة الجمهورية	في	١/٢٩/ ١٩٨١
١٣٦ —	عبدالستار ناصر	زوجة مقاتل	جريدة الثورة	في	١ /٢/ ١٩٨١
١٣٧ —	عبدالستار ناصر	المحارب الصغير	جريدة الجمهورية	في	٣ /٢/ ١٩٨١
١٣٨ —	عبدالستار ناصر	بيت الجندي	جريدة الجمهورية	في	٢/١١/ ١٩٨١
١٣٩ —	عبدالستار ناصر	واجب خاص	جريدة الجمهورية	في	٢/١٦/ ١٩٨١
١٤٠ —	عبدالستار ناصر	الارض وساماً	جريدة الجمهورية		٢/٢٨/ ١٩٨١
١٤١ —	عبدالستار ناصر	زلزال آخر	جريدة الجمهورية	في	٣/١٤/ ١٩٨١
١٤٢ —	عبدالستار ناصر	الجندي العراقي	جريدة الجمهورية	في	٣/٢٦/ ١٩٨١
١٤٣ —	عبدالستار ناصر	معركة البحر	جريدة الجمهورية	في	٩ / ٤ /١٩٨١
١٤٤ —	عبدالصاحب العقابي	المقاتل البطل	جريدة الجمهورية	في	١ /١٢/ ١٩٨٠
١٤٥ —	عبد عون الروضان	الكلمات الكبيرة	مجلة ألف باء		العدد ٦٤٧
١٤٦ —	عبد عون الروضان	الطريق إلى حيفا	جريدة الثورة	في	٤/٢٩، ١٩٨١/٥/٢٥
١٤٧ —	عدنان أحمد الربيعي	الكلمات واللاخوف	جريدة الجمهور	في	١٩٨٠/١١/١٠
١٤٨ —	عدنان أحمد الربيعي	بضعة أيام في ضيافة عكا	جريدة الثورة	في	٩ /٤/ ١٩٨١
١٤٩ —	عدنان أحمد الربيعي	بضعة أيام في ضيافة عكا	جريدة الثورة	في	٤/٢٦/ ١٩٨١
١٥٠ —	عدنان أحمد الربيعي	الصقور	جريدة الثورة	في	٩ /٥/ ١٩٨١

١٥١ —	عدنان احمد الربيعي	نورس	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٥/٢٦
١٥٢ —	عدنان الداعوق	آمال تتجدد	الطليعة الادبية	العدد الاول /١٩٨١
١٥٣ —	علي خيون	رجال على خطوط النار	جريدة الجمهورية	في ١٩٨٠/١١/٨
١٥٤ —	علي خيون	مكان رائع تحت الشمس	جريدة الثورة	في ١٩٨٠/١٢/٣
١٥٥ —	علي خيون	للزمن ثلاث حالات	جريدة الثورة	في ١٩٨١/١/٢٢
١٥٦ —	علي خيون	طيور بيضاء في فضاء أزرق	جريدة القادسية	في ١٩٨١/٢/٢٨
١٥٧ —	علي خيون	في الطريق إلى الجبهة	مجلة ألف باء	العدد ٦٣٣
١٥٨ —	علي خيون	في لهيب المعركة	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٣/٢٠
١٥٩ —	علي خيون	العريف	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٤/٢
١٦٠ —	علي خيون	بيت جديد	مجلة ألف باء	العدد ٦٤٨
١٦١ —	علي خيون	الحداد لايليق بالشهداء	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٥/٢١
١٦٢ —	عمر محمد الطالب	الثالث والعشرون من أيلول	مجلة الجامعة	العدد الثاني ١٩٨٠
١٦٣ —	عمر محمد الطالب	الرجل الذي لايهزم	مجلة الجامعة	العدد الثالث ١٩٨٠
١٦٤ —	عمر محمد الطالب	نور الوطن	جريدة الحدباء	العدد ٤١
١٦٥ —	عمر محمد الطالب	الاجداد وابناء الاحفاد	جريدة الحدباء	العدد ٣٩
١٦٦ —	عمر محمد الطالب	الخزان	جريدة الحدباء	العدد ٤٠
١٦٧ —	عمر محمد الطالب	المدى والقرب	مجلة الجامعة	العدد السادس/١٩٨١

١٦٨ –	عمر محمد الطالب	الثقفي..العبيدي في القادسية	مجلة الجامعة	العدد السابع ١٩٨١/
١٦٩ –	عواد علي	الطوابق الخمسة	جريدة الثورة	في ١٩٨٠/١١/٨
١٧٠ –	عواد علي	غارة سمتية	جريدة الثورة	في ١٩٨٠/١١/١٠
١٧١ –	غازي العبادي	شمس كالقمر الشاحب	جريدة الثورة	في ١٩٨١/١١/٢٩
١٧٢ –	غازي العبادي	الطعنة المؤجلة	ملحق جريدة الثورة	في ١٩٨١/٤/١٨
١٧٣ –	فاتح عبد السلام	نشيد ابراهيم	مجلة الجامعة	العدد الثالث/١٩٨١
١٧٤ –	فارس شلال محمد	لقاء مع الفجر	مجلة الطليعة الادبية	العدد الأول/١٩٨١
١٧٥ –	فارس شلال محمد	ثلاث طائرات تحترق	ملحق جريدة الثورة	في ١٩٨١/ ١/٢٤
١٧٦ –	فارس شلال محمد	الهدية	ملحق جريدة الثورة	في ١٩٨١/٣/٢٨
١٧٧ –	فرج مكسيم	أتوضأ بالضوء	جريدة الثورة	في١٤، ١٩٨١/٥/١٩
١٧٨ –	فرج مكسيم	بدمي أكتب اسم القائد	جريدة الثورة	في ١٩٨١/ ٥/٢٤
١٧٩ –	كمال لطيف سالم	النخيل العربي	مجلة فنون	العدد ١٢٦
١٨٠ –	لطيف ناصر حسين	التميمة	جريدة الثورة	في ١٩٨١/١/١٥
١٨١ –	لطيف ناصر حسين	الاصابع المورقة	جريدة الثورة	في ١٩٨١/١/٣٠
١٨٢ –	لطيف ناصر حسين	البارق	جريدة الثورة	في ١٩٨١/٥/٢٢

١٨٣ ـ ماجد صباح	الشهيد	مجلة الطليعة الادبية	العدد الاول / ١٩٨١
١٨٤ ـ ماجد كاظم	الموقف	مجلة فنون	العدد ١١٨
١٨٥ ـ ماجدة سعد	ابتسامة فلسطينية من نوع آخر	ملحق جريدة الجمهورية	في ٢٣/١١/١٩٨٠
١٨٦ ـ ماجدة سعد	الحريق الصامت	مجلة الطليعة الادبية	العدد الاول /١٩٨١
١٨٧ ـ مبدر محمد حسن	يوم جديد	ملحق جريدة الثورة	في ١٢/١٢/ ١٩٨٠
١٨٨ ـ محسن الذوادي	لأجل الارض	جريدة الثورة	في ٢١/١ /١٩٨١
١٨٩ ـ محسن الذوادي	المهمة تأجلت	جريدة الثورة	في ٢٤/٣ /١٩٨١
١٩٠ ـ محسن الذوادي	خمس لوحات في معرض النصر	جريدة الثورة	في ١٥/٤ /١٩٨١
١٩١ ـ محسن الذوادي	زهرة المارغريت	جريدة الثورة	في ٨ /٥ /١٩٨١
١٩٢ ـ محسن الذوادي	ثلاث حالات لرجل واحد	جريدة الثورة	في ٣١/٥ /١٩٨١
١٩٣ ـ محمد صوافي	صورة للمناضل في شبابه	جريدة الثورة	في ١٠/١ /١٩٨١
١٩٤ ـ محمدعلي وهبة	زين القوس	مجلة ألف باء	العدد ٦٣٧
١٩٥ ـ محمدعلي وهبة	الخلاص	مجلة حراس الوطن	العددالاول /١٩٨١
١٩٦ ـ محمدعلي وهبة	مواجهة المستحيل	جريدة القادسية	في ٩ /٣ / ١٩٨١
١٩٧ ـ محمدعلي وهبة	ملاكي الحارس	مجلة الطليعة الادبية	العدد الرابع ١٩٨١
١٩٨ ـ محمدعلي وهبة	البطل العائد	مجلة حراس الوطن	العدد الخامس ١٩٨١
١٩٩ ـ محمد مزيد ابراهيم	الاجازة	جريدة الثورة	في ٢٤/١٢/١٩٨١

٢٠٠ ـ	محمد مزيد ابراهيم	رسالة إلى الجندي ابراهيم	جريدة الثورة	في ٢/١٥ /١٩٨١
٢٠١ ـ	محمد مزيد ابراهيم	عينان بلون التراب	جريدة الثورة	في ١ /٣ /١٩٨١
٢٠٢ ـ	محمد مزيد ابراهيم	الطريق إلى المفر	جريدة الثورة	في ٤/١٢ /١٩٨١
٢٠٣ ـ	مردان شرماهي	عاشق الارض	ملحق جريدة الثورة	في ١٩٨١/١/١٧
٢٠٤ ـ	مرشد الزبيدي	وجوه في الذاكرة	جريدة الثورة	في ١٩٨١/١٢/٢٢
٢٠٥ ـ	ممدوح ثابت	السور	جريدة الثورة	في ٢/١٨ /١٩٨١
٢٠٦ ـ	ناصر جبار رحيمة	حين يبتسم الليل	جريدة الراصد	في ٢/١٥ /١٩٨١
٢٠٧ ـ	نجمان ياسين	الطائر صديقي	مجلة فنون	العدد ١١٣
٢٠٨ ـ	نريمان بكر سامي	الساقية تؤدي إلى هناك	ملحق جريدة الجمهورية	في ٨ /٣ /١٩٨١
٢٠٩ ـ	نصر محمد راغب	صمتنا فالاطفال يغنون	مجلة ألف باء	العدد ٦٤٩
٢١٠ ـ	نصر محمد راغب	عنا د زهرات عراقية	جريدة الثورة	في ٣/٢٢ /١٩٨١
٢١١ ـ	نصر محمد راغب	رحلة الماء والنصر	جريدة الثورة	في ٤/١٧ /١٩٨١
٢١٢ ـ	هاني ابراهيم عاشو	كرسي الخيزران	جريدة الجمهورية	في ٢/٢٠ /١٩٨١
٢١٣ ـ	يوسف بن احمد	زمن النهوض	مجلة الطليعة الادبية	العدد الرابع/١٩٨١
٢١٤ ـ	يوسف العاني	اعرفه لانه شهيد	جريدة الجمهورية	في ١٩٨١/١٢/٢٣
٢١٥ ـ	يوسف يعقوب حداد	في خندق الجبهة	مجلة فنون	العدد ١٢٦
٢١٦ ـ	يونس أحمد	ثلاث أقاصيص من المعركة	مجلة الجامعة	العدد الثالث/١٩٨١

المصادر

١ – ادب قادسية صدام ودوره في المحافظة على روح الانتصار العسكري، عبد الوهاب الجبوري . جريدة الثورة ، شباط ١٩٨١/

٢ – ببلوغرافيا القصة العراقية ،عمر محمد الطالب. مجلة المورد .العدد الرابع ،١٩٧٩ .

٣ – البطل الايجابي في قصص الحرب، عباس عبد جاسم، مجلة ألف باء. العدد ٦٣٤، ١٩٨٠

٤ – البطل في الفن ،سامي محمد ،جريدة الجمهورية في ١٩٨٠/١٢/٧

٥ – البطل النموذج والبطل الايجابي في قصص المعركة. باقر جواد، جريدة الجمهورية ،كانون الاول ١٩٨٠ .

٦ – الشخصية المحورية في القصة،عبد الجبار داود البصري ،جريدة الثورة، في ١٩٨١/٢/١٥ .

٧ – طيور في فضاء القصة، عبد الجبار داود البصري ،جريدة الثورة في ١٩٨١/٣/٣ .

٨ – عبد الستار ناصر حديث عن القصة في زمن الحرب ، جريدة الجمهورية في ١٩٨١/٢/٢٥ .

٩ – الفنان والمعركة القومية ،علي الحلي، جريدة الثورة في ١٩٨٠/١١/٢١

١٠ – قراءات في أدب المعركة، القصة القصيرة، باسم عبد الحميد حمودي ، مجلة الاقلام ،العدد ٣، ١٩٨١ .

١١ – القصة في المعركة .الناقد الادبي ، جريدة الراصد في آذار ١٩٨١/

١٢ – القصةالقصيرة في المعركة، ممدوح ثابت، جريدة الجمهورية في ١٩٨١/٢/٢٨

١٣ ـ ملاحظات أولية لقصص قادسية صدام، مؤيد البحش ،جريدة الثورة في ١٩٨١/٣/٢٧.
١٤ ـ نظرة تفرعية للعطاء القصصي ،عبد الجبار داود البصري ،جريدة الثورة في ١٩٨١/٢/٢٢.
١٥ ـ النموذج الجديد، قراءة اولية في قصص قادسية صدام. حمزة مصطفى، جريدة الثورة في ١٩٨١/٢/٢٠.

البطل في شعر الحماسة

جليل رشيد فالح
مدرس

م/١٦/آ.د

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

تمهيد في بواعث البحث

لم يعن الا القليل من الباحثين في دراسة مستفيضة بتحديد معالم البطل او تجلية خصائص البطولة في شعرنا العربي، مع ان مناهج الباحثين قد وجهت عناية خاصة متميزة لدراسة الشعر على اساس «الغرض» وما زال هذا النهج يسود دراسات الباحثين المعاصرين في الرسائل الجامعية وغيرها من المباحث.

ولعلي لا اجانب الحقيقة اذا عزوت ذلك إلى أن ظاهرة البطولة لا تختص بجانب معين دون غيره من جوانب الحياة العربية على امتداد الزمن.

فالبطولة العربية ليست بطولة معارك فحسب، والا فان دراسة شعر الحروب والوقائع تغني الباحثين في استجلاء صورة البطل ومقومات كينونته البطولية، ولكن الحقيقة التي لا تخطىء الباحث المتأمل ان البطولة حقيقة انسانية عليا تتمثل في مواقف الانسان الايجابية في معترك الحياة. حرباً وسلماً، حباً وكرهاً، اقداماً واحجاماً، كما تتمثل في مجمل سلوكه قيماً خلقية وممارسة انسانية وتواصلاً مع الوجود الانساني من اجل نصرته واعزازه وصيانته من الهدر والغدر والغيلة، كما انها اثبات للذات ضمن مواضعات الحياة الاجتماعية التي يشكل الانسان الايجابي بالتزامه الخلقي والاجتماعي الأصيل عنصراً حياً من عناصر ديمومتها ونهوضها.

فالبطل هو الانسان الانموذج الذي يتحرك ضمن اطار الواقع بخصائص فكرية ونفسية متميزة يتمخض عنها سلوك متميز، فهو يعي واقعه بكل ما يموج فيه من صراعات وتناقضات «وذلك من خلال معايشة جادة ذات رؤية متقدمة في كشف وتشخيص مواطن الخلل والقوة في حركة الانسان والواقع والتأريخ» (١).

وبذلك يكون البطل هو المعبر عن تطلعات الانسان نحو الأمثل.

وحين عقدت هذا المبحث رأيت — ضمن الرؤية الشمولية لشخصية البطل في الشعر العربي — أن أقصر شواهدي على ما تضمنته بعض الدواوين

(١) معالم البطل القومي في القصة العربية المعاصرة — عباس عبد جاسم — ص٢٥ .

التي اطلق عليها «دواوين الحماسة»، وهي مختارات شعرية تجسد مواقف الشعراء من قضايا الحياة بروح نزاعة إلى تصعيد هذه المواقف واعطائها السمات الانسانية العالية.

ولعل هذه الخصائص التي عبرت عنها هذه المختارات هي التي حفزت اصحابها إلى اختيارها وتدوينها لتكون وثيقة من وثائق القيم والمثل الكريمة لأمتنا من خلال قصائد شعرائها.

«وفي دواوين الحماسة امجاد خالدة وآثار محمودة تناقلها الشعراء والتزموا بالدفاع عنها في كل معنى من المعاني، لان الشعراء حاولوا ان يستخلصوا قيم البطولة من القيم التي تعارف عليها المجتمع، ويؤكدوا نماذج الانسانية من خلال التوجه الاجتماعي والنفسي الذي كان يستجيب لها، فيندفع إلى تكريم من يتصف بها، ويتوجه بكل جوارحه إلى اولئك الذين تجسدت في اعمالهم تلك المعاني، وتجسدت في ممارستهم الصورة البطولية الرائدة»(٢).

ولعل اسم «الحماسة» هو الآخر يعطي المدلول الاوسع لتحفّز الانسان إلى الارتقاء صعداً في مراقي الكمال الانساني ضمن حركته في واقع الارض.

ومن خلال شعر الحماسة، وفيما جمع أبو تمام والبحتري من نماذج شعرية سيكون حديثنا عن البطل ومواقفه، والبطولة ومعالمها.

البطل العربي في موقع الريادة :—

تتحدد أهمية موقع البطل ودوره في الحياة بمقدار وثوق علاقته بالجماهير، واستيعابه الواعي الدقيق لمتطلبات حياة الجماهير ليحقق صيغة الأمل والملاذ في حياة تلك الجماهير التي تجابه معضلات الحياة وتواجه ازماتها العصيبة، ولا سيما حين تشكل تلك المعضلات والأزمات خطراً يهدد وجودها او يحدق باحدى كبريات قضاياها الرئيسة.

«وتحس هذه الجماهير بأن البطل صورتها النموذجية، وقدرتها الموهوبة ولسانها الذي يعبر عن ذاتها بصراحة، ويتحدث عن مطامحها المشروعة

---

(٢) البطولة في الشعر الجاهلي — د. نوري حمودي القيسي — ص٩٠.

باقتدار، ويستطيع ان يثير في نفوسها نوازع الثقة بهذه الصراحة والاقتدار» (٣).

فمن خلال هذا التصور لموقع البطل ومهماته المتصلة اتصالاً مباشراً بالجماهير وقضاياها المصيرية كان بوسعنا ان نقول: إن ولادة البطل ترتبط هي الاخرى ارتباطاً مباشراً بمستوى وعي تلك الجماهير في الميادين الفكرية والاجتماعية، وبمستوى نضج مشاعرها الذاتية ليكون تحسسها ملازماً لما يصاحب حياتها من قلق في الموازنة او اضطراب في المقاييس او جنوح عن السبيل القويم.

وحين تكون البطولة على هذه الصورة «علاقة بين البطل والجماهير، تتوثق أواصرها كلما اهتدى البطل إلى كوامن هذه العلاقة وادرك اسرارها» (٤).

واذا كانت الحياة العربية ضنينة بولادة البطل السياسي المتميز وذلك لوضوح العلاقات العامة وعدم بلوغ اسباب الحياة درجة التعقد، ولوجود رمز الوحدة الواقعي في حياة القبيلة متمثلاً في الشيخ الحصيف الذي آمنت القبيلة بقيادته وألقت اليه بزمام «النهوض بقيادتها وتوجيهها في حروبها، واكرام ضيفها واعانة المعوز والضعيف من ابنائها، والفصل في الخصومات بين افرادها، واتساع صدره لرأي كل فرد في القبيلة» (٥)، اضافة إلى حرص العربي في الحفاظ على وحدة القبيلة والالتصاق برمزها القيادي، الا ان ذلك لا يعني ان الحياة العربية كانت ضنينة بولادة البطل المقاتل في الساعة العصيبة، والبطل المجسد لتطلعات الجماهير ضمن مواضعاتها الاجتماعية الخاصة.

فهناك الشاعر صوت القبيلة المتميز، يملأ ساحة البطولة العربية بالقيم الانسانية الاصيلة، ويندد بكل قوة تنزل بالانسان بطشاً بوجوده وهدراً لكيانه، وهو إلى ذلك سجل يحفظ مآثر الأمة وخصائصها الذاتية الأصيلة التي اعطت للأمة العربية منذ ولادة وجودها الانساني معالمها الواضحة المميزة الخالدة.

---

(٣) البطولة في الشعر الجاهلي -- د. نوري حمودي القيسي - ص٨٢.

(٤) البطولة في الشعر الجاهلي. د. نوري حمودي القيسي - ص ٨٢.

(٥) امراء الشعر في العصر الجاهلي - د. صلاح الدين الهادي - ج١ - ص١٥.

وهو كذلك «صوت الجماعة الذي يعبر عن فكرتها وقدرتها، وهـو نموذج من نماذج مظهرها الحياتي الذي فيه مفهوم الدفاع عن كل ما يعود إلى القبيلة» (٦).

وبهذا يحتل البطل موقع الريادة، واحتلال مثل هذا الموقع مهمة من مهمات الحياة ليست يسيرة ، ولا هي ضرب من ضروب الترف وازجاء الوقت، بقدر ما هي مسؤولية اجتماعية قيادية، وان لم تكن هذه النزعة القيادية — وفق منظورنا المعاصر — آخذة صيغة التنظيم والتخطيط والتنامي من أجل بلوغ الأهداف المبتغاة.

ولا معدى للباحث بعد ذلك من ان يقف عند شخصية الشاعر العربي بوصفه البطل المتميز ممارسة فعلية او تجسيداً للممارسات البطولية، او توحداً بين الممارسة والتجسيد.

وما حفل به الشعر العربي بعامة وشعر الحماسة بخاصة هو الوثيقة التي نلمح من خلالها بوضوح تلك الخطوط العريضة الأساسية لشخصية البطل وموقعه الريادي بين جماهيره، آخذين بنظر الاعتبار مواضعات العصر والبيئة في تحديد مدلولات المفاهيم والتصورات.

ومن خلال تبوء البطل موقع الريادة ننطلق إلى تبيّن ابرز خصائصه وكبرى سماته من خلال شعر الحماسة.

خصائص في البطل العربي من خلال شعر الحماسة :

١ — واقعيته :

اننا حين نبحث عن شخصية البطل في المادة الشعرية تبرز امامنا خاصية جديرة بالاعتداد والاكبار ، وهي ان البطل في القصيدة العربية هو الشاعر نفسه، ومن هنا فان المعادلة تتكافأ تكافؤاً موضوعياً بين الشاعر وهو اللسان المعبّر عن حركة الواقع ورصد معطيات الانسان في اطار هذا الواقع وبين

---

(٦) شعر الحرب عند العرب — د. نوري حمودي القيسي، الموسوعة الصغيرة، ص٣٩٩ .

البطل الذي تشخص اليه الابصار بوصفه معقد الآمال والقوة الضاربة التي تصد عن الجماعة غوائل العدوان، وتصون وجودها الانساني من كل خطر محدق، كما انه المجسّد الواقعي لمثلها وقيمها وتطلعاتها.

وبهذا التوحد بين الشاعر والبطل في كيان واحد، يتخذ الانموذج الشعري أبعاداً واقعية لا مجال لأن يجنح فيها الخيال الشعري المهوم إلى آفاق مثالية طوباوية من شأنها ان تضيف إلى حقيقة الانسان وحقيقة السلوك والممارسة أبعاداً اسطورية تقدح في شخصية البطل وتهوّن من شأنه، او أن تجعله في الأقل كائناً متوهماً او كائناً مرعباً كالغول والسعالي، وبذلك ايضا يتم فصل البطل عن رسالته الانسانية المثلى، كما يتم تفريغ البطولة من محتوياتها الهادفة النبيلة.

«فالبطل الاسطوري — كما يقول الدكتور عبد الحميد يونس — يحكي نزوع الانسان إلى المعرفة والكشف عن المجهول واستئناس المتوحش، والتحكم في العناصر والتغلب على الزمان والمكان ....

والبطل في الاسطورة — كما يضيف الدكتور عبد الحميد يونس — هو الخالق للقدر والمصير وهو فوق الطبيعي والممكن» (٧).

فالبطل العربي هو خلاف هذا النمط الاسطوري الذي لاينهض بمهماته في واقع الحياة، فهو — ومن خلال وقائع التاريخ العربي وديوان العرب الشعري الضخم — يمتاز بالخصائص الواقعية، بارتباطه الوثيق بالارض والجماعة والقضية، وتوظيف قدراته وطاقاته في سبيل ذلك، انطلاقاً من ايمانه «بمثل أعلى يفيد الآخرين، والعمل الدائب الجريء لتحقيق هذا الخير او هذا المثل الأعلى» (٨).

قال عمرو بن الاطنابة الخزرجي (٩):

---

(٧) البطولة في الأدب الشعبي — د. عبدالحميد يونس — ص٨.

(٨) حول البطولة في الأدب العربي بعد ظهور الاسلام — د. صلاح خالص ص ١٠٤.

(٩) الحماسة — البحتري ص٩.

أبت لي عفتي وأبى إبائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإعطائي على المعسور مالي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي
وأدفع عن مكارم صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

واضح ان الشاعر يشير إلى ان قوته هذه وضعت لغاية كريمة ، وليست موجهة للقتل رغبة في القتل .

وواقعية عنترة هي بدرجة من الوضوح بحيث جاءت ابياته منسابة في هدوء يشي بامتلاء جوانحه بالثقة العالية بالنفس ، يقول :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنيـــة منهل لابد ان اسقى بكأس المنهـل
فاقني حياءك لاأبا لك واعلمي اني امرؤ سأموت ان لم اقتـل

على هذا النحو تتسامى البطولة عند عنترة لتتعامل مع المـوت تعاملاً واقعياً بعيداً عن النكوص في الموقف الفاصل او التهور والتشنج . بل يصبح الموت اقوى بواعث الارتباط بالواقع ، والانتصار لقضايا الانسان ، حتى كان حديث الموت عند شعراء الحماسة يجري في مسارين متميزين : موت العزيز ونقيضه موت الجبان ، فبقدر مايرحب البطل بالموت اباء وعزة يأبى ان يلحق به مذمة موت الجبان .

وغالباً ماتقترن الاشارة الى موت العزيز بالحديث عن حياة الذل . ويظل الحديثان — مع ذلك — عن نقيضين مختلفين ، ذلك ان حياة الذل هي الموت بعينه ،فكلاهما متلبس بالمذمة والهوان .

وإلى ذلك يشير العباس بن مرداس السلمي (١١) .

تعلم بأن القوم ساموك خطـــة فدعها فمـــا فيها لمثلك مطمع
فمت كرماً او عش ذليلاً فانما عذيرك فيها السيف والترك اودع

(١٠) الحماسة – البحتري ص ١٠ .
(١١) الحماسة – البحتري ص٢٧ .

وان امرءاً أعطى مع السيف ضؤلة   لقدماً أقرّ الخسف مادام يسمع

وامـرأة مـن عبـد القيس تصف قوماً أبوا ان يفروا وهم بالموقف الصعب. مع انه كان بوسعهم ان يطلبوا لأنفسهم النجاء ، ولكنهم أبوا ان يفعلوا ، فثبتوا أمام الموت ، ففي حومته تكسب المحامد وتطلب المكارم ....

قالت (٢):

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم   ولم يبتغوا من رهبة الموت سلما
ولو أنهم فروا لكانوا أعزة   ولكن رأوا صبراً على الموت أكرما

وتمثل هذه الوقفات التي يجاد فيها بالنفس اسمى صور الواقعية في التعامل مع المواقف والقضايا.

فالواقعية هنا تلاحم بين البطل والقضية إلى حد التضحية ، وحين تكون التضحية على هذه الشاكلة في اعلى درجاتها تنتفي صور الكـذب والنفعية والازدواجية في سيرة البطل ، فتبقى ازاءها صور الصدق والثبات حية الملامح متجاوزة الزمان والمكان إلى جانب احتفاء الناس بها اكباراً واقتداءاً .

٢ ـ سمو اهدافه :

حين تضع الاقدار البطل في مواقع الريادة ،وتحمله الاحداث من الاعباء الاجتماعية والانسانية مالاقبل لغيره بها ، فان من الطبيعي ان تكون اهدافه التي يتوخاها سامية بناءة ، حتى وان كان ميدان الحركة والتوجه ساحة الحرب ، فانه لايدخلها الا اذا لم يجد سبيلاً غيرها يحقق بها غاية مايسعى اليه من نصرة الانسان وحماية حقوقه وكيانه من الهدر ، والدعوة إلى اعزاز المثل والقيم الانسانية الفاضلة .

ومن اجل ذلك فان جملة من القيم الخلقية احتشدت في سيرته ، كما حفل بذلك شعر البطولة الذي هو تجسيد حيّ لذلك الحشد الأخلاقي المتألق في سيرة

---

(١٢) الحماسة. البحتري ص ٣٧ .

البطل ،حتى أصبح مفهوم البطولة عند العرب مقترناً بامتلاء الانسان البطل بهذه القيم سلوكاً ودعوة وممارسة .

«وجدير بالذكر ان البطولة العربية في العصر الجاهلي لم تكن تنحصر في نطاق الحرب، بل كانت تتجاوزه إلى آفاق اخرى ، فبينما ترى اخيل في الالياذة محارباً جباراً يبطش بالاعداء ويتشفى بهم من حقده وغضبه ، وتراه متكبراً مزهواً بنفسه خشناً في عمله وقوله ، جافياً في طباعه ترى الجاهليين يفهمون البطولة على نحو آخر ، ويسعون إلى ان يجمعوا في شخوص الابطال الشجاعة والعفة وشرف الأصل والسماحة والحلم والعقل والأدب والشعر وغير ذلك من الفضائل التي كانوا يقدسونها »(١٣) .

ويتجلى سمو أهداف البطل في أكثر من موقف ، فأولى مظاهر هذا التسامي أن تتضاءل في حساب أهدافه مصالحه الذاتية البحتة ، فلا هو سالك سبيل المنفعة الشخصية ولا هو دائر ضمن حلقات مفرغة من المتاهات لا يقدر عواقب الدوران فيها ، « .... حتى يخيل الينا كأن العربي في صحرائه وجاهليته مع ماأوتي من الشجاعة التي تتيح له تحقيق مآربه كان يعمل جاهداً على قهر تلك الغرائز ، بل لكأنما كان يجد لذته في قهرها ، فإذا هو يعف عفة عن كل متاع مادي » (١٤) .

فطاقاته الذاتية مدخرة لنصرة المجموع أو لنصرة قضية من كبريات قضايا الحياة ، حتى وأن كان شخص الشاعر أو البطل محور هذه القضية ، كنهوض عنترة للدفاع عن قضية الحرية من خلال اضطهاد الأسرة والقبيلة لشخصه ، بجريرة ليس له يد فيها ، وهي أن أماً حبشية سوداء قد أنجبته ، فوقف الرجل بكل طاقته لكي يثبت ان المرء ليس بلونه ، بل بما يمتلك من خصائص ايجابية كالشجاعة والوفاء والمروءة والخلق الإنساني الرفيع ، مثبتاً

---

(١٣) فن الفخر الملحمي – أحمد ابو حاقة ص٦٦ .
(١٤) البطولة في الشعر العربي – د. شوقي ضيف ص ١٤ –١٥ .

ذلك من خلال سلوكه اليومي اضافة الى قوته في مقارعة العدو وعدم نكوصه عن مواجهة الأبطال الصناديد .

فالبطل في نظر القبيلة « هو ذلك الذي يذود عن حماها ويحمي ذمارها ويرفع شأنها ، ويبني مجدها ويكافح لأجل بقائها ، انه المغوار الذي لايكل عن القتال ولا يرتد عندما تدلهم الخطوب » (١٥) .

وسيرة عنترة وما رافقها من مواقف تبدو شخصية ذاتية في ظاهرها إنما تؤكد لنا — بشيء من التأمل — نزوع عنترة إلى أن يكون مع الاسرة والقبيلة في كل همومها وآمالها وملابسات ظروفها المختلفة في موقع صميمي يمكّنه من أن يعطيها مايعطي البطل قومه ، من شدة مراس في الذود عنها ومبادرات في الساعة العصيبة ، وتفان في صون كرامتها وسؤددها وشرفها ، كان عنترة إنساناً سوياً ، وبطولته تتجسد في سويته ، وما كان إحساسه بالإغتراب والعزلة يقوده إلى التمرد الأهوج الذي قد يسترد بهما بعض مايريد ، ولكن ذلك يسلبه كل خصائص البطل الإيجابي الواقعي .

«هكذا كانت عزلة عنترة قبل أن يتحرر ، عزلة من يشعر بمسؤوليته تجاه مجتمعه .... فقد كان مغترباً ، ولكن اغترابه من نسيج خاص ، اغتراب من يشعر بالمجتمع حتى وهو في قمة عزلته » (١٦) .

والبطل العربي يدرك أبعاد مهماته في الحياة ، فلا يتصرف تصرفاً عشوائياً أو تصرفاً متشنجاً ، ومن هنا لم تنفصل شخصية البطل العربي عن شخصية البطل الأخلاقي ، فعنترة الذي كره الكماة نزاله — على حد تعبيره — والذي يقول في خصمه :

جادت يداي له بعاجل طعنة ... بمثقف صدق القناة مقـــــوم

هو الذي يقول في القصيدة نفسها :

(١٥) حول البطولة في الادب العربي بعد ظهور الاسلام — د. صلاح خالص — ص١٥ .
(١٦) البطل المعاصر في الرواية المصرية — احمد ابراهيم الهواري ص٥٠ — ٥١ .

يخبرك من شهد الوقائع انني أغشى الوغى وأعف عند المغنم (١)

وحين نشير الى تلاحم البعدين القتالي والأخلاقي فإنما نجعل ذلك مدخلاً الى تلمس أبرز آثار هذا التلاحم في صيغة ممارسة فعلية في واقع الحياة تجعلنا ننشدّ بكل مشاعر الإعجاب والإكبار إلى هذه الممارسة بوصفها تعبيراً عن بطولة كريمة المضامين سامية الأهداف حيّة الدلالات ، بل هي صورة لم تعفُ شخوصها بل تميزت بتفرد ملامحها ، لأمة مازالت تتوارث مكارمها وتوظفها على صعيد الحياة كابراً عن كابر وجيلاً بعد جيل .

وهو لذلك ينصر المظلوم ويردع الشر ، ويتخذ من ضبط النفس والصبر أولى خطوات دفع الشر ، ثم هو يصفح عن المعتدي ويبتدر إلى المكرمات ، وفي الساعة العصيبة تتلاشى أحقاده الذاتية بل يسمو على عنف الغريزة البشرية التي تضعه أحياناً في الموقف الصعب ، بل تضطره إلى ممارسة صعبة مع علمه بأنها مبررة في قانون الصراع البشري .

قال أبو ثمامة بن عارم (١٨) :

رددت لضبة أمواهها وكادت بلادهم تستلبْ
بكرّ المطيّ وأتعابه وبالكور أركبه والقتب
أخاصمهم مرة قائماً وأجثو إذا ماجثوا للركب
وان منطق زل عن صاحبي تعقبت آخر ذا معتقب
أفرّ من الشر في رخوة فكيف الفرار إذا ما اقترب

يقول المرزوقي في التعقيب على البيت الأخير :

«ونبه بهذا الكلام على أنه يتفادى من الشر ماأمكن ، وإنه لايستعمل البغي ولا يبتدىء الخصم ...» (١٩) .

ثم أنك ترى بشامة بن جزء النهشلي يوضح ابتداره إلى المكرمات في قوله:

إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا

(١٧) ديوان عنترة ص ٢٠٩ .

(١٨) شرح ديوان الحماسة – المرزوقي ص ٥٧٧ – ٥٧٩ .

(١٩) المصدر نفسه – ص٥٧٩ .

حتى إذا مادعته المواقف إلى المركب الصعب لم يتوان عن الفداء مسترخصاً النفس والمال ، فهو في ذلك يقول :

انا لنرخص يوم الروع انفسنا ولو نسام بها في الأمن أغلينا
بيض مفارقنا تغلي مراجلنا نأسو بأموالنا آثار أيدينا
اني لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الكماة ألا أين المحامونا (٢٠)

وحسبك من كل ماذكر قوله « أين المحامونا » لتعلم أن الغاية الكريمة السامية هي المرساة التي تقف عندها كل فعاليات البطل العربي ، حتى يُصبح سمو الغايات والأهداف هو الهوية التي تحدد ملامح الشخصية البطولية ، وإذا ماانفصمت هذه الملامح عن شخصية البطل فإنها لاتعدو أن تكون شخصية عشوائية ان لم تكن شخصية عدوانية .

وتوثيقاً لملامح البطل نجد أنفسنا أمام بشامة بن الغدير وهو يصرح أن غضبته لخندف وقيس ليست من قبيل العصبيات الجاهلية التي لاتعرف لنفسها وجهة هادفة أو مسلكاً كريماً ، بل هي غضبة المنتصر للخير ، الذائد عن الحرمات.

يقول بشامة : (٢١)

ولقد غضبت لخندف ولقيسها لما رنى عن نصرها خذالها
دافعت عن اعراضها فمنعتها ولديّ في أمثالها أمثالها
اني امرؤ أسم القصائد للعدى ان القصائد شرها اغفالها

ومما يجدر بالوقوف عنده في أبيات بشامة أن غضبته هذه ذات دلالة أخلاقية عالية . فهي ليست غضبة تنضمّ إلى غضبات أُخر ، فإنها لو كانت كذلك لما كانت الاّ اداء لواجب تفرضه التقاليد والأعراف ، وربما يؤديه خشية أن يرمى بالتخلف عن قومه في اداء ماوجب ، وإنما هي غضبة جاءت متميزة بالقياس إلى تأخر الآخرين من الذين خذلوا خندفاً وقيساً في ساعة الشدة .

إذن هو بطل ذو بصيرة ، لأنه يقف شامخاً في الموقف الذي يتخاذل فيه

(٢٠) المصدر نفسه — ص ١٠٣ — ١٠٧ .
(٢١) المصدر نفسه : ص ٣٩٣ — ٣٩٤ .

الآخرون ، لاسيما وان القضية التي يقف لنصرتها هي من الخطورة بمكان بحيث يبادر إلى الوقوف مدافعاً ، ومانعاً استشراء الخطر المحدق .

ومن اهم ما يلفت نظر الباحث من خلال شواهد شعر الحماسة المتصلة بتحديد معالم البطولة ان صور البطولتين الحربية والاخلاقية متلاحمة تلاحماً عضوياً لا يقبل التجزئة والانفصام، حتى ان البطولة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ودلالات لا تكون بطولة حقة الا بذلك الاقتران والتلاحم.

فقد تكون البطولة الحربية لوناً من الظلم والتشفي والاضطهاد،وقد تكون المواقف الاخلاقية بشكلها التجريدي ضرباً من الجبن والانهزامية.

اذن هي بطولة واحدة تحيا على عنصرين حيويين هما : الاقدام في المواقف الفاصلة، وتوخي الهدف السامي .ووضع القيم والمبادىء نصب العين من اجل اعزازها ونصرتها ودفع الشرور عنها.

٣ ـ التوازن :

حين علمنا ان البطل العربي يتحرك ضمن دائرة الأهداف السامية، مجسداً في كل خطوة يخطوها في ساحة البطولة انما هي خطوة حسب لها في موازين القيم الانسانية حساباً دقيقاً، فلا هو بالمتهور الذي يفلت من يديه زمام البصيرة الواعية،ولا هو بالراغب في ان يسفك دماً لبريء غدراً وغيلة، ولذلك فان ظاهرة معينة تعكسها امثلة شتى من شعر الحرب عند العرب بعامة وشعر الحماسة بخاصة وهي ان المقاتل يستنفد كل طاقته في اول الأمر في ان لا تقع حرب او قتال ،فاذا لم يجد بداً في القتال فهو خائض غمراته دون هوادة او تردد،ولذلك فان مظاهر بطولة العربي هذا التوازن الذي يظهر بوضوح في ما ألمحنا اليه من رغبة المقاتل في ان يتجنب الحرب والقتال اذا كان له إلى ذلك سبيل ، واذا كان عند الخصم فضل عقل وبعد نظر يجنحان به إلى ضبط النفس وصيانة الكيان البشري من الهدر والخسران .

وبعض بني عبس يوضح هذه النزعة بصريح العبارة حين يقول (٢٢):

(٢٢) حماسة أبي تمام ص ٣٢٩ .

أرقت لأرحام أراها قريبة | لحار بن كعب لا لجرم وراسب
وانا نرى اقدامنا في نعالكم | وآنفنا بين اللحى والحواجب
واخلاقنا اعطاءنا واباءنا | اذا ما ابينا لا تدرّ لعاصب

وها نحن اولاء امام سهل بن شيبان الزّماني ـ الفند الزماني ـ يرسم لوحة الحكمة لحرمة الاخوة واواصر القربى ، ثم تكتمل الصورة بلوحة القتال ، سبيلاً إلى اثبات الذات وتجنباً للمذلة والهوان ، فهو بذلك يعطي لاحتكامه إلى السيف وايغاله في الضرب الموجع كل المبررات التي تنأى عن اللوم والمؤاخذة .

وربما كان سهل الزماني اقدر من غيره على الربط بين لوحتي الحكمة واللجوء إلى الحرب في تلاحم وثيق، ذلك انه الفارس الذي يستند اليه الفرسان في الساعة العصيبة.

«قال الدريدي : لقب به ـ اي الفند ـ لعظم شخصه ، قال وهو أحد الفرسان، وقال غيره : لقب به لأنه قال لأصحابه في يوم حرب : استندوا إلي فاني لكم فند» (٢٣)

قال الزماني (٢٤) :

صفحنا عن بنى ذهل | وقلنا القوم اخوان
عسى الايام ان يرجعن | قوماً كالذي كانوا
فلما صرح الشر | فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوان | دناهم كما دانوا
مشينا مشية الليث | غدا والليث غضبان
بضرب فيه توهين | وتخضيع واقران
وطعن كفم الزق | غدا والزق ملآن
وبعض الحلم عند الجهل | للذلة اذعان
وفي الشر نجاة حين | لا ينجيك احسان

(٢٣)،(٢٤) شرح ديوان الحماسة ص ٣٢ .

وهذه صورة اخرى من صور ضبط النفس عند البطل وهو يواجه الموقف الصعب، انطلاقاً من ذات الروابط القومية التي هي الدافع الاساس لهذه الموازنة بين التروي والحكمة وبين دخول ساحة الحرب وإعمال السيف.

يقول سعيد بن علقمة (٢٥) :

فقل لزهير إن شتمت سراتنا ... فلسنا بشتامين للمتشتم
ولكننا نأبى الظلام ونعتصي ... بكل رقيق الشفرتين معصمم
وتجهل ايدينا ويحلم رأينا ... ونشتم بالافعال لا بالتكلم
وان التمادي في الذي كان بيننا ... بكفيك فاستأخر له أو تقدم

ألم يمهد معبد لخصمه فرصة أن يرجع عما كان عليه من سفه الرأي وضلال الموقف، ثم يبصره بوخامة العاقبة باسلوب يجمع بين هدوء الرجل الذي يضبط نفسه عن التهور، وبين غضبة الأبي الذي لا يستنيم إلى ضيم، ولا يرخي الزمام للعدو أن يثلم الشرف ويمس الكرامة.

فقمة البطولة في تلك المضامين الاخلاقية التي احتوتها الأبيات، والتي بها يتم التوازن وبها تعالج المواقف المتأزمة من جهة، ومن جهة اخرى لا تحول دون ردع المعتدي ورد كيده الى نحره، حماية لتلك المضامين نفسها وتمكيناً لها من ان تكون هي الحكم الفصل في الازمات والشدائد.

والبطل يمتلك القدر الأوفى من الثقة بالنفس في ساحة القتال، ولذلك فهو يواجه العدو بوجهه، ويستهجن التخاذل، ويود ان يكون خصمه على حظ وافر من مقومات الرجولة والبطولة وشدة البأس وقوة المراس، حتى يكون له كفئاً، وتكون لصولته دلالة، ولغلبته معنى كبير يجعل صاحبه ملاذ الأهل والاسرة والقبيلة.

يقول الحصين بن حمام المري (٢٦) :

---

(٢٥) المصدر نفسه : ص ٧٥٢ .
(٢٦) المصدر نفسه : ص ١٩٧ – ١٩٩ .

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
نفلق هاماً من أناس أعزّة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ففي هذه الأبيات الثلاثة يسعنا أن نرصد أكثر من ملمح بطولي يتواشج فيه الاباء والاقدام والانصاف ،فالحياة في نظر البطل اقدام ، وحين حدثته نفسه أن يستأخر ويعيش في دعة وخمول عدّ ذلك عيباً لايليق بالرجال، فما كان منه إلا أن يثور على حديث النفس بالهوان والانسحاب،فلم يجد لنفسه حياة بكل مدلولات كلمة الحياة كالاقدام ودخول المعتركات التي يثبت في حومتها وجوده كائناً ايجابياً يمارس دوره في أشرف صورة للممارسة وأحفلها بالقوة والبسالة .

ومن هنا فقد تفجرت في هذا الكيان الذي عرف قيمة وجوده في كل الحياة كل معاني الاباء والشمم، فإذا دعت الدواعي وجدته في المقدمة من الصفوف يواجه العدو بوجهه غير متخاذل ولا هيّاب... وقد جاء هذا الإقدام في لوحة كنائية فنية :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

فكلوم الأعقاب كناية عن الهزيمة أمام العدو وقطر الدماء على الأقدام كناية عن مواجهة العدو والثبات أمام ضرباته .

ثم تكتمل اللوحة بالاعتراف بأت العدو كان من أعزّة القوم ، لهم في نفس الشاعر منزلة ، ولكن لم يكن بدّ من الحرب لأن أولئك القوم قد بدر منهم ظلم وعقوق .

وهنا نقدر للشاعر البطل مقدار مايحتمله من عناء في كظم مشاعره الذاتية حين يخوض حرباً لايجد لنفسه عنها محيصاً إزاء قوم هم من جهة القرابة والنسب أعزة لايهون عليه سفك دمائهم، ومن جهة أخرى قد بادؤوا الشاعر وقومه بالشر وألجأوهم إلى القتال ، فالسكوت عن هذا الأمر مذلة وهوان وثلم للكرامة ، فكرامة العربي فوق كل اعتبار .

ويمضي الشاعر الحصين بن حمام المري ليستكمل لنا أجزاء أخرى من لوحته المفعمة بالحركة، ومن خلال مواقف يأخذ من خلالها بيد خصومه إلى المحجة البيضاء، وحين يستبد به اليأس من أن يذعن القوم إلى الحق الصراح يحدد بصرامة الفارس البطل موقفه الحاسم ، فيقول (٢٧) :

ولما رأيت الود ليس بنافعي   عمدت إلى الأمر الذي كان أحزما
فلست بمتاع الحياة بذلة   ولا مرتق من خشية الموت سلما

ويماثله في هذا المعنى والموقف شريح بن قرواش العبسي حين يقول(٢٨) :

أقول لنفس لا يجاد بمثلها   أقلي العتاب انني غير مدبر
وهل غمرات الموت الا نزالك   الكمي على لحم الكمي المقطر

وكذلك غيلان ابن سلمة الثقفي في قوله (٢٩) :

ألم تر اني لاتلين عريكتي   إلى من يعاديني ولا أتجشع
ولا أمتري بالخسف حتى يدرني   ولكني آبى الخسف مادمت أسمع

ومن مظاهر التوازن ان تجد عند البطل العربي روح الانصاف وهو «يعترف بقوة خصمه ، ويشهد له بالثبات في المعركة والصبر على مصائبها واحتمال عواقبها، ويبدي اعجابه في بعض الأحيان... وهو لايذم الخصم بما ليس فيه ، ولا يجرده من صفات الفروسية الحقة ، لأن في ذلك عيباً على الفارس، ومنقصة يأنف عنها .

وقد عرف الادب العربي مجموعة من القصائد حملت هذه المفاهيم واطلق عليها (منصفات اشعار العرب) لأن قائلي هذه القصائد ــ كما ذكر المؤرخون ــ أنصفوا اعداءهم »(٣٠) .

(٢٧) المصدر نفسه: :ص ٣٩٢.
(٢٨) الحماسة ــ البحتري ص ٩.
(٢٩) الحماسة ــ البحتري ص ٢٤.
(٣٠) دراسات في الشعر الجاهلي ــ د. نوري حمودي القيسي ص ١٠٤.

واحسب ان بواعث هذا الانصاف – إلى جانب انها جزء من خلق العربي – فهي احساس داخلي لدى البطل في ان هذه القوة البدنية المتمثلة في بسالة المقاتل وشدة بأسه ينبغي لها ان تدخر لمواقف النصرة واحقاق الحق ورد المعتدي الحقيقي الذي يستحق الردع والزجر .

ثم ان انصاف البطل لخصمه متأت من انه يرى صورته في شخصه ، فتمجيده للخصال البطولية فيه انما هو تمجيد لبطولة نفسه ، فهو – بعبارة اخرى – صورة التوازن بين البطل والندّ الذي يصاوله ، وكل ذلك يحملنا على القول – مطمئنين – إلى وجود خيوط داخلية تشدّ العربي إلى العربي لتجعل من البطولات المتفرقة بطولة واحدة تتواشج خيوطها وتتوحد عناصرها . ومن هنا فان المنصفات لون من الاحساس بوحدة اللحمة والسدى بين القبائل العربية اضافة إلى الاحساس بوحدة الهدف والمصير .

ومن المنصفات قصيدة للمفضل العبدي مطلعها (٣١) :

تلاقينا بسبسب ذي طريف ... وبعضهم على بعض حنيق

ويقول فيها :

كأن هريرنا لما التقينا ... هرير اباءة فيها حريق
بكل قريرة منا ومنهم ... بنان فتى وجمجمة فليق
وكم من سيد منا ومنهم ... بذي الطرفاء منطقه شهيق
فأشبعنا الضباع وأتبعوها ... فراحت كلها تئق يفوق

ولا يخطئ القارئ ان يلحظ حرص الشاعر على اقامة التوازن بين قومه وبين الفريق الخصم ..

وهذا ظاهر في مفرداته المختارة اختيار الحريص على ان يكون التوازن غاية في الدقة . نحو قوله : تلاقينا – وبعضهم على بعض – منا ومنهم – وكم من سيد منا ومنهم – فأشبعنا الضباع واشبعوها . وحين تستأثر ظاهرة

(٣١) الحماسة – البحتري – البحتري ص ٤٨ .

التوازن باعجابنا واكبارنا فذلك يعني في جملة مايعنيه أن البطل يجسد اخلاقية عالية في توخّي التوازن في حركته بازاء تحقيق أسمى اهدافه .

٤ ـ التحدي والمجابهة :

وحين انتهينا إلى ان البطل العربي يهدف إلى ان يقرن حركته بقدر وافر من التروي وضبط النفس ونصفة الخصم الذي يتحلى بخصال بطولية عالية ، فان صورة اخرى من صور البطولة تستحثنا إلى الوقوف والتأمل ، تلك هي صورة التحدي والمجابهة ، توخياً لاكتمال معالم البطل وعناصر البطولة في حياة العرب ، حيث تتجه حركة البطل ضمن اطار التحدي والمجابهة إلى حسم المواقف بالقوة المادية انتصاراً للحق المضام وردعاً للباغي المتطاول.

وفي مجتمع يموج بالصراع العنيف لابد ان تكون معاني الشجاعة والاقدام من ابرز ماينبغي للبطل ان يتحلى به ليكون مهيب الجانب يحسب لقوته حساب .

«ومن الطبيعي ايضاً ان تقترن البطولة في هذا المجتمع بالقوة ، وتمتزج عناصرها بأسباب هذه القوة ، وتتعاظم صورتها في حدود الأعمال التي تحقق لهذه الأسباب سلامة التمكن وتعطيها أسبقية الوضوح وتحيط اطرافها بما يعيد اليها وجهها الانساني »(٣٢) .

ولغة البطل في ساعة المجابهة والتحدي ذات لون واحد يبلغ به العنف فيها مبلغاً كبيراً ، حتى يتوهم السامع انه قد تجاوز الحد الطبيعي إلى شيء من التهور ، وماهو في الحقيقة بالمتهور ، بل هو الموقف الفاصل يملي عليه لغة الصرامة والقوة ، بل تعكس هذه اللغة صورة الاباء والشمم.

قال دراك بن سنان بن نُميل (٣٢) :

رويد بني شيبان بعض وعيدكم
تلاقوا غداً خيلي على سفوان

(٣٢) شرح ديوان الحماسة ـ ص ١٢٧ ـ ١٣٠ .

تلاقــوا جيـــاداً لاتحـــيد عن الــوغـى
اذا ماغدت في المأزق المتداني
تلاقـوهم فتـعرفـوا كيف صـبرهــــم
على ماجنت فيـهم يد الحدثان
مقاويـــم وصّالـون في الروع خطـوهـم
بكـل رقيــق الشفـرتين يـمـان
اذا استنجــدوا لم يسألـوا مـن دعــاهـم
لأيـة حــرب ام بــأي مــكـــان

ففي هذا النص تجد ان حديث الشاعر يأخذ مساراً واحداً يراد به ردع المعتدي ، ونحسّ ان البطل هنايحسم موقفاً طال فيه التصبر والتلبّث ، لأنه ذكر أن الخصم كان يتوعد ويتهدد ،فلما نفد صبره جاء اليه ليرده عما عزم عليه من الشر والبغي ، ذلك مما يجعلنا ان نقول إن لهذه المواقف مبررات وبواعث ، والخصم الذييجنح إلى اللدد والعناد ولايرده إلى الصواب شيء انما يحتمل كل نتائج الجولة ومغبات الردّ العنيف .

«وقوام البطولة في هذا الاطار هو الشجاعة ،وهي صفة مشتركة بين جميع الفرسان ...وشجاعة الفارس تتفرع عنها خلائق اخرى عرف بها العربي في حياته .....وابرز هذه الخلائق الاباء الذي يتسم بمقاومة الظلماياً كان، ولما كان الضيم الفردي يجرّ دائماً إلى نجدة جماعية، فقد كان من الطبيعي ان تستشعر الجماعة كلها العزة في نفسها وفي أفرادها، والاّ تتساهل فيما يتعرض له الفرد، مثله في ذلك مثل الجماعة كلهااذا تعرضت لمن يتحيفها او يعمل على الانتقاص من قدرها او الاغارة عليها » (٣٣).

ومن مظاهر التحدي والمجابهة اعتداد البطل بنفسه وقوته،ولم يكن مبعث ذلك الاعتداد لهوى في النفس يدفع بصاحبه إلى انتفاخ للذات يُدِلّ به على الناس مخشي الجانب مرهوب الاسم،وانما كان مبعثه غالباً اثبات الذات

(٣٣) البطولة في الادب الشعبي – د . عبدالحميد يونس ص١٠ .

في حومة القتال في الساعة العصيبة ،او هو ترجمة مادية مشهودة لخصلة الشجاعة التي لاترى ابعادها الا بهذا الاعتداد والمجابهة .

وحين يجد البطل المقاتل نفسه في ساحة القتال أمام خصم يعدله بأساً وقوة واندفاعاً ،فانه — ولاشك — يلتمس لهذه الموقف كل المستلزمات المطلوبة من اعتداد بالنفس إلى جانب الاقدام والتوغل وإعمال السيف في الخصم ،وهو على ذلك غير ملوم ، ولايفوتنا ان نشير إلى ان هذا الذي أسميناه بالاعتداد ان هو الا صورة من صور الثقة العالية بالنفس والتي تدعمها قوة مادية لاحراز النصر ضمن اطار الصراع العام وفي حدود مفاهيم العصر ومواضعاته، وهذا مانلحظه في قول بلعاء بن قيس الكناني (٣٤):

وفارس في غمار الموت منغمس   اذا تألى على مكروهه صدقا

وكذلك في قول زاهر ابي كرام (أو كرّام) واصفاً اقدام البطل وهو معتد بقوته او قل هو واثق من نفسه (٣٥) :

كالليــث لايثنيــه عــن اقدامــه   خــوف الردى وقعاقع الابعاد

ان توخّي البطل للحياة الكريمة العزيزة تغمر كيانه وتسود ربوع اهله وقومه «كان يدفعه إلى ان يظل متوثباً ومتحفزاً ،وهذا ماكان يحمله ايضاً على ان يظل محتفظاً بسلاحه وكل الأسباب التي تحقق له الانتصار وتدفع عنه شبح السيطرة وتبعد عن ارضه نوازع الشر» (٣٦) .

وقد صور الحارث بن عباد البكري موقفاً نفسياً تتصارع ازاءه العواطف الذاتية مع التصميم على القتال فيغلب التصميم تلك العواطف : يقول الشاعر (٣٧) :

اذا ماراد الغزو لم يثن عزمه   حصان عليها عقد درّ يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقــه   بكت فبكى مما شجاها قطينها
ولم يثنه عند الصبابـة نهيهـا   غداة استهلت بالدموع شؤونها

(٣٤) شرح ديوان الحماسة — ٥٩ .
(٣٥) المصدر نفسه ص ٦٧٣.
(٣٦) شعر الحرب عند العرب — د. نوري حمودي القيسي ص ٣ — ٤ .

ومن مظاهر التحدي والمجابهة الأنفة وإباء الضيم، ومن امثلة ذلك ماقال وهب ابن الحارث الزهري (٣٨):

لاتحسبني كأقوام عبثت بهم . لن يأنفوا الذل حتى يأنف الحمر
لاتعلفني خلاة لست آكلها فاحذر سناني فقدماً ينفع الحذر
فقد عرفت بأني غير مهتضم انا ابن زهرة لم يوجد له خطر

وشاعر من بني فقعس يقول في اباء الضيم (٣٩):

أيبغي آل شداد علينا ومايرغى لشداد فصيل
فان تغمز مفاصلنا تجدنا غلاظاً في انامل من يصول

وسعد بن ناشب ابرز من وقف موقف التحدي والمجابهة بصيغة مفعمة بالاباء ومضاء العزم، مبرراً في ثنايا قصيدته بواعث هذا التحدي (٤٠)

سأغسل عني العار بالسيف جالبا
علي قضاء الله ماكان جالبا
وأذهل عن داري وأجعل هدمها
لعرضي من باقي المذمة حاجبا
ويصغر في عيني تلادي اذا انثنت
يميني لادراك الذي كنت طالبا
فيال رزام رشحوا بي مقدماً
إلى الموت خواضاً اليه الكتائبا
اذا هم ألقى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا

فمن خلال هذه الشواهد المتفرقة ـ وامثالها كثيرة ـ يكون موقف التحدي والمجابهة صورة فعلية مشهودة لاثبات الذات الأبية للضيم، المضحية من اجل

---

(٣٧) الحماسة ـ البحتري ص ٣٣.
(٣٨) الحماسة ـ البحتري ـ ص٢٣.
(٣٩) شرح ديوان الحماسة ـ ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.
(٤٠) المصدر نفسه ـ ص٦٧ ـ ٧٣.

الهدف الأسمى، حتى لاتجد منفذاً في نص من نصوص التحدي مايغري بمقولة التهور والعبث في حركة البطل، او كما يقول الدكتور نوري القيسي :

« والرفض والاباء والتحدي مظاهر حية لجوهر البطولة ... في العصر الجاهلي والشعراء يمثلون الاصوات المرتفعة التي كانت تنطلق من تجمعات القبائل او مرابع الافراد لترتفع عبر متاهات الزمن ومفازات الارض المنبسطة، ولترسم لهذه الأمة دلالات عزها ورمز مجدها »(٤١).

ولابد لنا – ونحن في صميم الحديث عن خصيصة التحدي والمجابهة عند البطل العربي – ان نعرج على موقفه من الموت الذي هو الحدّ الفاصل بين الاقدام الواعي والجبن والاستخذاء، ذلك ان من يدخل غمرات التحدي والمجابهة تستحث ركابه غاية شريفة نبيلة لابد ان يكون له موقفه الخاص المتميز من الموت، فلا تجتمع في قلب البطل عرامة التحدي والخوف من الموت، اذن هو غير هياب مما تفضي اليه المواقف من نتائج، وان كان الموت واحداً من هذه النتائج، وانما هو مستطيب الموت في سبيل الغاية الكريمة.

قال عنترة (٤٢):

وعرفت ان منيتي إن تأتني لاينجني منها الفرار الأسرع
فصبرت عارفة لذلك حرة نفسي اذا نفس الجبان تطلع

ويرى مالك بن الريب المزني ان استعذاب الموت هو من خصال الابطال الشجعان، ومن يزورّ عنه او يفر فهو من تنابيل الرجال: يقول في ذلك (٤٣):

يستعذبون الموت وهو مرّ اذا تنابيل الرجال ازورّوا
وكرهوا مكروهه ففروا

(٤١) دراسات في الشعر الجاهلي – د. نوري حمودي القيسي ص ٩٧.
(٤٢) الحماسة – البحتري – ص ١٠.
(٤٣) الحماسة – البحتري – ص ٣٩.

الخاتمة :

وحين يشارف البحث آخر سطوره تكون امامنا صورة البطل العربي من خلال شعر الحماسة قد اتضحت معالمها وعناصرها وشخوصها رمزاً حيّاً ماثلاً في ضمير الأمة على امتداد تاريخها المجيد ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، مما يجعل هذا التاريخ الحافل بالمآثر الجلى والمواقف السامية جزءاً من كينونة الأمة وهي تخوض ميادين الصراع المصيري، وباعثاً من بواعث القوة والانطلاق لبناء الوجود المعاصر بكل معالمه الحضارية الناهضة وردع العدوالمتربص في كل حين.

والبطل العربي بخصائصه الواقعية من خلال ارتباطه بالأرض والقضية، وتساميه على الاغراض الرخيصة والاهداف الدنيا، وضبطه للنفس وعدم الاندفاع الأهوج غير الواقعي من اجل ردّ الخصيم إلى جادة الصواب، ثم بسالته وقوته وتضحيته في مضامير التحدي والمجابهة كل ذلك يجعلنا ان نستحضر صورته اقتداء بمواقفه وتأسياً بسيرته.

وآمل ان يكون هذا البحث اسهامة متواضعة لتحقيق هذا الهدف الأمثل.

والله الموفق إلى السداد.

ثبت بمصادر البحث ومراجعه

١ ـ امراء الشعر في العصر الجاهلي : د. صلاح الدين الهادي. مكتبة الشباب ـ القاهرة. ج ١ ـ ١٩٧٥ .

٢ ـ البطل المعاصر في الرواية المصرية ـ احمد ابراهيم الهواري. منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ الكتب الحديثة (٩٤) ـ ١٩٧٦ .

٣ ـ البطولة في الادب الشعبي ـ د. عبد الحميد يونس ـ مقال في مجلة الآداب البيروتية ـ العدد الخاص بمؤتمر الادباء العرب الرابع في الكويت ـ ١٩٥٩ .

٤ ـ البطولة في الشعر الجاهلي .ـ د. نوري حمودي القيسي. مقال في مجلة «دراسات للأجيال» مجلة نقابة المعلمين العراقية ـ العدد الاول ـ السنة الاولى ـ شباط ١٩٨٠

٥ ـ البطولة في الشعر العربي ـ د. شوقي ضيف ـ سلسلة اقرأ (٣٣١) ـ دار المعارف المصرية ـ ١٩٧٠ .

٦ ـ الحماسة ـ ابو عبيدة الوليد بن عبيد البحتري ـ ط ٢ ـ نشرة لويس شيخو اليسوعي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٧ .

٧ ـ حول البطولة في الادب العربي بعد ظهور الاسلام ـ د. صلاح خالص ـ مقال في مجلة الآداب البيروتية ـ العدد الخاص بمؤتمر الادباء العرب الرابع في الكويت ـ ١٩٥٩ .

٨ ـ دراسات في الشعر الجاهلي ـ د. نوري حمودي القيسي ـ ١٩٧٤ .

٩ ـ شرح ديوان الحماسة : (حماسة ابي تمام) احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ـ نشره : احمد أمين وعبد السلام هرون ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ .

١٠ ــ شعر الحرب عند العرب ــ د. نوري حمودي القيسي.
الموسوعة الصغيرة (٨٧) منشورات دار الجاحظ للنشر
ــ بغداد ــ ١٩٨١ .
١١ ــ فن الفخر الملحمي ــ احمد ابو حاقة ــ سلسلة الفنون الادبية
عند العرب ــ دار الشرق الجديد ــ
بيروت ــ ط ١ ــ ١٩٦٠ ؛
١٢ ــ معالم البطل القومي في القصة العربية المعاصرة ــ عباس عبد جاسم
ــ مقال في مجلة «الاقلام »وزارة الثقافة والاعلام العراقية .
العدد ٩ ــ حزيران ــ السنة ١٣ ــ ١٩٧٨ .

شعر الحرب في الأدب العربي بين القديم والحديث

الدكتور سالم أحمد الحمداني
استاذ مساعد

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

في القديم

منذ فجر التاريخ واجهت حياة الانسان صراعاً عنيفاً مع الطبيعة، ثم كان ذلك الصراع بعد ذلك بين أمة وأمة ، تأكيداً لمبدأ السيادة وتحقيقاً للأطماع .

ومن هنا فقد كانت الحروب بين أمة وأمة سجالاً متواصلا ينتهي بانتصار الغالب واندحار المغلوب .

وقد حفظ لنا تاريخ الأمم المختلفة صور ذلك الصراع ، وهاتيك الحروب ، من ذلك حروب الأثينيين مع الاسبارطيين ، على الرغم من أنهم كانوا أبناء أمة واحدة ولغة واحدة أيضا .

وتذكرنا أخبار الحرب الأمريكية ماكان من اقتتال بين أهل الشمال وأهل الجنوب ، كذلك يذكر لنا التاريخ الحرب الأهلية للأمة الفرنسية وما كان بين أهل الصين من صراع وأهل اسبانيا من مذابح ، وغير هذه وتلك من الأمم والشعوب التي سقط في حروبها الأهلية الآلاف من البشر .

وتنسحب هذه الصورة على اغلب أمم الارض من القديم الى الحديث (فلا تثريب اذن على العرب القدامى أن يقتتلوا ما بينهم أحر قتال ، وان تكون الحرب في دارهم سجالاً ، وهم الأمة الوحيدة التي عاشت زمناً مديداً مشتغلة بنفسها غنية عن جيرانها) (١) وفي أغلب الأحيان كانت حياة العرب بما فيها من طبيعة صعبة ، وتركيب اجتماعي معين ، وعلاقات سياسية تفرضها طبيعة الصحراء ، كما ان المزاج الحاد الذي تميز به العربي وفق منظور فكري معين ، وما انعكس من هذا كله على طبيعة العربي ونفسه ومزاجه وتركيبه ، كل ذلك قد انتهى به الى أن يكون على الصورة التي وجدناها تنعكس آثاراً سلبية على العرب ، وانتهى في كثير من الأحيان الى صراع مرير واقتتال رهيب ، امتد أحيانا الى عشرات من السنين .

---

(١) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٧ .

واذا سلمنا بأن حظ الشعر في حياة العرب كان وافراً، وأنه قد عكس هذه الحياة صوراً صادقة، فإن تأثيره لم يكن أقل من ذلك. ومن هنا يمكن القول بأن هذا الشعر قد أسهم في توجيه العلاقات الاجتماعية والسياسية بل وفي الحياة الفكرية. أما تأثيره في تصوير المعارك والحروب فقد كان اكثر بروزاً ووضوحا. بل ان هذا التأثير قد عزز الناحية القتالية لدى الفرد في معاركه ضد أعداء أمته، وهذا ماحدث في شعر حروب الدولة الاسلامية مع الفرس والروم وفي شعر الحروب الصليبية.

واذا رجعنا إلى ماقيل في العصر الجاهلي، ألفينا انفسنا أمام الكثرة الكاثرة من الشعراء الذين وظفوا شعرهم للمعارك، وماقيل عن الحرب وفي الحرب في هذه الفترة يصعب حصره، بل ان معانيه لتمتد إلى العديد من الموضوعات كالفخر والمدح والهجاء والوصف وغيرها. ويكفي أن حرب داحس والغبراء وحدها قد احتفظت بالعديد من الشعراء الذين تألقوا في الحديث عن الحرب، وتفننوا في وصفها، من أمثال عنترة العبسي وقيس بن زهير والربيع بن زياد وعقيل بن غلفه المري والربيع بن قعنب وعمر وبن الأسلع وغيرهم كثير.

وفي عصر صدر الاسلام (انطلق الشعر على ألسنة الفاتحين في العراق مع أول ضربة سيف، وقد احاط بالمعارك والاحداث إحاطة بحيث يمكن ان يعد وثيقة تاريخية لها خطرها، وهو من حيث تصويره لحياة المجاهدين ومشاعرهم وتصويره لمشاعر المقاومين ايضا، يمكن ان يعد وثيقة وجدانية رائعة، لهذا الحدث الفذ في تاريخ الاسلام والمسلمين) (١).

ويبدو أن ساحة الوغى مع الفرس قد استأثرت الشعراء واثارت حميتهم وشدت حماسهم و(كانت القادسية المعركة الفاصلة في الفتوح الشرقية، ولم ير المسلمون ولاالفرس وقفة أشد منها هولا... وأبلى ابطال المسلمين فيها بلاء فخروا به، وسجلوه على الدهر في شعرهم. ويبدو ان مقتل كسرى قد اسثأثر اهتمامهم، من ذلك قول زهير بن عبد شمس وهو ينسب هذا الشرف إلى نفسه.

---

(١) النعمان القاضي: شعر الفتوح الاسلامية ص١٢٧.

انــا زهير وابن عبد شمس   أرديت بالسيف عظــيم الفرس
رستم ذا النـخـوة والدمقـس   اطعت ربي وشفيت نفسي (١)

وينسب قيس بن مكشوح إلى نفسه مقتل كسرى فيقول:

وجئـن القادسية بعد شهر   مسوّمة دوابـرها دوامـي
فناهضنا هنالك جمع كسـرى   وابناء المرازبة الكـرام
فلما ان رأيت الخيل صالـت   قصدت لموقف الملك الهمام
فأضرب رأسه فـهوى صريعا   بسيف لاأفلّ ولاكـهام(٢)

اما العصر الأموي الذي كثرت فيه المنازعات واشتدت الخلافات واستشرى فيه خطر العصبية، وعظم بين أهله شر الصراعات المذهبية والقبلية ، فقد امتلأت دواوينه بشعر الحرب ، سواء ماصور منه المعارك التي جرت بين المسلمين انفسهم او ماصور حروب المسلمين مع أعدائهم من الفرس وخصومهم من الروم ، ويبدو لنا ان المنازعات السياسية قد أثرت تأثيراً شديداً في حياتهم الحربية، وانعكست احياناشعراًيطفح بالحماسة،ويعبرعن الاعتزاز بالقوة والبطش. من ذلك قول زفربن الحارث الشاعر الكلابي يتوعد المروانيين في حرب مرج راهط ويتوعدهم للثأر:

أريني سلاحي لاأبالك انـنـي   ارى الحرب لاتزداد الا تماديا

• • •

اتذهب كلب لم تنلها رمـاحنا   وتترك قتلى راهط هي ماهيا
فلا صلح حتى تشحط الخيل بالقنا   وتثأر من نسوان كلب نسائيا (٣)

والحق ان عصر بني أمية قد امتلأ (بكبريات الخطوب ... حتى نجمت فترة يسيطر عليها شبح الحرب .... وندر ان ضرب التاريخ مثلا بشدة الحروب وانصباب الدم الزكي كالذي ضرب في عصر الامويين وماقبله) (٤) .

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٥٩ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٢٦٠ .
(٣) زكي المحاسني : شعر الحرب ص ٤٧ .
(٤) المصدر نفسه ص٥٥ .

ويكفي أن تكون حرب الجمل وحرب صفين دليلا على ضرام المعارك الهائلة التي سقط في سوحها المئات من الصحابة والتابعين، حتى قال قائلهم في أولها :

شهدت الحروب وشيبنني فلم ترعيني كيوم الجمل

وعلى امتداد هذه الحروب وهاتيك الفتن يتوزع الشعراء لينطقوا شعراً حربيا يثير حماس المقاتلين، ويؤلب قلوب المختلفين ،ويجسد عواطف المتحمسين، مشاعر تقطر حقدا حيناً، وثورة عارمة أحيانا ، لاينتهي الا بنزف الدم، ولاتقف الا وقد تناثرت أشلاء القتلى في سوح المعارك .

ويكفي دليلا على هذا القول بأنه قد كان لكل فئة من الفئات المختلفة على عهد بني أمية شعراء كثر امتلأت دواوينهم بشعر الحرب ؛ فقد كان للخوارج شعراء وللشيعة شعراء وللزبيريين شعراء وللأمويين أنفسهم شعراء قالوا كلهم شعرا في وصف المعارك وصفا دقيقا ينم عن الصدق في أغلب الأحيان..

ولعل من اشهر ماصدر عن شعراء الخوارج قصيدة قطري بن الفجاءة التي يقول فيها :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعي

• • •

فصبرا في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حي فداعيه لأهل الموت داع (١)

واذا كان الخوارج وشعراؤهم قد ثاروا في سلوكهم ثورة دينية ،فقد رفدت هذه الثورة (شجاعة خارقة وبطولات جبارة نادرة كان حاديها اشعارهم الحربية وكأنهم كتبوها على شفار السيوف التي كانوا يكسرون جفانها ثم يصممون بها في هجمات الحروب) (٢).

وقد جسد شعراء الشيعة والزبيريين الشجاعات النادرة، والمواقف البطولية التي ابدوها في حروبهم ،والتي أكدت صمودهم وتضحياتهم، ولعل قصائدهم

(١) عمر فروخ : تاريخ الادب العربي ٤٥٩/١ .
(٢) زكي المحاسني : شعر الحرب ص ٧٣ .

في ذلك تقف في قمة الوصف الحربي الذي تركه شعراء عصر بني أمية .

اماشعر ابن قيس الرقيات فإنه يفيض بالحماسة النادرة التي جسدت الوقفة الشجاعة لعبد الله بن الزبير وصحبه .

وقد كان لبني أمية شعراء ناصبوا خصومهم العداء ، وتحدثوا في قصائدهم الحماسية عن شجاعة الأمويين وعن مواقفهم البطولية وهم شعراء كثر من أمثال أعشى ربيعة وأعشى همدان وأعشى تغلب والأخطل الصغير وكعب الأشقري الذي عده بعض الدارسين من خيرة الشعراء الذين أرسلوا قصائدهم الحماسية في خدمة الأمويين .

وإذا كان ماقدمنا يمثل الشعر الذي يصور حروب المسلمين فيما بينهم ويجسد خصوماتهم مع بعضهم البعض ، فإن ديوان الشعر العربي قد احتفظ لنا بما هو أكثر عدداً وأعمق صدقاً وأنبل شعوراً وأشد عاطفة ؛ إنه شعر الحرب ووصف المعارك التي خاضها العرب والمسلمون ضد أعدائهم من الفرس والروم وغيرهم . (فحين توجه سعيد بن عمرو الحرشي إلى بلاد الصغد وفرغانه ، قاد جيوش المسلمين وخطبهم ..) (١) وأنشأ يصف بطولته بشعره ويشد عضده بفخر الأهل والقبيلة فيقول :

فلست لعامر إن لم تروني   أمام الخيل أطعن بالعوالي
واضرب هامة الجبار منهم   بعضب الحد حودث بالصقال
فما أنا في الحروب بمستكين   ولا أخشى مصاولة الرجال (٢)

ويصف النابغة الشيباني حصار الأمويين لمدينة رومية ، وضربهم لأهلها فيقول :

حتى علوا سورها من كل ناحية   وحان من كان فيها فهو ملهوف
فأهلها بين مقتول ومستلب   ومنهم موثق في القد مكتوف (٣)

وهو تصوير أدبي يعكس صورة حية لتجربة الشاعر .

(١) زكي المحاسني : شعر الحرب ص١٢٥ .
(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ١٦٩/٨ .
(٣) ديوانه : ص٥١ .

فإذا انتقلنا إلى العصر العباسي ، وجدنا شعره يزحف إلى كل جهة مع من زحف إلى سوح المعارك . ولا شك ان شعر العديد من شعراء هذه الفترة قد واكب الفتوحات الإسلامية ، وجسد ملاحم البطولات ، وتغنى مع كل انتصار ، حتى وجدنا بعض القصائد تخلد أصحابها كما هو الحال في قصيدة أبي تمام لدى فتح عمورية . وكان أبو تمام واحداً من كثيرين جعلوا من هذا اللون من الشعر سجلاً لبطولات الفاتحين . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد جاءت بعض القصائد تاريخاً للعديد من الحروب الداخلية ، وتصويراً للمواقف البطولية التي قضت على الفتن الداخلية ، فجاءت تصور الأحداث الكبار ، وتجسد اندفاع الجند الذين أوقفوا زحف الشعوبية وخطرها ضد الدولة العباسية ، ولعل قصيدة أبي تمام التي وصف فيها هزيمة بابك الخرمي أمام زحف جيش الأفشين تقف في موقع القمة بين تلك القصائد ، وهو في هذه الأبيات يصفه هارباً يلوذ بالفرار أمام أسود جيش الأفشين فيقول :

أسرى بنو الإسلام فيه ودلجوا بقلوب أسد في صدور رجال
لما رآهم (بابك) دون المنى هجر الغواية بعد طول صيال(١)

أما بائيته التي صارت علماً في ميدان الشعر ، فقد أرخت أروع صفحة من صفحات الفتوح الإسلامية ضد أعتى دولة على ذلك العهد ، وفي هذه القصيدة تتجسد النخوة العربية مع العقيدة الإسلامية لتجعل من فتح عمورية رمزاً للفتوة والحماسة :

الحرب قائمة من مأزق لجب تجثوا الرجال به صفرا على الركب
كم كان من قطع أسباب الرقاب بها إلى (المخدرة العذراء) من سبب (٢)

وكان البحتري ممن عنوا بوصف الحرب عناية فائقة ، وكيف لا وهو شاعر الخيال البارع ، وميزته في هذا اللون من الوصف ان قصائده امتدت إلى وصف معارك البحر . وله فيها قصائد مليحة يمكن الرجوع اليها في ديوانه

(١) شرح الصولي لديوان ابي تمام ٢/٢٠٩ .
(٢) شرح الصولي لديوا ابي تمام ص١/٢٠٥ .

وماذا عن سيف الدولة في حروبه مع الروم ، وماذا عن شاعر الفروسية ابي الطيب !! لقد أرخت قصائد المتنبي أغلب حروب سيف الدولة ، وجسدت بطولاته ، وصورت فلول المنهزمين أمام جحافله المنتصرة ، فجاءت لوحات فنية ليست من وحي خياله ، بل هي من نتاج مشاهداته وتجاربه الحية ، ولذلك طفحت بالصدق الفني والصدق الشعوري . ومن هذه القصائد ميميته التي استوحاها من احدى المعارك التي سحق فيها سيف الدولة جيشاً رومياً وأسر من جنوده سبعة آلاف وكان جيشه فيها (يطاول الأرض بطوله وجسامته فلا هو ينتهي ولا هي تنتهي ، وفي هذا الجيش خيول ضوامر تلوح شكائمها الحرى وقد عدت بفوارسها حتى تغمرت من بحيرة (سمنين) فجعلت أفواهها تنش بالماء وتغمر فيه اللجم :

فلم تتم سروج فتح ناظرها إلاّ وجيشك في جفنيه مزدحم
والنقع يأخذ (حرانا) وبقعتها والشمس تسفر أحياناً وتلتثم
سحب تمر (بحصن الران) ممسكة وما بها البخل لولا أنها نقم
جيش كأنك في أرض تطاوله فالأرض لاأمم والجيش لاأمم (١)

وقصائد أبي الطيب في وصف فروسية سيف الدولة كثيرة ، وتصويره لانتصاراته أكثر ، بل أن قصائد الشاعر وفخره بفروسيته وفتوته أشهر من أن يشار اليها ، ويكفي أن العديد منها صار علماً في ميدان الشعر ، بل يكفي دليلاً على ذلك أن يكون أبو الطيب هو القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم

وليس من حق أي دارس في هذا الموضوع أن ينسى روميات أبي فراس التي جسدت فروسيته وأرخت لفترة من أغنى فترات الصراع والحروب بين المسلمين والروم ، أليس هو القائل :

لقيت نجوم الأفق وهي صوارم وخضت سواد الليل وهي خيول

(ولو أن أبا فراس كتب تاريخ حياته في حربه لما زاد على البيتين الآتيين

---

(١) زكي المحاسني : شعر الحرب ص٢٨٥.

اللذين يصف فيهما هذه الحياة التي كثرت فيها الغارات وركوب المطايا بعد كسر أعدائه في كل البلاد :

جمعت سيوف الهند من كل بلدة | واعددت للهيجاء كل مجالد
وأكثرت للغارات عندي وعندهم | مئات البكيريات حول المراود(١)

وقد خلفت لنا الحروب الصليبية قدراً كبيراً من شعر الحماسة والحرب ، خصوصاً على عهد عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي ، واتسم شعر تلك الفترة بشدة الحماس لاعادة بيت المقدس إلى حظيرة المسلمين .

من ذلك قول العماد الاصفهاني يحرض صلاح الدين على فتح القدس :

فما هوالا أن تهم وقد أتت | فتوح كما فاض الخضم الذي طما
وان أنت لم تـرد الفرنج بوقعة | فمن ذا الذي يقـوى لبنيانها هدما
وما كـل حين تمكـن المرء فرصة | ولا كـل حال أمكنت تقتضي غنما
وليس كفتح القادس منية قادر | وما أن تلقاها سوى يوسف جزما(٢)

هذا عن القديم فماذا عن الحديث ؟ !

في الحديث :

وفي العصر الحديث واجهت الأمة العربية تحدياً صعباً من اعدائها وخصومها ولكنها لم تستسلم للاطماع الاستعمارية التي استهدفتها في كرامتها ووجودها وكان ثمن هذا الموقف أنها دفعت ولاتزال ثمناً باهظاً من أجل الحفاظ على عزتها ، وشرفها. وقد واجه العرب ــ ولا يزالون ــ العديد من الدسائس في كل قطعة ارض يمتلكونها ، ومن هنا كانت ثوراتهم في العراق ومصر والجزائر بل وفي كل قطر ، اما في ارضنا المحتلة في فلسطين فلا يزال ابناؤنا يتحدون الوضع الشاذ الذي فرضه عليهم الاستعمار والصهيونية .

وقد واكب الشعر العربي الحديث كل هذه الثورات وأسهم في رفدها اسهاماً مشرفاً وكان عطاؤه فيها غزيراً ولا يزال .

---

(١) المصدر نفسه ص٣١١.
(٢) محمد سيد كيلاني: الحروب الصليبية ص ٢٣٥.

واذا سلّمنا بأن الشعر العربي في عصوره المتقدمة كان اداة فاعلة في تجسيد أماني المقاتلين ، وأنه قد صور حياة العرب الحربية ، فإن شعرنا الحديث صار وثيقة لحياتنا السياسية واوضاعنا النفسية ، وتعبيراً عن شجاعة ابطالنا وتجسيداً لأمانينا في التحرر والانطلاق ، والتخلص من كل ما يقدح بكرامتنا ، وينال من عزتنا ويستهدفنا في حاضرنا ويتآمر على مستقبل اجيالنا المقبلة ؛ فحين قامت ثورة العشرين في العراق وقف الشاعر العراقي يقاتل الانكليز ، وكانت قصائده كالحمم الحارقة تندفع في تأليب الثوار وتثير حماسهم وتجسد بطولاتهم :

عشقنا المنون وهمنا بهـا ... وعـفنا أباطـحنا والحجـونا

• • • •

وسرب المناطيد ملء الفضاء ... يصب القنابل غثاً هتونا
وقذف المدافع بين الجموع ... يهـد معالمها والحصونا
ورمي البنادق رشاشـة ... يحطم مجتمع الدارعينا (١)

بهذه الابيات يصف محمد جواد الجزائري الحرب التي وقعت بين الثوار العراقيين وبين الانكليز . ولاشك انها صورة حية لما حدث في هذه الوقعة . ولم يكن هذا الشعر في موقفه من ثورة ١٩٤١ أضعف من موقفه من ثورة العشرين ، ولعل الرصافي كان في مقدمة الشعراء الذين اشادوا بهذه الحركة وباركوا فرسانها وشدوا على أيدي قادتها ورجالها .

وحين ضربت مدينة بورسعيد سنة ١٩٥٦ من الانكليز كان الشاعر العربي في كل مكان يهتز لهذا الحدث ويدافع عن ثورة مصر ويعلن عن استنكاره في العدوان على شعبه ويؤيد حقه في تقرير مصيره .

وقد تركت ثورة الجزائر قصائد كثيرة من الشعر الحماسي والوطني والقومي تتغنى كلها بهذه الثورة وتبارك جيشها وتستنكر اعتداء الفرنسيين على ارضها واهلها وتصف معارك الشرف التي جسدت تصميم شعبها على تحرير بلادهم من المعتدين وتأكيد حقهم في أن يعيشوا بسلام محتفظين بحريتهم وكرامتهم

(١) جعفر محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ص٢٥٤ .

وعزمهم . وقد هبّ كل شاعر على أرض العرب ليسهم بفنه في ميدان الشرف ومعركة البطولة الغادرة :

يا هضاب الفداء إنا زحفنا فافرشي الدرب بالشذى واللآلي
دمنا يلتوي على عنق البغي لهيباً في زحمة الأهوال
وشرايينا مسيل من الشارا ت تنصب فيه كالشلال
وجراحاتنا النديات إكليل نوشي به جبين الرمال (١)

هكذا عبر الشاعر محمود البستاني عن معركة الشرف ومعركة الفداء . أما أرضنا المحتلة في فلسطين فقد أمدت شعراءنا العرب بالموضوعات الخصبة والأفكار الناضجة والمعاني الإنسانية المختلفة ، كما أنها الهمت الشاعر العربي حساً وطنياً وقومياً عميقاً ، وربطته بأرضه بالحب والتقديس ، ومنحته القدرة على أن يرتفع بشعره عن حب الذات إلى التضحية والفداء .

ولقد استطاع الشاعر العربي الحديث بعامة والفلسطيني بخاصة أن ينفذ إلى أجواء المعارك فيجسد الروح النضالية والأفكار الإنسانية للمقاتلين . كما صور تلك المعارك تصويراً واقعياً حياً فتحدث عن البطولات الفذة والمواقف النادرة الصعبة للمقاتل الفلسطيني ، وجسد روحه القومي وعبر عن أمانيه الواسعة ، وعن حبه للموت ورفضه للحياة التي تختلط بالذل والعار . ولعل أبيات محمود درويش التي يؤكد فيها هذه التضحية تأكيداً يمتلئ بالأفكار الجديدة والعمق الثوري والصور الفنية الناضجة لدليل على ان معركتنا في فلسطين قد أمددت شاعرنا الحديث بالطاقات الغنية كما امدته بروح ثورية جديدة :

أطعمت للريح أبياتي وزخرفها إن لم تكن كسيوف النار قافيتي
آمنت بالحرب إما ميتاً عدما أو ناصباً لعدوي حبل مشنقةٍ
آمنت بالحرف ناراً لايضير إذا كنت الرماد أنا أوكان طاغيتي
فإن سقطت وكفي رافع علمي سيكتب الناس فوق القبر لم يمت(٢)

---

(١) الجزائر المجاهدة : الرابطة الادبية ص٩٥.

(٢) ديوانه : ص ١٣٨.

وقصائد الحمامة والمعارك لم تقتصر على ماذكرنا وحسب فإن المعارك التي تخوضها الأمة العربية من أجل الحرية والتحرير والبناء قد أمدت شعرنا الحديث –كما ذكرناه – بالافكار الجديدة والمعاني المختلفة والموضوعات المتعددة . وان كل معركة جديدة صارت رافداً يمد شعراءنا بوافر العطاء ، بل ان هذا الرافد قد دفع احيانا بالمعدن الجديد ومهد له طريق الظهور ، وكشف عن طاقات غنية بالفن كما هي غنية بالحس الوطني والوعي القومي .وقد استطاعت الحرب العراقية الايرانية ان تقدم هذا النموذج الذي المحنا اليه ، فقد كشفت حربنا هذه عن طاقات جديدة واقلام شابة جديرة بالتقدير ، وامدت شعرنا العربي الحديث والعراقي منه بخاصة بالمعاني الجديدة والافكار القومية الناضجة والوطنية المخلصة .

وموضوع هذه الحرب قد انتهى الى مجموعة من المعاني أهمها : استلهام التاريخ والفخر ببطولات جيشنا والوقوف مع قائده وتأييد مواقفه ، والتهكم بالعدو ورفض اعتدائه ، والدعوة الىالوحدة العربية ثم وصف المعارك التي يخوضها جيشنا وصفاً أدبياً يموج بالحركة الدائبة ويمتلىء بالحيوية النابضة .

أما استلهام التاريخ ، فقد استأثر اعجاب شعرائنا ، إذ عاد بهم الى مواقف البطولة النادرة ، وذكرهم بالاعمال الفذة التي حققت النصر لجحافلنا المنتصرة منذ حرب ذي قارالى أيام اليرموك والقادسية وعموريا وغيرها من الانتصارات التي الهمت أحفاد سعد والمثنى وخالد والقعقاع وغيرهم روح التحدي والثبات والنصر. والحق أن ما من شاعر من شعرائنا الا وكان لهذا المعنى في شعره قصب السبق ، ذلك لأن التغني بتاريخ الأمجاد والبطولات هو القاعدة الصلبة ، والخلفية المتينة التي تمنح القدرة لجحافلنا المنتصرة ، على أن تستلهم من تاريخ الابطال صور البطولات التي حققت الظفر تلو الظفر .

وقد اتخذ استلهام التاريخ لدى اغلب شعرائنا اسلوب الفخر للتأكيد على نصاعة ذلك التاريخ وصوره الدافقة بالحيوية والانسانية والمثل الرائعة ، وقد المح الى هذه المثل الشاعر شفيق الكمالي بقوله :

عـرب نحن أودعوا الخلد نوراً   سرمديا كأمتـي لا يزول

والى خصالها الحميدة ، والى ان ارضها نبع للرسالات الخالدة :

والرسالات نبعها من ثرانا   والينا غـر الخصال تـؤول

وأكد على العلاقة بين العرب وبين الإسلام ، وذكر أنهم أهل للرسول وأصحاب دينه وكتابه :

نحن أهل الرسول والدين منا   والينـا التنزيـل والتأويـل

وقارن بين أصالتنا في الشريعة والدين ، وادعاء خصومنا في ذلك :

نحن للدين وللشـريعـة أصـل   وسوانا هو اللصيق الدخيل (١)

ولا شك أنها معان يستهدف فيها قطع الطريق على الذين يستغلون الدين في هذه المعركة .

ويفخر عبد الرزاق عبد الواحد بقيادة القعقاع وشهامة القيسيين وجود حاتم ورجولة بني شيبان وبطولة علي فيقول :

ياوريث القعقاع إنا ورثنا   أهـله .. خير إرثنا الأخلاق

• • • •

فلنا منهمو مروءة قيـس   كـلما اطبقت وضاق الخناق

ولنا منهمو رجولـة شيبـان   إذ حـان للسيوف اعتنـاق

ولنا جود حاتم وانتفاضات   علي وسيفـه السبـاق (٢)

ويشدد الشاعر علي الحلي على عنصري البطولة والشجاعة فيفخر بقيادات المثنى وعلي وخالد وصلاح والقعقاع وسعد وغيرهم من قادة الفتوحات التي اندفع فيها المسلمون ليدكوا عروش الشرك والعناد والفساد ، فيقول :

أنت تشقى ؟! ومن بنيك المثنى   يشعل الرسل زحفـه المشاء !

وعلي ... وخالد ... وصلاح   فتية الحرب يصطفيها الفداء

---

(١) مجلة آفاق عربية : العدد ٢، ١ السنة السادسة ١٩٨١ ص ١٨١ – ١٨٣.

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٣.

كيف نرتد؟ الف قعقاع يحدو | موكب الزحف والسرايا مضاء
كيف تشقى ؟ والف سعد تمنى | في حمانا لو يبعث الآباء

كما يذكر بالمعارك التي حسمت بين الحق والباطل وبين الايمان والكفر فيذكر منها اليرموك والقادسية :

وهضاب اليرموك شوقاً وبشرى | ومن القادسية .. الكبرياء !

ويؤكد على ذات المعاني التي اشار اليها شفيق الكمالي وغيره من الشعراء فيعتز بما كان من سبقنا في دخول الاسلام ، ولا يحدد هنا عنصر الانتماء، فمفهوم العروبة والإسلام يكاد يكون واحداً ، ومن هنا لم يخص مفهوماً بعينه ، ومن هنا يعتز الشاعر بما كان لنا في مأرب والقدس وتبوك وزمزم وحراء ، وكلها توحي إلى صلة امتنا بالإسلام :

والرسالات في الجزيرة ضوّت | وعلى سهلها التقى الأنبياء
ولنا مأرب ومحراب عيسى | وتبوك وزمزم .. وحراء
وحمى الدين نحن كناه بدءً | ومن العدل شادت الخلفاء (١)

ولا شك أن آفاق الماضي بعيدة ، وأن صوره المضيئة عديدة ممتدة ، ولا شك أيضاً أن شعراءنا قد امتدوا بنظرهم إلى كل تلك الآفاق ، فأشاروا ، إليها وفخروا بكل مافيها ، إلاّ أن الملاحظ انهم قد شددوا على مناحي البطولة والفداء ، فذكروا الفتوحات وسموا أبطالها ، وأشاروا إلى المعارك وفرسانها وهو أمر طبيعي تتطلبه ظروف المعركة ، وما يحتاجه من صور الفداء والتضحية والبطوله والإقدام . وهذا هو الشاعر محمود المعروف يضرب على الوتر نفسه فيقول :

عاد المثنى على رايات شيبانا | وخالد العرب يغزو الكفر نشوانا
وانثال موكب سعد في تدفقه | يدك للبغي اوتاداً واركانا
منى الفتوح تجلى أينما وثبت | كتائب النصر اشياخاً وفتيانا (٢)

---

(١) المرجع السابق ص١٤٥ .
(٢) جريدة الجمهورية ١٩٨١/٤/٥٤ .

ويلاحظ أن الشاعر قد أشار إلى دك معاقل الظلم في حديثه عن انتصار سعد ، وهو ربط يلمح به إلى تشابه الأحداث في معركتنا الراهنة . أما الشاعر عبد المحسن عقراوي فيذكر الفرس بما كان من اندحارهم على ايدي العرب في كل المعارك ، فيشير إلى السموءل والمثنى ويزيد بن مزيد الشيباني ، وأبي محجن الثقفي وغيرهم من الأسماء التي تألقت في سوح معارك العزة والشرف فيقول :

أمة العرب قد عرفتم بلاهـا   في سعير الوغى بني ماسان
أنسيتم سموءلاً ... والمثنى   ويزيد بن مزيد الشيباني
وأبا محجن يجول خلال الصف   ليثاً يزجى بكم للهوان (١)

وليس من شك في أن قصائد الشعراء هذه قد استطاعت أن تستعرض تاريخ العرب والمسلمين ، وما كان من شأن أيامه الناصعة ، وفتوحاته الممتدة ، ومعاركه الشريفة المنتصرة ، وهو تاريخ حافل بالبطولات ، ممتليء بالمثل والصور النادرة في الشجاعة والفداء . ولا شك أن الضرب على هذه المعاني قد استهدف تذكير أمتنا واستفزها في ذاتها لترتفع في معركتها إلى ما ارتفعت به قديماً ولتتخذ من أبطالنا وأيامنا وفتوحاتنا وعزتنا وكرامتنا عبرة للأحفاد، فتشحذ منهم الهمم ، وتستنهض بهم العزائم ، وتؤكد على أن عنصر الأصالة يمكن أن يكون حافزاً ودافعاً لاستعادة المجد المؤثل .

ولا بد أن العشرات من الشعراء قد ضربوا على هذه المعاني ، واتخذوا منها سبباً لاستنهاض العزائم ورفع الهمم . ويكون التحريض على القتال واحداً من المعاني الجديدة التي امتدت اليها قصائد شعرائنا في الحديث عن هذه المعركة. والتحريض هنا لايعني التشجيع على الانتقام والسعي إلى إذكاء الإقتتال والحث عليه والاندفاع في سبيله ؛ فلا شك أن الذي يدفع اليه اشتداد العواطف المتدفقة والمشاعر الوطنية الحارة بعد أن تستنفد كل الوسائل التي تدعو إلى التعقل والتريث واستخدام الحكمة والصبر في حل الأمور الصعبة .

(١) جريدة الثورة ١٩٨١/٢/١٧ .

وقد أشار إلى هذا ، العديد من الشعراء الذين برروا هذا التحريض ،وفي هذا المعنى يقول شفيق الكمالي :

ما تريد الدمى ؟ صبرنا وقلنا خـرف خائب وغر جهـول
غير أن الضغائن السود أعمت بصر القـوم فاستثيرت ذحـول
تـعب الصبر فانتفضنا غضابا رجـم الله وقدها سجيـل (١)

وفي قصيدة أخرى يشير شفيق الكمالي إلى استنفاد الصبر فيقول :

لقد صبرنا على بغي العدا زمنا باسم الجوار فما أجدى ولافهما

وفي هذا المعنى التفاتة جيدة لتبرير الاتجاه إلى القوة في الدفاع عن النفس ، ذلك أن السكوت ـ كما يقول شفيق الكمالي ـ يصبح مذلة وهوانا بعد استنفاد كل وسائل السلم والتعقل ، وحينئذٍ لايكون السكوت على العدوان صبراً وتعقلاً وانما يصبح مذلة ـ كما ذكرنا ـ بل إن الركون إلى السيف في هذه الحالة هو الصدق بعينه ، كما يقول شفيق الكمالي :

الحـق بالسيف قول صادق ابداً وما عداه هراء يـورث النـدما

ومن هنا يكون تعليل استخدام القوة معادلا موضوعيا لاستعادة الحق المغصوب :

اركن الى السيف واجعل حده حكما فليس كالسيف للحق الذي هضما

ومن هنا يجيىء تحريض الشاعر على القتال :

فاضرب فديت كما قالت اوائلنا يوماً بأن ضعيفا نال ماحرما (٢)

ولا شك ان هذا المعنى قديم ولكنه لايزال يحيا في عصرنا الحاضر ،وليس من شك ايضا ان كل احداث العدوان على الشعوب تؤكد هذه الحقيقة ، ومن هنا يجيىء هذا التحريض مبرراً بالمنطق والواقع. وقد التفت اغلب الشعراء الى هذا المعنى وعالجوه بالمنطق حينا وبالعواطف الحارة والمشاعر الدافقة احيانا أخرى ، ولكن تبقى القوة أقوى صفاته ، سواء أدل على ذلك أسلوبه ، أم مفرداته ولغته ، ومن هنا جاء اسلوبه في أغلب الاحيان على صيغة الأمر من

(١) مجلة آفاق عربية المصدر السابق ص ١٨٢ .
(٢) جريدة الثورة ٢/٩/٩٨١ .

مثل (اضرب ، اسق ، شدّي ، تقدم ، مزق ، مر ، كبر ، اهتف ، صبي خطي) والعديد من أفعال الأمر التي لا مجال لذكرها هنا .

ومن ذلك قول الشاعر صاحب خليل ابراهيم في تحريضه على قتال الفرس :

شدّي العزيمة يا بغداد واتقدي   ناراً على شفة التاريخ تضطرم
شدّي فهذا أوان الحسم يصنعه   شعب الذرى عانقت امجاده القمم
[illegible]   تضاء من نورك الافلاك والسدم (١)

ويلاحظ ان مفهوم القوة هو الذي يسيطر على الابيات كلها .

وهذه ابيات الشاعر لؤي حقي حسين تستخدم فعلا آخر هو (مر) فتحتشد أبياته بالمفردات القوية من مثل (الجراح والارواح واللظى والقواحم والفواجع والرعد والغيظ والصوارع والوقائع)

مرينا تلبيك الجراح حواردا   وارواحنا قبل الرماح شوارع
مرينا مرينا نملأ الأرض باللظى   نفجمها حتى تمل الفواجع
مرينا مرينا فالسماء بأمرنا   سترعد غيظاً والجبال صوارع
مرينا فإنا كفء كل عظيمة   كوافلنا أفعالنا والوقائع (٢)

وإذا كان يلاحظ قوة الألفاظ والعبارات في هذا المعنى ، فإن ظاهرة التكرار هي الأخرى من أميز مايميز قصائد هذا الاتجاه ، وهو دليل حرارة العواطف وتدفق المشاعر الذي دفع اليهما قسوة المعارك الدامية بين الجيشين المتحاربين . والحق أن هذه الظواهر الفنية تتكرر تماماً لدى كل قصائد الشعراء الذين عالجوا هذا المعنى ، ومن ذلك أيضاً قول الشاعر صاحب خليل ابراهيم :

تقحم .. ومزق حجاب الظلام   ودك الحصون .. وعرش العدا
تقحم .. وشق اللحود لباغ   وصب اللهيب .. ولب الندا

• • •

(١) المصدر نفسه ١٠/١٠/٩٨١ .

(٢) جريدة الثورة ١٥/١٠/٩٨٠ .

تقدم فمنك شموس المنـــى هدير الزمـــان بريق النـــدى
تقدم ليورق نصر العـــراق ويعشب زهوا بساح الفـدا (١)

ويبدو أن فعل الأمر قد صار لازماً من لوازم قصيدة التحريض على الحرب ، كما أن بناء القصيدة قد اتخذ مساراً قوياً لانجد له مثيلا لدى كل معاني هذا الغرض ، شأنه في ذلك شأن شعر الحماسة والفتوح ، بل لعله قد فاته في عنف العواطف وحرارة المشاعر ، بسبب عنت الخصم وركوب رأسه وعدم رضوخه لمنطق العقل . ومن هنا يبدو — في الظاهر على الأقل — أنه تسوده روح الانتقام والحقد ، والحال ليس كذلك ، لأن هذه العواطف ، وتلك المشاعر انما هي نتيجة حتمية ، ورد فعل منطقي على مواقف الخصم ، في التعنت والمضي في طريق القتال . ومن هنا غلب على اسلوب قصيدة التحريض فخامة العبارة وجلجلة اللفظة ، وقوة التركيب :

كليهم وذري هشيم العظام على أرضـــهم قبل أن تؤكـلي
وصبّي اللهيب لهيب الصمود على الحقل والدرب والمنزل (٢)

هكذا نجد تعبير الشاعر محمد حسين آل ياسين ، وهو يحرض على تحطيم العدو وحرق حقوله وتحطيم منازله وتخريب دروبه ...انها كما قلنا الرد الحاسم على غطرسة الخصم وعناده ، وعدم استجابته لمنطق العقل.

وقد تميزت أبيات جبار الكواز بتكرار فعل الأمر (كبر واضرب) عشرات المرات ، كما تميزت باتقاد العاطفة وتدفق الشعور وصارت الفاظها وعبارتها هديراً صاخبا :

سطر مـــلاحـمنا الجـديـــــدة بالفداء
اضـرب فـيـومـك ديـــمة تهـب الوفاء
كبـر وكـن للـفتـح قـارعـة الفـتـيـل
واحرق كتائـب رستم يـا شر حبيـل
واقـطـع لسانهـم بصارمـك الصقيـل (٣)

(١) المصدر نفسه ٢٠/١٠ ٩٨٠.
(٢) جريدة الجمهورية ٣٠/٩/٩٨٠.
(٣) جريدة الثورة ١١/٨/٩٨٠.

ولم تقتصر حرارة العواطف وقوة المشاعر ومارأينا من اندفاع التحريض على سحق العدو وكسر شوكته ، على شعرائنا الشباب وحسب، وانما امتدت إلى جيل من الشعراء القدامى ايضا، فهذا هو الشاعر محمد بهجة الأثري يحرض هو الآخر على سحق العدو والانتقام منه فيقول :

ياجيش أنزل ضربتين بضربة ... ان اللئـام دواؤهـا الايـلام
مرغ انوفهم فإن معاطساً ... باللؤم تعطس طبهن رغام
أوجع وأوجع ثم أوجع قلما ... صحت العقول وصحت الافهام (١)

ومن ظواهر قصيدة التحريض ملاءمتها لموسيقى بحر الرجز ، ولذلك جاءت اكثر اراجيز الشعراء في التحريض على قتال العدو ، ولعل اراجيز الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد تقف في موقع القمة في هذا الموضوع ، ومن ذلك قوله :

لبيك ياغضب
لبيك ياغضب
لبيك يانار الوغى فكلنا حطب
لبيك كلنا دم به منحتطب
لبيك ياغضب
ياقادسية اشهدي بأننا عطب
وان رأس رستم بنا سيحتطب (٢)

ومن أقوى ماجاء في التحريض ، قصيدة الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ، وهي طويلة جاءت كلها بهذا المعنى ، حتى لقد جعل عنوانها (هذا مسيل دم العراق) ، وفي القصيدة كل الظواهر الفنية التي تتميز بها قصيدة التحريض من تكرار للافعال وقوة في الالفاظ ، ومتانة في التعبير ويبدأها بأقوى مايدل على الدعوة لاشعال نار الحرب فيقول :

---

(١) المصدر نفسه ١٢/١٠/٩٨٠ .
(٢) جريدة الثورة ١٢/١٠/٩٨٠ .

أوقد فقد دجت الليالي وتعثرت همم الرجال
أوقد فإن نذير عا صفة يهمهم في الدوالي

• • • •

هذا مسيل دم العراقيين ياعطش ... الرجال
يامرحبا بسهام عمي مرحباً بسهام خالي
يامرحبا بلك تزرعين ظهور أهلك بالنبال (١)

وفي القصيدة يتكرر الفعل (أوقد) ثلاث عشرة مرة ، بينما تتكرر كلمة (صبرا) سبع مرات ، ويجيء حرف النداء فيها اربعة مرات ، وهكذا بينما يقوم بناء القصيدة على الفاظ القوة ، وما يدل منها على الوعيد والانتقام والتحريض والموت ويكثر القسم في ابيات الشاعر هشام عودة ، وتكرار فعل الامر في قصيدة غزاي درع الطائي وقصيدة عبد الامير شلاش وغيرهم (٢) ومن معاني شعر هذه الحرب ، التوجه إلى الجيش بتحريضه على مقاتلة العدو ودحره ، وتقدير مواقف أبطاله ، وتهنئته بانتصاراته واندفاعه ، والفخر بمواقفه ، وغير هذه وتلك من المعاني التي تتفق مع وظيفته وطبيعته ،من ذلك قصيدة الشاعر منذر الجبوري التي يفخر فيها بجيش العراق لوفائه وكريم مواقفه ، ويتوجه بحبه اليه ويبتهل إلى الله لينصره على الاعداء :

ياجيش العراق أي وفاء حملته اليك كف الوفاء

• • • •

يامعيداً لأمة العرب شوطاً يتناهى إلى الذرى العلياء
يا ضمير التاريخ يادرب مجد علم الاكرمين معنى العطاء
إنه موعد الوفا فاستبقه إنما أنت موعد الاوفياء (٣)

ويلاحظ ان الشاعر قد كرر صنعة الوفاء اكثر من مرة ، وهو مايتلاءم مع وفاء الجيش لأمته وشعبه .

---

(١) المرجع نفسه ٢٢/١٠/٩٨٠ .
(٢) قصائدهم مبثوثة في جريدتي الثورة والجمهورية .
(٣) جريدة الجمهورية ٢/١٠/٩٨٠ .

ويشير الشاعر عبد الامير شلاش في توجهه إلى الجيش إلى معاني الفداء والحق والنصر ، وتقترن هذه المعاني بالمجد وبالشهداء الذين يضحون بانفسهم في سبيل الحق :

أيا جيش الفداء نذرت عمري ليوقد في الوقائع مايطيب
بك المجد اغتنى لما احتواه دم الشهداء مرتعه الخصيب
بك الحق الذي جبل الاماني ونور الحق يرميه المغيب
وفوق النصر كف أبي عدي يتممها المصائر والضروب (١)

وفي ابيات عبد الكريم راضي جعفر تقترن الشهادة بمعنى الفداء كما تتضمن الأبيات على استبسال الجند وعلى اندفاعهم في الفتح والنصر :

يتدافعون على الشهادة حسبهم ان تفتدي الارض الهوى الطرب
ها إنهم حملوا على كيد الفدا مستبسلين ... هواهم سرب
يا أيها الغيث الذي ملأ الدنا زهواً فندى رملها الذهب
ها أنت تفتح بالرجال ثغورنا فيؤمها أجدادنا النجب (٢)

ويرتبط الجيش في ابيات عبد الجبار العاشور بحب ابناء الامة كما يرتبط بالفتوحات والانتصارات المتلاحقة :

لك ياجيش في الضمائر حب قد حفظناه دافقا زخارا
ياسليل الفتوح كل مقام بك يعلو تجلة وانبهارا
تقطف النصر مثلما تقطف الزهر فيزداد في يديك ازدهارا

وكما يرتبط بالنصر الزهر فهو يرتبط بالموت الذي ينصب على الاعداء شواظي من نار :

وتصب اللظى كصبك للمو ت فيزداد حلكة ودمارا (٣)

ويحيي عبد الرزاق عبد الواحد جيش العراق وجنوده ، ويصفهم بالشموس المضيئة ، ويشير إلى أصنافهم من الطيارين والدروع ، وغيرهم ويقول :

---

(١) المرجع نفسه ١٩٨٠/١٠/٢٠ .
(٢) المرجع نفسه ١٩٨١/١/٦ .
(٣) جريدة الثورة ١٩٨٠ .

ياجنود العراق ياعز أهلي ياشموساً على شموس تساق
يانسور الحديد أعلام سعد ابداً جنح نسرها خفاق
ياجبال الحديد من الف عام وجبال الحديد فينا عتاق (١)

وإلى الطيارين ايضا يشير الشاعر علي الحلي ، ويسميهم بالنسور المغاوير ، ويرى أنهم يمطرون العدو نيازك ورجوما ويقصفونهم ناراً وسعيرا ويقول :

وعلى دربك النسور المغاوير تهادت ... ورفت العلياء
حاصبات نيازكاً من جحيم ورجوماً تعرى بها الظلماء
ومن القاصفات دبت سعيراً يورق الرمل والطريق المضاء (٢)

وهكذا يرتبط بالطيارين والطائرات الموت والجحيم والنيازك والسعير وفي قصيدة عبد الجبار العاشور يرتبط جيش الحاضر بمعارك الماضي وقادتها ، وبه يقترن النصر لأنه جيش الحق ، وهو نصر لأهله لكنه غصص للأعادى جحيم عليهم :

يانداء اليرموك ياصوت سعد ياسماء الندى وغوث الحيارى
ألهب الارض واستعر في حشاها ياجحيماً على العدى موارا
انت جيش الله المعزز بالنصر تعلي العلا وتطوي المسارا
غصصاً تطعم الاعادي وحباً تطعم الارض والنفوس وغارا

واذا ارتبط بالماضي وقادته ، فهو الآن مرتبط بقادة الحاضر :

جيش صدام يقلع الأوكارا ويهد البنا جدارا جدارا (٣)

ويشير كمال عبدالله الحديثي إلى جيش العراق مظفراً مؤزراً وإلى مواقفه تجاه معارك الأمة العربية في مصر والشام وغيرها .

ومن هنا فإن الشاعر يعتبره باع الأمة وزهوها ، ويصف مواقفه في الوفاء والعطاء فيقول :

---

(١) مجلة آفاق عربية ص ١٦٣ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٤٧ .
(٣) جريدة الثورة ١٩٨٠ .

يامنبت الشرف الأصيل قد ازدهت فيك المرابع مصرها وشــآمها
فلقد ضربت بكل ساعد ثائر وسمت برفعة بابل أهرامها
ياباع امتنا اذا ماصاولت يازهوها ماعادها اقدامها (١)

ويجرنا الحديث عن ارتباط الجيش بالقائد إلى القائد نفسه، فقد اندفع الشعراء اليه، يقفون من خلفه، فيؤيدون مواقفه، ويندفعون مع اندفاعه، ويصفون فعاله، ويثمنون بطولاته، ويربطون مابينه وبين جيشه وشعبه وأمته، فهذا الشاعر عادل جاسم البياتي يشير إلى ترفعه واباته، وإلى نصرته الضعفاء، وحنوه على الفقراء :

وترفعت فالحياة إبــاء واذا العرب سادة أشراف
لايفيد الضعيف عندك ضعف ليس بالشر تنتضى الأسياف
أو يضير الفقير فقر فليست لمغانيك فاقة أو كفاف (٢)

ويشير كمال عبدالله الحديثي في أبياته إلى كرمه، فيرى أنه البحر وإلى زهوه فيرى أنه الزهر، وإلى شجاعته فيرى أنه الليث فيقول:

أيقال عنك البحر في جيشانه أو ليس في جزر البحور ملامها
ايقال عنك الزهـو في ريعانه أو مـاتكبل زهرة أكمامها
ايقال عنك الليث في وثباته أو مايراض على العدا ضرغامها

ولهذه الصفات أحاطته الملايين بحبها، وفدته بقلوبها:

أيقال تفديك القلوب وأنت في كل القلوب خفوقها وقوامها (٣)

وهكذا يلتف الشعراء حول قائدهم، يحيونه بقصائدهم ويمنحونه الحب بعواطفهم، يجلون مواقفه ويثنون على عطفه وكرمه، ومن هنا وصفه عبد الجبار العاشور بأنه :

عـــربي لسانه عربي سيفه سل مرهفا بتارا
فهو شمس توهجت انوارا وهـو دنيا تنتحت افكارا

---

(١) جريدة الجمهورية ٩٨١/١/٢٥ .
(٢) المرجع نفسه ٩٨٠/٩/٢٦ .
(٣) المرجع نفسه ٩٨١/١/٢٥ .

وهو يبني يعلي ويلوي وينهي كل اعدائنا ويحمي الذمارا (١)

ويبدو ان الاشارة إلى عروبته كان ديدن أغلب الشعراء ، وقد أشار إلى هذه الناحية الشاعر محمد حنون شريف بقوله :

ليعيد تاريخ العروبة كلها في أسطر خطت بيومياته

وبقوله :

صدام يابطل العروبة وابنها والموقظ التاريخ من غفواته

وقوله :

ليعيدها عربية بسماتها وجذورها عربية كسماته (٢)

كما يشير إلى هذا المعنى الشاعر محمد جميل شلش ، ويرى أن صداماً بطل العروبة و العقيدة معاً :

فيا بطل العروبة عم مساء ويا بطل العقيدة عم صباحا

ثم يشير إلى تاريخ نضاله ، ويلمح إلى بعض صفاته ، كصموده وبسالته في مواقفه ، وإلى بعده عن الغرور والالقاب فيقول :

شققت الدرب لم تخش انفرادا بمسبعة ولم تخفض جناحا
ولم يغررك أنك محض سيف يصول بكف أمته نفاحا
ولم تبطرك ألقاب ضخام عن البانين فجرهم اكتداحا (٣)

أما شفيق الكمالي فيشير في احدى قصائده إلى حزم القائد وصبره ، كما يشير إلى ابائه وشجاعته وجود نفسه فيقول :

رابط الجأش حازم لوذعيّ وصبور على البلايا مهول
وقفة الكبر والاباء حياة ماله في الوجود عنها ... بديل
سر بنا فالرجال حولك غاب أيها الليث والجواد الأصيل

---

(١) جريدة الثورة ١٩٨١.

(٢) جريدة الجمهورية : المصدر السابق.

(٣) مجلة آفاق عربية : ص ١٥٩.

وصدام في نظر الشاعر دليل الامة ومقيل عثراتها وقائدها الذي لاينثني عن عزمه :

أيما عثرة تعثرها التاريخ في دربه فأنت المقيل
أيها الفارس المطل على الاكوان ميزان شمسه لايميل (١)

ويؤكد الشاعر عبد المحسن عقراوي في احدى قصائده على معنيين رئيسين في شخص القائد ، وهما حب الجماهير له ،والتفافهم من حوله ، وتأييد مواقفه ، ويعلل هذا الحب بحب متعادل لهذه الجماهير . اما المعنى الأخر فهو اقتران هذه الزعامة بالعروبة ، وفي هذا يقول :

معك الجماهير التي اترعتها حبا فأسكرها هواك المفعم
حملت هواك رجالها ونساؤها وشيوخها حتى الألى لم يفطموا
حملوك حبا في عروق قلوبهم فجميعهم بك يارفيقي هوم
معك العقيدة في الدما مغروسة معك العروبة ثورة لاتهدم
معك الدم العربي ثاراً يغتلي والمجد أروعه الذي كتب الدم (٢)

والحق أن معاني الشعراء في وصف قائد الثورة تكاد تلتقي في ماتراه من صفات زعامته وقيادته وعروبته ومواقفه ، وهي صفات أحاط عنها اللثام ظروف حربنا مع ايران ، حيث ان الشعراء رأوا في شخص القائد مايحقق طموحات شعبه ،ويجسد أمانيه ورغباته وعلى الطرف الآخر تقف امامنا صورة العدو ، وهي صورة لم يختلف الشعراء في تحديد ملامحها التي تكمن في قصيدة كمال عبدالله في مجموعة من الصفات السلبية كالجهل والحقد والتخاذل والغباء :

ياجاهلا لج بالضرار وعاديا آب بانكسار
يصبح من حقده ويمسي ذهلان في قبضة الدوار (٣)

ويصف شفيق الكمالي العدو وقائده بالحمق والجهالة والخرف والسفه والمروق واللؤم والحقد والغباء والشعور بالنقص فيقول :

(١) المرجع نفسه ص ١٨٥ .
(٢) جريدة الثورة ١٩٨١.
(٣) مجلة آفاق عربية ص ١٧٧.

أحمق غـره السكـوت ومـا | يدري بأن السكوت حـال تحول
ماتريد الدمى صبرنا وقـلنا | خرف خائب وغـر جهـــول
وصفحنا عن السفاهة على الصفح | يجـدي فتستفيـق العقـــول
أيها الحـاقـد المزيف دين | الله لارطبت ثـراك الهطول
مـارق احـمق لئيم غـبي | ناقص حـــاقـد زنيم هبيل (١)

ويتفق الشاعر لؤي عبد الامير الرماح في اضفاء صفة الحقد على العدو وقائده، ويصفه بأنه شرير ويقول :

والحاقد اليـوم مكلوم بحسرته | ملعثم النطـق مسلوب البـراهين
يازارع الشر والاحقـاد في وطني | ستحصد اليوم لعنـات الملايين (٢)

ويرسم الشاعر عبد الحسين موسى الخطيب صورة لما يراه يجري في ايران من استغلال للدين وتفشي الظلم واعدام الآمنين والحقد على الناس فيقول :

فالظلم والاعدام ليس شريعة | والحقد يخرس هاتف الوجـدان (٣)

ويرى الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد ان الخصم بعيد عن الفطنة متجاهل للحق، وانه قد ركب رأسه وكشف عن حقده، وفي هذا المعنى يقول :

ووالله لو كانت لدى الفرس فطنة | لـردك عنها أن اتاك اعتذارها
وان أسلمـت بالحق للحق أمرها | وردت جهـالات الصغار كبارها
ولكنها صالت وجالت وأرعـدت | وكشر عن ظفر وناب سعارها (٤)

ويضفي الشاعر عبد الحسين موسى الخطيب بعض الصفات الرديئة على العدو، من مثل الحقد والكراهية والطيش والطمع والصلف ونكث العهود والشر والاجرام والغدر بالجار واللؤم فيقول :

---

(١) المرجع نفسه ص١٨١ – ١٨٢.
(٢) جريدة الجمهورية ٧/١٠/١٩٨٠.
(٣) المرجع نفسه ٢٩/١٠/١٩٨٠.
(٤) جريدة الثورة ٦/١/١٩٨١.

ونسوا ماكان من أيامنا ولهيب الحقد والكره أزادوا
ركبوا الطيش إلى اطماعهم صلفا والنكث بالعهد اجادوا
أي دين يرتضي الاجرام والغد ربالجار ومن كاد يكاد
فعلى الشر انطوت نياتكم وبما يخزي دعتكم أن تنادوا
ياأصولا جبلت من طينة اغرقت باللؤم غطاها السواد (١)

ولابد من الاشارة إلى ان اسم بغداد والعراق قد تألق في قصائد شعرائنا، وهي ظاهرة واضحة ادت اليها معركتنا مع ايران فالشاعرة صابرة العزّي قصيدة بعنوان (بغداد) رسمت فيها صورة جميلة لعاصمة العراق التي لاتزال تزهو على رغم الحرب التي تخوضها ضد الاعداء، فهي :

بغداد ياألق البهاء وبسمة للصبح عادت من خلال سواد
يازينة البلدان يادار النهى ابداً وأنت قشيبة الأبراد (٢)

اما بغداد في قصيدة الدكتورة طلعت الرفاعي، فهي «صرخة الثوار» وكعبة الاحرار وقلعة العدل والحرية :

بغداد ياصرخة الثوار يطلقها من دير ياسين يوم الحشد مدفعه
بغداد ياكعبة الاحرار كم هزمت قلاعك الظلم لما سنل مطمعه(٣)

وبغداد والعراق صورة واحدة في قصائد الشعراء، لكنها صورة جميلة في قلوب الملايين من اهل العراق. وقد توجه كل الشعراء إلى هذه الصورة بالحب والهيام والشوق :

وطني احبك موجة التعب مرت علي وما أبقت سوى التعب
هذا العراق وراء الضلع أعرفه صمتاً وبوحاً كخمر الكأس والحبب

(١) المرجع نفسه والسنة نفسها.
(٢) جريدة الجمهورية ١٩٨٠ .
(٣) المرجع نفسه ١٩٨٠/١٠/٣.

أهواك يافتنة الدنيا وزينتها ويافتونا يريني الماء في اللهب(١)

بهذه الابيات عبر الشاعر زكي الجابر عن هيامه وشوقه للوطن الحبيب اما الدكتورة عاتكة الخزرجي فقد أحبت نخيل العراق وأنهاره وهي تفتدي وطنها بالروح فتقول :

وطني العراق أحبه أو تبلغ الروح التراقي
اهوى النخيل على الضفا فيخضن دجلة والسواقي
اهوى العراق فديته بالروح والكلم البواقي(٢)

ومن عمان يحيى الشاعر سليمان المشيني أرض العراق ، ويتغنى بسهوله ونجاده ويبتهج بمفاتنه فيقول :

حي العراق وحي طيب أربضه طابت سهولاً وانجاداً واغوارا
مفاتن غنت الدنيا بروعتها كأنني حاداة البيداء سارا(٣)

وتقف قصيدة الملحمة لعبد الرزاق عبد الواحد في قمة القصائد التي تغنت بالعراق، فقد ورد ذكره في اكثر من عشرين موضعا، وأبدى في كل موضع مشاعره الدافقة تجاه بلاده :

يعلم الله انني ياعراق الزهو أزهو عليك حد الدلال
غير أني والله أعطي حياتي دون جذع لنخلة فيك بالي (٤)

والحق أن مفاهيم عدة قد ظهرت من جديد مع هذه الحرب وايقظت معها الروح القومية ، وقد المحنا إلى بعضها من خلال بعض المعاني السابقة كمفهوم العروبة الذي ارتبط ارتباطا متينا بهذه المعركة ، وقد ألمح إلى هذه المسألة الشاعر الفلسطيني عبدالله مسعود بقوله :

---

(١) المرجع نفسه ١٩٨١/٥/٧.
(٢) المرجع نفسه ١٩٨١/٢/٢٥.
(٣) المرجع نفسه ١٩٨٠/١٢/٨.
(٤) جريدة الثورة ١٩٨١/٤/٨.

ارض العروبة ياايران لو عطشت نسقي ثراها دماً حراًونفديها
فأمة العرب مذ كانت مسالمة أو في بني الارض تعطي من يواليها (١)

على ان هناك مفهوماً آخر يدل على نضج المفاهيم السياسية، وقد أذكته من جديد حربنا مع ايران، هذا المفهوم هو مفهوم الوحدة العربية الذي عبرعنه الشاعر محمد جميل شلش في احدى قصائده عن الحرب بقوله:

ايتها الوحدة يا هوانا
ياأملاً ينبض في دمانا
ياهمّ أهلينا من المحيط للخليج (٢)

ويبشر محمد عبد الجبار العاني بوحدة قريبة تحقق الآمال وتجسد الأماني ليجتمع العرب تحت علم واحد هو علم الوحدة فيقول :

ياقلب بشراك فالايام مقبلة وسوف تنجاب عنا هذه الأزم
شعب تفرق في أوطانه دولا لكنه بأمانيه .... سينتظم
لابد من وحدة للعرب جامعة وفوقها علم مافوقه علم (٣)

ومن المهجر البعيد تهز الوحدة مشاعر الشاعر الياس قنصل فيعبر عن رجائه بقيامها، ليكون لامتنا بها الفوز، وترى ان الفرقة هي التي فتت عضد الأمة، وان قيام الوحدة سيرفع هاماتنا، ويحقق لنا العزة والظفر:

رجاؤنا الوحدة الكبرى فان خلصت نياتنا فهناك الفوز والوطر
اذا اتحدنا أعدز اهما مجلجلة تجلو التعدي ولاتبقي ولاتذر

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
(٢) المرجع نفسه ٣/١١/١٩٨٠.
(٣) المرجع نفسه ٦/١١/١٩٨٠.

اهـدافـنا في رحاب العز واحـدة وكلنا في مـدار البـذل متنـدر
لولا تـفـرقنا دانت لـهـمتـنا دنيا إلى الشمم السمحاء تفتقر (١)

اما كمال عبدالله الحديثي فلا يحدد له انتماء معيناً ، وانما يرى ان كل ارض العروبة موطن له، ويجسد هذا الانتماء بقوله:

انا من زيتون يافا
انا من نخل العراق
انا من تونس في عرس قباب ومآذن
انا من طيبة ...من بصرى
من الفسطاط .من مأرب
من كل الشموس
انا من أرض النبوءات
ومن سفر الملاحم (٢)

(١) جريدة الثورة ١٩٨٠.
(٢) جريدة الجمهورية ١٩٨١/٥/٧.

ملاحظ فنية سريعة

تلك كانت الروافد المختلفة الممتدة عبر معاني شعر الحرب، وهي روافد تلتقي في مصب واحد ، وتنتهي عند موضوع واحد هو موضوع شعر الحرب .

لقد استطاعت معركتنا مع ايران ان تفتق اذهان شعرائنا وتفتح أعينهم على العديد من المعاني التي كانت تغيب عن اذهانهم ، غير انهم قد جروا وراء الاحداث العظام والامور الجسام ، فعبروا عن عواطفهم الحارة ومشاعرهم النبيلة، وهزهم استشهاد الابطال في سوح معارك الشرف ، كما هزت وجدانهم مواقف البطولة التي جسدت أماني شعبنا في استعادة حقوقنا المغصوبة .

غير ان هذا الجديد لم يقف عند حدود المعاني الجديدة التي الهمتها اياهم الحرب ، وانما تعداه إلى تحقيق صور جديدة ، فقد جسد خيال الشعراء عواطفهم ومشاعرهم بالصور الدافعة المتحركة ، كما عبر الشعراء عن هذه الصور بلغة بسيطة بعيدة عن التقنية والتعقيد ، كما افاد هؤلاء الشعراء من المفردات الشائعة ومن الصياغات التي تتردد بشكل عفوي على أفواه البسطاء ، استجابة منهم للذوق العام .

وقد احتوت قصائد الشعراء في هذا الموضوع — موضوع الحرب على اسماء جديدة للأماكن والاعلام وغيرها .

ومن الظواهر البنائية في هذه القصائد ظاهرة التكرار سواء في الافعال — خصوصاً منها فعل الأمر— أو في الأسماء وخاصة أسماء الاعلام وأسماء المدن، أو في الحروف، وعلى الاخص حرف النداء .

كما وردت في هذه القصائد مفردات جديدة منها أسماء أدوات القتال أو المصطلحات العسكرية وأمثالها، مما لم تألفها لغة الشعر .

اما عن التجربة ، فقد عبر العديد من الشعراء — وخصوصاً — منهم من

امتلاك قدرات فنية عاليــة وطاقات تعبيرية جيدة عن الموقف الواعي تجاه هذه المعركة ، ومن هنا امتلك العديد من هذه القصائد الصدق الفني والصدق الشعوري في التجربة .

ولست أحبذ الاطالة لأن العديد ممن كتبوا في هذا المجال قد المحوا إلى هذه المسائل، وخصوصاً المقالات المتابعة لعبد الجبار داود البصري في جريدة الثورة ، فهي تقدم توضيحاً جيداً للعديد من الظواهر الفنية التي حققها شعر هذه الحرب .

ومهما يكن من أمر هذا الشعر ، فإنه يصح القول بأن معركتنا هذه قد خدمته بما قدمت من مادة وهيأت من ظروف ووفرت من وسائل .

كما يمكن القول ايضاً بأن شعراءنا قد أسهموا في خدمة هذه المعركة اسهاماً فاعلاً يدل على وعي عميق لابعادها الوطنية واهدافها القومية .

مراجع البحث

تاريخ الادب العربي عمر فروخ بيروت ١٩٦٩ .
تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري. القاهرة ب . ت .
الجزائر المجاهدة : الرابطة الأدبية في النجف. النجف ١٩٦٠ .
الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي ، محمد سيد كيلاني القاهرة ٩٤٩ .
ديوان البحتري : مصر ١٩١١ .
ديوان محمود درويش : بيروت ١٩٧١ .
ديوان النابغة الشيباني : القاهرة ١٩٣٢ .
شرح الصولي لديوان ابي تمام . تحقيق خلف رشيد نعمان . ٢بغداد ١٩٧٨ .
شعر الحرب في ادب العرب : زكي المحاسني. القاهرة ١٩٦١ .
فتوح البلدان للبلاذي : ليدن ١٨٦٦ .
ماضي النجف وحاضرها : جعفر محبوبه . النجف ١٩٥٨ .
المفضليات : المفضل بن محمد الضبي. القاهرة ١٩٥٥ .
جريدة الجمهورية : بغداد أعداد ستتي ١٩٨٠ و ٩٨١ .
جريدة الثورة : بغداد اعداد ستتي ١٩٨٠ و ١٩٨١ .
مجلة آفاق عربية : بغداد العددان ١، ٢ : ١٩٨١ .

المحتويات

طبع بمطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل